

الشيخ العلي بن أبي طالب

واقف على أقرني

مكتبة الفقهاء في نصوص وتاريخ الإسلام في القصة

obeykandi.com



الشيخ سيد البيط

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

في مجموعتي القصصية الاولى المسماة « الشيخ جمعه وقصص أخرى » كتبت كلمة افتتاحية ضمنتها بعض ما جال بخاطري عن الاقصوصة وانتشارها في عالم الادب ، ومستقبل الاقصوصة والقصة ، وفائدة القصص والاقصيص على وجه عام ، وشرح المذهب الواقعي (الرياليت) وضرورة اخذ به في التأليف القصصي ، ولغة الحوار في الاقصيص ووجوب اختلافها عن لغة الكتابة اختلافا يزيد أو يقل بحسب ما تستلزمه الحقيقة ويتطلبه الواقع . لذلك ستكون كلمتي التي سأفتتح بها مجموعتي الثالثة « الشيخ سيد المبيط وأقصص أخرى » عن مواضيع تختلف عن سابقتها كل الاختلاف . ستكون كلمتي هذه عن « نشوء الاقصوصة وتطورها » في عالم الادب عامة وعن « البلاغة القصصية » في الادب العربي خاصة . ولما كان هذا البحث من الابحاث الوعرة المسالك الضئيلة المصادر المجهولة الضيل فمذري في تصيرى واضح لدى القارىء الكريم . وانى لمترف له بان ما كتبتة في هذه المقدمة لا يشفي غليل الباحث المنقب الذي يريد استيعاب الموضوع بخلافه .

ولتشابه الاقصوصة والقصة في منشئهما وتطورهما صعب على من يريد معرفة ذلك التطور تتبعهما منفردين خصوصا في الادب العربي الذي يكاد يخلو من الاسلوب القصصى .

نصو القصص

الاقصوصة هي القصة الصغيرة ، ويذاب على الظن أنها هي والشعر أولى الظواهر الادبية التي أخرجها الذهن البشري ، وقد عبر عنهما الانسان قبل أن يعرف القراءة والكتابة . فالشعر وجد إذ وجد الفناء والرقص . ففي المصور الغابرة كان الانسان الوحشي يجتمع حول النار بعد هزيمة الاعداء يرقص ويصيح احتفالاً بانتصاره . فكان هذا الصياح الموقع على حركات الرقص الطبيعية أول درجة من درجات الشعر . أما الاقصوصة أو القصص فمصدرها الاساطير (الخرافات) . وبيان ذلك أن الانسان الوحشي كان يعيش في عالم مملوء بأسرار الطبيعة وأغازها وكان عقله قاصراً عن ادراك كنهها . ولسكنه حاول أن يحلها فتنبأ لهجمادات أرواحا وشبهها بنفسه وسماها باسمائه ووصفها بصفاته وفرض الفروض التي تطابق عقله في ذلك الوقت تفسيراً لتلك المميزات المظلمة ، فالشمس التي كانت تشرق في الصباح ~~فببسة جيو~~ والظلام ، جذوة ملتهبة لا يدري من أين أتت وإلى أين تذهب ، والرياح العاصفة التي تهدم الأكواخ وتقتلع الاشجار ، والبحر الدائم الاضطراب الذي لا تهدأ له حركة ولا يسكن له هدير ، والجبال الشاهقة ذات القمم البركانية التي تفيض بالحمم والنار ، وتلك القوة الخفية التي تضطرب في بطن الارض فتزلزلها بقسوة وهول . . . وكل غير ذلك من مظاهر السكون الازلية وقف أمامها الانسان الوحشي يتألمها بحيرة واندهاش ممزوجتين برعب وخوف . رهب الصخرة المنحدرة من قمة الجبل التي خلفتها الزلازل من مكانها وأرسلتها كالقذيفة على كوخه فهدمته فحسبها آدمياً مثله له روح خفية ، يفاضله الاعداء ويستطيع أن يهلكه . وخاف كذلك بطش الرياح وهو لا يراها فحسبها روحاً جهنمية قادرة أن تشكل به وبمزروعاته . ومجد السحاب طلباً للمطر ومجد الشمس ظاناً أنها المسيطرة على الأرواح الأخرى . وكان يرى في نومه أهلاماً كثيرة عن أشخاص ماتوا فتوهمهم أحياء مثله في عالم آخر غير منظور ، يعيشون ويأكلون ويتناسلون . فرهب الأقوياء الاعداء منهم الذين كانوا في حياتهم قادة مسيطرين وقدم لهم القرايين وأتى لهم بالاطمنة وذبح لهم

السبيد ليخدهم ودفن معهم النساء أحياء ليتخذنهن زوجات ورفقات :
وتطور الخوف نصار عبادة آله ما كان يرهبه من الجمادات وأرواح الموتى :
وهل كانت الديانات الأولى الأساطير خلقها الانسان حلاًّ لالناز الطبيعية
وتفسيراً للإسلام . اذن يمكننا القول بأن الديانات الغابرة والاقاصيص على
سواء استمدتا ينبوهمما الاول من الاساطير . فالنوع القصصى قديم ظهر
حيث بدأ الجنس البشرى يؤسس أوله المدنية . وكانت تلك الاقاصيص
بطبيعة الحال قصيرة لأن خيال الانسان الغابر كان ضيقاً وتفسيره ناقصاً والفاظه
التي كان يستعملها قليلة .

وتطورت تلك الاساطير أو الاقاصيص الخرافية بحسب تطور الانسان وتغير
بيئته فحمل يتوارثها جيلاً بعد جيل وينشرها بطريق المهاجرة والاحتكاك . ولكنه
كان يغير فيها متأثراً بما يراه من حياة جديدة وحوادث مختلفة فتولدت الاقصوصة
وهي مزيج من الحقيقة والخرافة وتضمنت تاريخ النظماء ووصف الممارك وذكر
أهوال الحياة . ونسج الخيال الانساني اقاصيصه على منوال ماسمعه وما ورثه
وما رآه فأتى بشيء جديد ظهرت فيه قوة الخيال والاختراع . ومع تشابه هذه
الاقاصيص للأساطير فلما اتخذت لها صبغة محلية فجعلت بعض أبطالها من
الآدميين وبعض حوادثها وأوصافها من حوادث العصر الذي عاش فيه مؤلفها
وأوصاف الحياة في وقته . لذلك كانت لها بعض القيمة الادبية .

كلمة عامة عن الاقاصيص والقصص

كل منا حينما كان صغيراً كان يميل بطبيعته لسماع الاقاصيص . وهل نسينا
أقصوصة « الغول » أو أقصوصة « صاحب اللحية الزرقاء » وما شابههما ، تلك
الاقاصيص الخالدة في أذهان المعجّز التي تنجدد دائماً كلما نلى رداؤها . تلك
التي يرويها الشرقي فيلبسها ثوباً شرقياً ويرويها الغربي فيلبسها رداء غريباً ويرويها
الوحشي فيلبسها جلباباً وحشياً . وهي هي واحدة في ذاتها لها حادثة واحدة
وان اختلفت الزمان ومكانها وأشخاصها . هذه الاقاصيص هي الارث
العظيم الذي ورثناه من أزمنة غابرة ، بعضه يستمد أصوله من أقدم عصور

المدنيات الاولى اى من فجر التاريخ والبعض أخذناه من المصور الوسطى أيام عهد الاقطاعات في الشرق والغرب . فما « النول » الا رمز للحيوان الخفيف الذى كان يفترس أجدادنا حينما كانوا يسكنون الحراج والاحراش والا كواخه ، والذى ظل يحارب الانسان حربا متواصلا . هذه صورة غامضة طبعها الخوف المتوالى في ذهن الانسان حتى أصبحت كالفريزه في قوتها وتأثيرها . وهل كان « صاحب اللعينة الزرقاء » شارب الدماء السفاح الا رمزا للملوك وامراء الاقطاعات من البربر الهيج الذين كانوا يسومون الافراد أقطع أنواع العذاب .

فألقاصيص التي تروىها الجدة المعجوز وهى تحيك ثيابها أو تطرز وشيها والحكايات التي يحكيها الجد الهرم وهو يغزل يغزله أو يدخن لفائف التبغ في حجرة هى : أولا تتجوع ما وراثته من أساطير قديمة تمثل « النول » و « الجان » وأهوال الحياة التي عاشها الانسان الاول ، وثانيا ما سمعناه من حوادث تاريخية عن حياة الأبطال ووقائع الحروب وهيمته الامراء والملوك وحياة الاسرى والمسجونين . ففول الاقصوصة هو النول القديم الذي لا نعرف شكله وإنما نشعر بوحشيته ، وبطلها هو أحد أبطال التاريخ البسه الراوي ملابس الزمن الذي اختاره . وبالرغم مما حوته كثيرا من هذه الاقصيص من المخافة والعبث فقد عبرت عن نفسية العهد الذي كتبت فيه . فأقصيص البطولة كثرت في عهد الفروسية والحروب وأقصيص الدين انتشرت في عهد الحروب الصليبية وما مثلها . وعلم جرا . وربما اخترعت الامة المظلومة بطلا وهما يحاكي الابطال القدماء ونسجت من حياته قصة نصر وهمة تفرج به عن كربها وتعبه به عن آلامها ومطامعها . ولعلك اذا بحثت بحثا وافيا في الاقصيص القديمة التي تناقلها الناس في المصور الوسطى والتي مازال الرواة من السجائر يروونها للاطفال اليوم تراها مفعمة بحدوث الحرب والقتال والندى والانتقام.

الخيال والظلم والرمح والسهم هى أساس القصة وعمادها . نستدل من هذا كيف كانت الانسانية تتعذب دهورا بدهور وأجيالا بدهور أجيال بهذه الحروب الوحشية التي فتكت فتكا ذريعا بينى الانسان . ولما كان الحرب هو العامل الاساسى لبقاء الامة والحدوث المهم الذي كان يملأ فراغ حياة أفرادها كانت الامة امام منتصرة تشكل باعدادها وتسميهم العذاب والقتل والتشريد واما

مخدولة ترسفت في اغلالها ويستباح دماء أفرادها ، لذلك انطبع في قلب الانسان فيها انطبع فيه حول الحرب ورغبة الانتقام ، فصاغ معظم حكاياته على هذا النمط وأنت بلاغته الاولى صفحة دامية بوقائع القتال . ولربما وجدت في بعض هذه الاقاصيص وتلك الاساطير خصوصاً التي أنت على لسان الكهنة والوطاظ والمرشدين أوصافاً شائعة وجميلة عن السلام والرحمة والعدل وعقاب الظلمة بما جنت أيديهم ومكافأة المظلومين بما يستحقون ، أوصافاً خلابة هي من عمل الخيال ، صاغها بدافع النفس المتعبة التي مجت القتال وحياة الفزع والانزعاج والتشريد واشتات حياة المكينة والهدوء حيث العدل والرحمة ينشران رايتهما الظليلة .

الشعر القصصي

وكان الشعر القصصي أول الاقاصيص الأدبية وهو الذي يعتبرونه الأساس الأول في بناء الأدب العالمي وقدما سار الشعر والاقاصيص جنباً الى جنب ، وكثيراً ما امتزجا ببعضهما فكونا فرطاً واحداً من البلاغة . ولما كان الانسان يعيش قديماً قبل اختراع وسائل المواصلات الجديدة - عيشة عزلة وانعكاف ، المدن تفصلها المسافات الشاسعة والامم لا تعرف من بعضها الا النذر القليل والنظام السياسي يفرق بين طبقات الامة الواحدة في المكان الواحد ، الاشراف بمزول عن العامة والعامة بمزول عن الاشراف ، كانت لرواية الاخبار والحوادث عن الامم الأجنبية حتى وعن أشخاص الامة الواحدة لها وقع عظيم في النفوس . فكان الناس متشوقين دائماً لسماع ما هو غريب عنهم مما كان يحاط بالاسرار . هذه صورة للعياة الاجتماعية في العصور الوسطى فكيف بها قبل ذلك . لا بد وان العزلة كانت اتم والشوق الى سماع الرواية أعظم .

وهكذا تولد ميل الانسان لسماع الاقاصيص فوجد جماعة الشعراء الرحل ليقدموا للناس ما يلذهم ويطرفهم من الاخبار والحوادث النيرة المألوفة . وهؤلاء الشعراء أشخاص فقراء كانت مصاعبتهم الانتقال من مكان الى آخر يغنون للجماهير قصص البطولة والحب . كان هؤلاء « الشعراء المرتزقة » يجمعون تلك

الاغاني القصصية من أفواه الحفاظ فيحفظونها ، وربما بدلوا وغيروا فيها ، وزادوا عليها من عندهم ، أو حذفوا منها ما وجدوه ينافي فوق الجمهور . ومنهم من قلدها ونسج على منوالها . ولعل أول شيء يستوقف الباحث عند بحثه في تاريخ الادب عند أغلب الأمم مشوره على تلك الاغاني القصصية واعتبارها الينبوع الهام الذي تفرعت منه فروع الفنون والادب . قال شاعر الرجال كان شاعراً ينظم الشعر ويلقيه وينشد الاغاني ويروي القصص ويشمل الحوادث فكان بذلك شاعراً وماعناً وقصصياً وممثلاً في آن واحد .

وهناك « الالياذة » و « الاوديسة » المنسوبتان لأبي الشعراء هوميروس اليوناني و « الانبياء » لفرجيل شاعر الرومان فانها من هذا الشعر القصصي وصاحبها من هؤلاء الشعراء الرحل . وتعتبر هذه القصائد القصصية الثلاث خصوصاً أولاهما أبلغ ما كتب في الادب العالمي ، منها استمد الشعراء والقصاصون ومؤلفو الروايات التمثيلية قديماً وحديثاً وحيزهم في التأليف . وهناك أيضاً « أغاني رولان » الفرنسية تلك الاغاني القصصية المنظومة أول ركن من أركان الادب الفرنسي القديم فانها من هذا النوع أيضاً . ورولان هذا بطل خرافي من أبطال جنود شارلمان اشتهر في الحرب التي كانت ناشبة بين العرب والفرنسيين أيام فتح الاندلس .

ويكاد يكون لكل أمة طريقة في الحضارة من كان لها أدب قومي جليل ، قصيدة أو عدة قصائد قصصية طويلة منظومة بالشعر على مثال « الالياذة » . فلايتاليا « كوميديا دانتي الالهية » والهند « المهابهارانا » Mahabharata والفرس « الشاهانامة » . وهذه القصائد الثلاث لها في عالم الادب مقام رفيع . ويوجد غير ذلك في الأمم الأخرى قصائد قصصية على هذا النمط لم تكتسب شهرة مذكورناه لأنها أقل قيمة ، وإن كانت لها في الأمة التي نشأت فيها مكانتها العالية . وكل هذه القصص النظامية تمثل نوعاً واحداً من الشعر وهو الشعر القصصي . لذلك أتحدث في مراميها ومضامينها فهي تروي حوادث البطولة والابطال بأسهاب ممجدة أعمال هؤلاء الابطال ومفتخرة بهم . وما هذه القصيدة الطويلة - وإن كان يصح ان نسحبها قصة واحدة - إلا في الحقيقة مجموعة أقاصيص ، يكاد يكون لكل قصيدة منها موضوعها وغايتها .

والسبب الذي من أجله انحسرت جل هذه القصائد القصصية ان لم يكن كلها في تمجيد البطولة الحربية ان العالم القديم (وعنى عالمنا الحديث اليوم) لم يعترف بالبطولة الا لجملة السيوف والرماح من بنوا مجدهم الوحشي على جماجم الضحايا المستعبدة . وهذا دليل على أن عهد النضال الحربي الدائم في تاريخ الانسان القديم ، وسنة الطبيعة في أن الحياة الأقوى والحق في جانبه قد اضطرتنا بحكم الوراثة والسير بعمق قواني الطبيعة أن ننظر الى الحرب نظرة الاكبار والى أبطالها نظرة الاجلال . ومن منالم يسمي نشيد الموسيقى الحربي فلم يشعربدمه يظلي في عروقه . ومن منالم يقرأ صفحة من صفحات التاريخ الخضبة بدماء الشهداء فلم يهتج ولم يهتز هزة الطرب ناظرا الى السفاح نظرة تمجيد وتمظيم . فما أثقل ما ورثته لنا الطبيعة الظالة من ارث ما زال يشمرنا . اضينا الوحشي حتى في عهد المدنية والنور .

والإلياذة هي قصة الحرب التي دامت عشرين سنة بين طروادة

وممالك اليونان ، أثارها اختطاف « باريس » أحد أمرائها « هيلانة » زوجة ملك اسبارطة . أتى فيها هوميروس باوصاف دقيقة خلابة للجيوش المتحاربة والوقائع الناشئة وشجاعة القواد وبطولة الابطال ، تجلت فيها قوة الخيال الى أقصى حد . وقد أكد بعض النقاد ان الإلياذة ليست من عمل فرد واحد بل هي مجموعة أقاصيص نظامية نظمت وجمعت بواسطة الشعراء الرحل ، تخلتها الأذهان المتوقفة على مر السنين حتى خرجت حثالتها ومكثت زبدتها ، فأتى هوميروس وهو من فئة هؤلاء الشعراء فرواها للناس كما وجدها . ربما كان الامر صحيحا وربما كان خلاف ذلك . فاذنا فرضنا أن هوميروس لم يؤلفها جميعها فلا يبعد أن يكون هو جامعها ومرتبها ، من هذبتها وصقلها ، فعطف منها المبتذل وأضاف من عنده الجيد ثم صاغها في قالب واحد تجلت فيها روح واحدة تعبر عن ذهنية واحدة . وهذا ما اتسمت به .

والله وليه قصة متممة للألياذة ومنسوبة للمؤلف نفسه فيها قصة

« يوليسيس » (أوديسيس) وكيف ضل طريق البحر وهو قائم مع رجاله بعد انتهاء حرب طرواده ميحما بلده ليحظى برؤية زوجته « بنلوب » وابنه « تليماك » بعد غياب عشرين سنين . ظل في سياحته هذه مدة عشرين سنوات أخرى اجتاز فيها المخاطر وتغلب فيها على كثير من الصعوبات ثم عاد أخيرا إلى وطنه وقد غاب عنه عشرين عاما فوجد امرأته وفية على عهدته أمينة على حبه . وقد ذكر بعض النقاد أيضا أن هذه القصة لم يكتبها « هوميروس » لأن أسلوبها يخالف الألياذة ، وإن الروح السائدة فيها روح نسائية . فإذا كانت الألياذة قد اقتصرت من وصف القتال الوحشي والناظر القاسية فالأوديسة تغلب فيها روح العراك النسائي الذي يكثر فيه الحيلة بدلا من القوة وأسلوبها عليه مسحة اللين والمسالة . ولكن بعضهم يرد على هذا القول بأن هوميروس نظم الألياذة وهو في ريمان الفتوة والشباب ، وذهن الشباب قوى جريء قاس لا يعرف اللين ولا الرحمة فجاءت صورة قاسية تمثل وحشية الحروب وفظائع البطولة . أما الأوديسة فنظمها حينما كان شيخا متقدما في السن فجاءت صورة لذهنية الشيخ الهادئ الرزين الذي يعمل عمله بلين وهندوء بعد تفكير وروية .

والله وليه فهي لشاعر الرومان « فرجيل » نحا فيها نحو هوميروس وجعل

لحوادثها صلة بالألياذة فجاءت قنهام متممة لها . بطلها الأمير « انياس » أحد امراء طروادة ابن الآلهة « فينوس » . وقد نظم الشاعر قصته تمجيذا لعائلة اغسطس قيصر امبراطور الرومان في هذا الوقت إذ أتى فيها بتاريخ منلا بالاماطير من « انياس » الأمير الطروادي الذي من سلالة مؤسس روما وامبراطرة العالم . فيها حكاية سقوط طرواده بين يدي الاغريق وكيف نجا الأمير من القتل فهرب من بلده وبدأ رحلاته الشهيرة محبوب الاقطار ويركب البعاز حتى وصل في النهاية إلى إيطاليا فاستقر فيها . وقد امتازت هذه القصة بأن الآلهة قامت بتشكيل أدوار هامة فيها أكثر مما قامت به في الألياذة والأوديسة . فكانت المنافسة على أشدها بين الآلهة « فينوس » أم « انياس » والآلهة « جونو » عدوه . فبينما كانت فينوس تحميه وتبذل له وسائل النجاة

كان جونو ينصب له المكائد ويحيطه بالأسفار ، وقد تداخلت الآلهة تداخلًا غريبًا في أمر هذا الأمير وقامت بينهم مشاحنات ثمائل مشاحنات أهل الأرض ولكن « انياس » انتصر في النهاية فصعدت نبوءة الآله « بيويثير » . وقد تم إرضاع القصة وناظمها تمجيد روما وإمبراطورها وإثنتقامها من اليونان مدبرة طروادة .

وبوجود غير هذه القصائد القصصية الثلاث قصائد أخرى ثمائلها في نوعها كما ذكرنا سابقًا أشهرها « الشاماسة » لشاعر الفرس الفردوسي و« الكوميديّة الإلهية » لشاعر الطليان « دانتي » . فالأولي أتى فيها ناظمها بأوصاف جميلة عن تاريخ ملوك الفرس وأبطالها وهي تمتد من آيات البلاغة العالمية . أما الثانية فهي قصة حاتم خيالي للشاعر وصف فيه زيارته « للجحيم والمطهر والفردوسي » مع الشاعر فرجيل وما رآه من أشخاص حقيقيين وخياليين من عظماء التاريخ والخيال . ووصف فيها معاصمه من أنواع المذاب والوان السعادة والهناء بأسلوب أخاذ ودقة فائقة في رسم الأشخاص وروعة بالغة في وصف المشاهد . وقد كان الشاعر يحب قتاة تسمى « بياتريس » حبًا لم نسمع بما يماثله قوة وغرابة من قبل . فقد بدأ حبه لها إذ رآها لأول مرة في منزل والدها وهي طفلة لم تتجاوز التاسعة . ومن غريب أمره معها أنه لم يرها إلا مرتين فقط ولم تعلم هي بأمر حبه . وقد تزوجت « بياتريس » ثم ماتت فكان لهذه المأجمة الإلهية وقع شديد على قلب الشاعر . ماتت بياتريس ولكن شبحها السحري كان جاعًا في قلب دانتي يوحى إليه بمبتكرات الشعر ويفنّد خياله وهبتريته . فكتب الكوميديّة الإلهية ليخلد فيها شخصها فانت آية فنية من آيات البلاغة . تصور الشاعر فيما تصوره في حلمه أنه قابل حبيبته . لم تكن كما كان يعرفها ، بياتريس البشرية بل كانت بياتريس الملائكية ذات النعمة السماوية والجلال الإلهي . وقد نجح الشاعر في تخليد اسمها في قصيدته هذه لئلا يمحى اسم بياتريس مقررًا دائمًا باسم دانتي وكوميديته الإلهية .

أقسام القصص والقصص التاريخية

وقد اشتقت وتفرعت من هذه التصانيد القصصية الكثرة العدد أقاصيص وقصص صافها الخيال على أساس من الحقيقة والوهم . والمعروف ان التصانيد القصصية نظمت بواسطة شعراء وحل تمجيذا للمظالم والابطال وذكر حوادث التاريخ المشهورة . فكانت تنظم عادة للملوك والأمراء ، ولا يتم لحوادث المظالم الا المظالم . ففي القرون الوسطى كان هؤلاء الشعراء الرحل يقصدون قصور الأمراء والنبلاء وأهل الحثية في البلدة فيحسون لهم الحفلات ينتدون قصص البطولة والفروسية فيقابلون بالترغيب والاكرام . وكانت تلك القصص تصور المثل الاعلى لمطامع هؤلاء الاشراف في الحرب والحب والشجاعة وما شابه ذلك من فضائل العصر فانت صورية حية تم عن نفسياتهم ووصف حالتهم الاجتماعية . أما العامة المستعبدون فكانوا لا يهتمون كثيرا بهذه الاغاني القصصية لانها لم تمثل مجتمعهم ولم تعبأ بنفسياتهم . بل كانوا يرغبون في شيء يعبر عما يخرج في صدرهم من هوامل المقت والسكره هؤلاء السادة المتفطرسين ، وعوامل الاستهزاء والسخرية منهم وما يحيطهم من ترف وابهة وادعاء . كانوا يرغبون في قصص تصف حياة الفقر والخشونة وحياة اللصوصية وقطاع الطرق . فنشأت بجانب التصانيد القصصية الحماسية عن البطولة والفروسية قصص وأقاصيص لظمية ونثرية تعبر عن ميل العامة وتصف مجتمعهم . لذلك رأينا فيما بعد قصة « دون كيخوتي » « لسرفنتي » الاسباني وما شابهها وهي قصة تهكم قاتل على ابطال الفروسية المدهين . ورأينا ايضا أقاصيص « الديكاميرون » او العشرة ايام لبوكاكيو الايطالي (توفي سنة ١٣٧٤ م) وفيها اوصاف انتقادية لمن لهم مكانة رفيعة في البلد من قسس وامراء . فقد شاعروا فيها مؤلفها شيوخ الدين المزينيين الذين كانوا يساورون الأمراء رفعة ومقاما . وكشف فيها الستار عن فضائح عصره فأتى في بعضها باوصاف منافية للأدب . « والديكاميرون » هذا مجموعة أقاصيص مسلية درس فيها المؤلف اشخاص عصره واخلاقيهم في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي واشتهرت بدقة الاوصاف وسعة الخيال وجمال الأسلوب ، ذلك الأسلوب الذي لم يتفوق عليه أسلوب كاتب آخر من كتاب

ذلك القرن . واشتهر امر هذا الكتاب شهرة كبيرة حتى كان مصدر ألهام لكثير من الشعراء اخذوا منه ونسجوا على منواله ، امثال « شا كسبير » في بعض رواياته التمثيلية « وجوتا » في (فوست) « وشوسر » الشاعر القصصى الانجليزى القديم في (اقصيص كانتبرى) ولسنغ الالماني في (قصة ناتان الحكيم) . ورحل ماركو بولو (وفاته سنة ١٣٢٤ ميلادية) الى آسيا ومكث في بلاط « كوبالاخان » امبراطور المغول عشرين عاما عاد بعدها الى وطنه محملا بكنوز الشرق . وأخذ يروي لأهل وطنه « البندقية » رحلته المعجبة مما شاهده في تلك البلاد النائية التي لم يكن يعرف فيها الناس شيئا مذكورا . لم تكن تلك الرحلة سوى أقصيص ، منها ما هو حقيقي ، ومنها ما هو مغالى في اوصافه وحوادثه ، ومنها ما هو كاذب مخلق . وكان لرواية هذه الرحلة وانتشارها تأثير على أذهان المؤلفين فأخذوا يكتبون قصصا خيالية من ابتكارهم قلدين فيها حوادث رحلة ماركو بولو .

وكان الشرق والغرب في هذه الازمنة قليلي الاتصال فاذا جاب الرحالون أقطار الشرق وطادوا الى اوطانهم تهافت عليهم الناس لسماع اخبارهم . وبدأ العالم يسير في طريق الاكتشافات فظهر « كولبس » و « فاسكودى غاما » و « مابلان » وغيرهم من مشاهير المكتشفين الذين جازفوا بارواحهم في سبيل تحقيق فكرتهم . وقامت الدول تنافس في البحر باساطيلها وعلى رأسها المكتشفون والمستعمرون فنشأت روح جديدة هي روح المخاطرة أثارتها الرغبة في الحصول على الثروة من طريق التجارة أولا والاستعمار ثانيا .

ولما كانت البلاغة التمهيدية مرآة لمجتمع عصرها انتشر في هذا الوقت كثير من القصص الخيالية ، استمدت أصولها من روايات الرحالين وأخبار المكتشفين فكتب « دانييل ديفو » القصصى الانجليزى قصته المشهورة « روبنسون كروسو » على أساس قصة واقعية لبحار يدعى سالكر كأمضى أربع سنوات وسيدا في جزيرة جوان فرناندز . وكتب كذلك « سوفت » الكاتب الانجليزى المعروف قصته عن رسالات « جالفر » الى بلاد الاقزام وبلاد العماليق . وهذان الكتابان يعبران عن ذهنية المجتمع في ذلك العصر وما قبله ، وكيف كانت مخاطر البحار تشغل عقول الناس وتؤثر على أمتهم .

والذي هيأ الافكار وحرك الالهامان لكتابة هذا النوع من البلاغة اتصال الشرق بالغرب في الحروب الصليبية، فقد بدأت هذه الحروب سنة ١٠٩٩ ميلادية اى قبل ظهور ماركو بولو في عالم الدنيا . بدأ هذا الاتصال فكانت له نتائج كبيرة منها ما هو اقتصادي واجتماعي واستعماري ومنها ما هو ادبي اثر تأثيرا عظيما في عقول المؤلفين واتجج نواها جديدا في الادب العالمي .

القصص في الآداب العربية

القصص في الآداب العربية قليلة وغير هامة وهذا يرجع الى أسباب سنذكرها في غير هذا المكان . وقلة هذا النوع من البلاغة أوجدت في أدبنا ثغرة لا يستهان بها . لان « القصص » قسم قائم بذاته في عالم الأدب له شأن كبير . وربما كان أول الاقسام وأهمها . لذلك هاب علينا كثير من الأفرنج خلو هذا النوع من بلاغتنا وعدمه نقصا في أدبياتنا . فاذا كان السلف قد نهج نهجا أبسده عن العناية بتأليف القصص فيجدوا بنا وقد تحققتنا من ملوك كعب هذا الفن أن نتدارك ما أهمله السلف ونجد في اقامة دعائمه ، قوة متينة ليؤسس عليها كتاب المستقبل بلاغتنا الجديدة .

وأهمية القصص والاقاصيص الراقية في عالم الادب انها تصور الحياة الاجتماعية في مختلف الأزمنة صورة صادقة ، حية بأشخاصها وبيئتها . وفوق ذلك فهي تكشف لك عن خبايا النفوس فتراها بحقيقةتها . وقد يتفنن الكاتب البليغ فينشر على الناس نظرية جديدة هي خلاصة تفكيره طالبا منهم أن يأخذوا بها ويطبقوها على أنفسهم في حياتهم لصلاحيتها وفائدتها . والكاتب الناصح صاحب النظريات الجديدة والاصناف الصادقة عن بيئته عليه صلاح المجتمع . فالمجتمع دائم التطور ككل كائن حي والكاتب انما يسير بهذا المجتمع في تطوره يمهده له السبل ويكشف له عن الحقائق ويهيئه له جوا صالحا من الافكار والمبادئ والاخلاق يطابق التطور الدائم في الحياة . فمن تمرد على أمثال هؤلاء الكتاب فقد تمرد على اصلاح مجتمعه ولم ينله من الحياة الا الاقصاء والالقاء في زوايا الاهمال والنسيان .

أنواع القصص العربية

القصص في الآداب العربية وفي كل الآداب قسماً : قسم موضوع وقسم منقول . فالقسم الموضوع هو الذي انتجته عقولهم . أما الآخر فهو الذي نقلوه بالترجمة الى لغتهم . والقصص الموضوعية هي مثل قصص هنترة وحرب البسوس وبعثون ليلى وسيرة بني هلال وسيرة ابن ذي يزن وغيرها . والمترجمة ككتاب كيلة ودمنة وألف ليلة وليلة وأدب الهند وغيرها . ومعظم القصص الموضوعية لها أصل تاريخي فاشخاصها أبطال حرب أو حب حقيقيون . وحوادثها الرئيسية التي بنيت عليها القصة حوادث وقعت في التاريخ ولكنها تغيرت عندما تناقلتها الالسنة بالرواية . فكان الراوي يبالغ في سرد الحوادث ووصف الاشخاص ، يحذف ويضيف على حسب ما يقتضيه شوق الجمهور وما يتطلبه من الامور التي لها وقع في قلبه وتأثير على نفسيته . ويكاد هذا التفسير يفي الاصل في بعضها فتنشأ على انقاضه قصص جديدة من روايات الراوي . ويحذف ما لا يفي في النهاية فيجمع هذه النصوص على هلالها ويأخذ في حبكها وتهذيبها ثم ينسجها لاحد الرواة المشهورين كالاصمعي وخلافه ليقبل على قراءتها الناس ويقدموها في شخص مؤلفها الشهير .

وكانت الحالة السياسية في كثير من الاحيان خصوصاً في الازمنة الاخيرة داعية لان يفكر الامير أو السلطان في شيء يلهي به شعبه ويحول عن عمل يريد القيام به ، أو أمر يريد اخفاؤه ويخشى انتقاد الشعب له وقيامهم في وجهه . فيكلف أحد الكتاب بتأليف قصة أخاذة الحوادث تسرق من الناس أوقانهم وتحول أذهانهم عن انتقاده . فيؤلف الكاتب قصة على الطريقة المذكورة آنفاً ، جامعاً متفرقات روايات الرواة في قصة واحدة بعد أن يهذبها ويجعلها صالحة لان يسبقها عقل الجمهور .

أما القصص المنقولة فمنها ما نقل في الاصل بأمانة في الترجمة ككتاب كيلة ودمنة : ومنها ما غير اما بالاضافة والحذف أو التصليح والتهذيب حتى صار غريباً عن أصله في كثير من نواحيه ككتاب ألف ليلة وليلة . لذلك نقول ان الكتاب الاخير وان كان قد ترجم في الاصل عن كتاب (هزار أفسانه) الفارسي

الا أنه يمكننا عدم من كتب القصص الموضوعة لاشماله على كثير من القصص المؤلفة . وفوق ذلك فتقصصه المترجمة ناد يضيع أصلها بالتفسير والتبديل اللذين طرعا عليهما

لماذا لم يهتم العرب بتأليف القصص ؟

عما تقدم نرى أن الفن القصصى فى الآداب الغربية ضئيل للغاية يكاد لا يذكر إذا قارناه بفن القصص فى الآداب الغربية . فلماذا لم يهتم العرب بهذا النوع من البلاغة ؟

ذكر الباحثون عدة أسباب رأينا أن نأتي على أهمها لمطابقتها للعقل . ذكرنا فى أول هذه المقدمة كيف كانت الأساطير المصدر الأول للأقاصيص والقصص . فإذا طبقنا هذه النظرية على العرب وجدنا أن أساطيرهم قليلة لذلك جاءت أقاصيصهم قليلة . فإذا اردنا أن نعرف سبب قلة القصص وجب أن نحول وجهتنا نحو الأساطير .

ان للأقليم مناظره ومناخه تأثيرا عظيما للغاية فى نفسية افراد الامة وفهميتهم . فالذي يعيش فى بلاد جبلية ذات مناظر وهيبة - غاباتها واحراشها خفية ، وأشجارها ضخمة تكتنفها الأسرار ، وكهوفها مظلمة يسكنها مختلف الحيوان ، وأنهارها عظيمة تفيض بالتماسيح ، ووحوشها وجوارحها وهيبة تلقي الرعب فى القلوب — تختلف نفسيته ومزاجه عن ساكن السهول المنبسطة حيث المباشرة هادئة والنفس مستريحة لا تجهد مما حولها مؤثرا بسبب لها انفعالا . والمرء الذي ينشأ فى ذلك الجو القاسى بزمهريره وتلوجه ورياحه وامطاره ورفده وصواعقه لا بد أن يختلف فى فهميته عن ذلك الذى يعيش فى جو سماؤه صافية وشمسها نارية لافحة . وبما أن الانسان ابن وراثته وبيئته ، يرث عن آبائه وأجداده الخرائز والكفاءات والميول فينشأ فى بيئة تدعم تلك الخرائز وتظهر تلك الكفاءات وتثبت تلك الميول فلا غرابة اذا وجدنا العربى غير عميق فى تخيله ، وهو الذى استوطن الصحراء المجردة وحاش الازمنة الطويلة فى بيوت الشعر ، ثروته بغيره وناقته فأينما ارتحل فهما معه يحملان زاده وممكنه وعمدانه بقوته وكسوته . يعيش عيشة التشف

والقناعة منذ القدم ، لا تكتفئ الا الرمال الشاسعة الاطراف ولا يهن خيلته
غير مؤثرات بسيطة طفيفة في ذاتها مما أحاطته بها الطبيعة . لذلك نشأ قليل
الاساطير ومن ثم قليل الاقصيص . فأساطيره هن النجوم بسيطة ساذجة نشأت
من سمائه العسافية وكثرة تخنيقه فيها ثم اضطارره الى الاسترشاد بنجومها في
السير ليلا . أما عبادته الاولى - التي هي نوع من أنواع الاساطير ، بأصنامها
وطقوسها - فكانت سهلة خالية من الرهبة والمعظمة . فالاله الجاهلي كان الها
غير مخيف ، والاشخاص الخياليون من جن ومردة وشياطين كانوا غير مرهوبين .
وكثيراً ما وجدناهم مسلمين على جانب من الظرف والجون . ومن اغرب ما
يروونه هن آلهته ان العربي الجاهلي كان يصنع آلهة من «العجوة» ويستمر في
عبادته حتى اذا جاع أكله . فهل سمعنا به يمتن هذه المهانة لولا انه قليل
المهابة في قلوب عباديه .

وبالعكس من ذلك نجد التخيل عند الهندي قوياً وصحياً وهو الذي
أحاطته الطبيعة بمناظر رهبة اثرت في مخيلته تأثيراً صيحاً فكانت من أهم
العوامل التي انتجت في آداب الاساطير ومن ثم القصص والاقاصيص . والادبيات
الهندية فيها كثير من القصائد القصصية هن حوادث البطولة وأهمها قصيدة
«المهابهاراتا» التي ذكرناها سلفاً . والاساطير الهندية مفعمة بالحوادث
الرهبة وبالأشخاص المخيفة وبالمناظر المرعبة . فهي صورة لما كان يتخيله ساكن
البلاد من غاباته وكهوفه وجباله وحيواناته . وقد جاءت الديانة الهندية كثيرة
التمعبد في طقوسها ، آلهتها عظيمة جبارة قاسية لها المعابد الفخمة والآثار
التيمة .

وقد أتى الاستاذ العقاد في مقالاته الشيقة الممتعة عن الاساطير عند العرب
بثلاثة أسباب هامة تفسر لنا قلة الاساطير العربية . وهي أولاً : نظرية
«الاقليم» التي شرحناها مفصلاً الآن والتي لمتبرها أهم الأسباب كلها . وثانياً :
نظرية «التاريخ» وثالثاً : نظرية «النسبة» . أما نظرية «التاريخ»
فتتلخص في أن عبادة الموتى وتأليهم مصدر هام من مصادر الاساطير . وكان
هذا التأليه والعبادة ينشأ حينما يسحب الزمن وداعه الطويل فينسى الانسان
الشخص الميت الذي كان مثله والذي نسب له فيما بعد الخوارق والمعجزات

فأصبح بطلا عظيما ثم الها مرهوبا . فقدم الزمن هو الذي رفع هؤلاء الاموات الى صفوف الآلهة . وبما أن آلهة العرب لم تكن قديمة واشخاصها كانوا مسروبن عندهم . وهم أشخاص من الصالحين ذوي الأخلاق الطيبة والصفات المحمودة ، حفظ الرواة أخبارهم وتناقلوها بأمانة لقوة ذاكرتهم وشهرتهم في حفظ الاخبار . فلم يؤهلوها كآلهة بل كأشخاص اتقياء من الصالحين فحسب . لذلك لم يخف العربي آلهته ولم يرهبا خوف الهندي من آلهته الجبارة . أما نظرية « النسبة » فتتخصر في أن الانسان القديم كان يسمى الجوامد بأسماء هي في الأصل صفات واستعارات كان يستعملها للشيء . فلما قدمت هذه الصفات والاستعارات صار للجوامد صفة الحي وأصبحت له شخصية تماثل شخصية الاحياء (وهذا منشأ الاساطير) . وانفصلت على صر الدور هذه الصفة وتلك الاستعارة فصارت كل منهما مخالفة لمعناها الاصلى . أما عند العرب فان الكلمات من صفات واستعارات ما برح معناها الاصلى أى الاول يمتزج بحسبها فلم تتغير ولم تتخذ لها معنى آخر يخالف ما وضعت له وذلك لعدم تشعب اللغة عندهم وبساطة ألفاظها التي تبر كل منها على معنى محدود . لذلك لم تأخذ الجمادات عند العرب شخصية الأقدمين .

وهناك سببان آخران معقولان يفسران قلة القصص عند العرب .

أولهما : أن العرب كانوا يمتزون بأدابهم ويستخرون بها معتقدين أنها فوق الآداب الاخرى بلاغة واحكاما فلم يلتفتوا الى آداب الامم التي ترجوا عنها علومها وفلسفتها لاعتقادهم بأنهم في غنى عنها . والذي ساعد على ذلك « دين الاسلام » الذي أبطل عبادة الاصنام وحطم الآلهة . وكان قادة الامة الاسلامية ومفكروها من حكام وعلماء يخشون عودة الافراد للديانة الوثنية القديمة اذا وجدوا في « وثقاتهم الجديدة شيئا يحرك فيهم أثر تلك المقيدة . فلما ترجوا عن اليونان أهلوا أدبياتهم من شعر قصصى وروايات تمثيلية وهما من نوع القصص ، لانها كانت مؤسسة على (الميثولوجيا) الاساطير . وأساطيرهم كانت مفعمة بحوادث الآلهة التي لا يقرها الاسلام بل يعتبرها ضد الدين . أما العلوم التي نقلوها فكانت لا تمس الدين في شيء لذلك أقبلوا عليها نقلا ودراة ونشروا في العصر الممالي - عصر النهضة العلمية الحقة - لانها كانت لازمة لرقى

الامة المادي . وقد وقفوا متعبرين أمام الفلسفة وهل يصح نقلها أم إهمالها ولكن لم يطل تحيرهم طويلا إذ أقدموا على نقل ما وجدوه منها غير منافع لأحكام الدين العامة . وقد استعانوا بنظرياتها ومباحثها العقلية الصرفة على تأييد براهين الدين العقلية ودعمها . واثار فلسفة أفلاطون وأرسطو في الفلسفة المربية خصوصا الاخيرة منهما عظيم لا ينكره أحد . وقد سعى العرب أرسطو بالعلم الأول وشرحوا فلسفته وعلقوا عليها كثيرا . لذلك وجدناهم لم يتعرضوا للزيادة وهي أكبر اراث أدبي ورثه العالم من اليونان بل اكتفوا بنقل بعض الحكايات عن الفرس والهند لأنهم وجدوها بريئة من أساطير الآلهة . وليس في هذه الحكايات ما يشعر الانسان بالاساطير غير شخص « الجان » والجان أقرته الديانة الاسلامية .

ثانيهما : وهو مرتبط بالاول أن الفنون الجميلة من حفر وتصوير وتمثيل وموسيقى وشعر تعتبر أساس الفن القوي . وجعلها ان لم يكن كلها مرتبط بالاساطير أيضا . فالتمثال أي (الحفار) كان يصنع تماثيل الآلهة ، والمصور كان يصور حوادث البطولة والجمال ، والممثل كان يمثل أفاعيص الاساطير وهلم جرا . والفنون الجميلة لا تزهر ولا تنتشر الا اذا زهت المدنية وارتقت لأن الفنون كالية تأتي بعد اكتمال الضروريات وتنتشر كلما اقترب الناس من هذه الكماليات . ونحن اذا نظرنا الى الأمة العربية في الزمن الجاهلي وجدناها قليلة الفنون فالتماثيل لم تكن الا تماثيل ضرورة أوجدتها ضرورة الدين فلم يكن عليها أي أثر من آثار الجمال الفني التي امتازت به تماثيل اليونان ، والتصوير كان معدوما تقريبا وكذلك التمثيل . أما الموسيقى والشعر : فأولهما موسيقى فطرية ساذجة ليس فيها شيء من الروعة وثانيهما كان شعراً وجدانيا صرفاً مهيأ من نفس صاحبه . والشعر الوجداني قسم من أقسام الشعر لا الشعر كله . وساذجة الفنون الجميلة عند عرب الجاهلية راجعة الى بداوة حياة العربي وبساطتها وتأثير طبيعة أرضه ومناخها على نفسه وذهنيته . وعند ما تم الفتح الاسلامي وبدأت المدنية الاسلامية تتمثل مدنية الفرس واليونان لتؤسس عليهما مدنيتهما واينا انتعاش الفنون الجميلة بعض الانتعاش ولكن وقف الدين حائلا دون أن

تتخطى هذه الفنون الدرجة الأولى منها فلم نر للتصوير الفني الراقي أى اثر في الاسلام ولم نجد بطبيعة الحال تماثيل تعبر عن الجمال . كذلك خلت البلاغة العربية من التمثيل والشعر للتصريح . أما الموسيقى العربية فقد استمانوا بالموسيقى الفارسية في ادخال ضروب جديدة فيها لتوافق المزاج الشرقي وفوقه . وبمخلو المدنية الاسلامية من الفنون خلت أيضا من القصص لارتباط الأخيرة بالأولى .

الاسباب التي دعت لتأليف القصص العربية

أول الاسباب : أن الانسان بفطرته يحب لحوادث الحرب فخور باعمال الابطال فهو دائما يرويها ممجدا أشخاصها مهتما بحوادثها . ولكل أمة حق ولكل قبيلة أبطال يفتخر بهم وباعمالهم . والامة العربية ككل الامة وقعت فيها حروب وظهر من بين أفرادها أبطال نجاء الرواة والمحدثون يروون أخبار هذه الحروب ويتحدثون عن هؤلاء الابطال .

ولست شجاعة الابطال في الحرب وذكر الوقائع هي كل ما كان يروى من تاريخ الامة بل كان للصفات الأخرى التي كانت تعبر عن المثل الأعلى لنفسية الامة وأخلاقها اهتمام كبير عند الرواة . فهناك حوادث كثيرة عن الكرم والوفاء والجود والشفقة والاباء والتضحية في سبيل الشرف وغير ذلك مما امتاز به العربي من الصفات الجليلة . فنشأ من هذه الروايات والحوادث الواقعية أول أساس للقصص العربية .

ثاني الاسباب : انتشار حياة الترف والخلاعة والمجون في الوقت الذي أخذت فيه مفاصل المدنية تتفلنل في حياة الشعب الاسلامي في العصر العباسي حيث كثرت مجالس المنادمة والغناء والرقص والسمر والمربدة في بيوت الموسرين والافنياء وبالاخص في قصور الامراء والخلفاء التي كانت مكتظة بالجوارى الحسنات مما أدى الى ظهور أقاصيص بعضها واقعي وبعضها مخترق عما كان يجري من حوادث الخلاعة تحت طي الخفاء . وكان لفن الغناء وظهور الشعر الغزلي الذي احتاج اليه الفنانون في غنائهم تأثير كبير في تطور هذه الاقاصيص . فالعامة والفقراء الذين كانوا محرومين من وسائل الترف وأسباب الخلاعة والمجون كانوا يرغبون

بطبيعتهم لسماع أمثال هذه الاقاصيص الفرامية بما فيها من أوصاف لحياة الفنى والخلافة ورواية لشعر الفناء الملحن على ضروب الرقص لينعموا بالسباع دون الرؤيا . فانتشرت على اساس هذه الرغبة تلك الاقاصيص الفرامية عن الخلفاء والامراء والقضاة والشعراء والنسباء ، اختلط صدقها بكنسها .

ثالث الاسباب : بحث الاستاذ الفاضل الدكتور طه حسين في « حديث الاربعاء » بحثا وافيا عن الشعر الغزلى في عصر بنى امية وظهور انقص الفرامية . وسيكون كلامنا في هذا الباب على اساس هذا البحث .

حينما انتقلت الخلافة الى دولة بنى امية في الشام وصارت ملكا يتوارثونه عملوا على اقضاء الطامعين في الحكم من بيت النبي صلى الله عليه وسلم اما بالحرب واما بالاغراء أو بالتهديد حتى تم لهم الامر وانفردوا هم والمنسبون لهم من أقارب وأنصار بادارة زمام الدولة . وكانت جزيرة العرب مسرح تلك الحروب . وكان أهلها من سكان البوادي والخواضر مثيريها فلما انتهى القتال وانهرمت شيمه بنى هاشم واستتب لبنى أمية الحكم رجع كل انسان الى مكانه الاول يعيش فيه . فاهل المدن الى مدنها واهل البادية الى باديتها . وكان اليأس يخيم على قلوبهم جميعا واضطروا بامر الحكام أن يمتثلوا السياسة ولا يشتغلوا بامور الدولة فرضعوا مرغمين . وكانت السياسة والقتال شغلهم الشاغل فلما حرروا منها ضجروا وجاش صدرهم برغباتهم المكتومة فبحثوا عن منفذ أو محول لها فتم لهم ذلك ، كل على حسب بيئته وحاله الاجتماعى . فاهل المدن (سكان مكة والمدينة) اجتمع فيهم اليأس والثراء - يأس فى السياسة وثراء من الآباء أو من الحكام الذين أغدقوا عليهم المال اسكاتا لالسننتهم . فنتج من ذلك اللهو والخلاعة . ومن منا اذا كان غنيا ويأثما من الحياة ليس له مطعم ولا عمل فيها لا يولى وجهه شطر اللهو . ومن هذه الجماعة قامت فئة الشعراء الغزليين الذين كانوا يصفون ما يشاهدونه وما يشعرون به . فجاء الشعر الغزلى الحقيقى (وهو غير الخيالى) . وامام هؤلاء الشعراء عمر بن أبى ربيعة . أما أهل البادية فقد اجتمع فيهم اليأس والفقر . وفوق ذلك فكانوا يعيشون عيشة سداجة وتقشف خالية من وسائل الراحة . ولكن الايمان كان يعمر قلوبهم ، وهو الملجأ الأيمن الذى يلجئ اليه الفقير البائس ، المتقشف بالرغم منه ،

ليتهم بما فيه من ساي واطمئنان . نتج من هذه العوامل زمان وتصور .
 ووجد بين هؤلاء الزهاد والمتصرفين شعراء خياليون وصفوا الحب المذموم
 الطاهر وتذللوا في أشخاص وهميين . وامام هؤلاء قيس بن الملوح (مجنون
 ليلى) . هذان القسمان - الشعر الغزلي الحقيقي ، والشعر الغزلي الخيالي - كانا
 مصدر الغناء . فلما كثرت مجالس النساء والمناذمة احتاج الناس الى هذا النوع
 من الشعر ، الذي كان شعراء البوادي والخواضر يؤلفونه لانفسهم واصفين
 فيه محاسن حبيباتهم وراوين فيه حوادث حبيبهم وغرامهم ، حقيقة وخيالا .
 ولما لم يكن هذا كافيا لحاجة الناس اضطر صناع الشعر ان يصطنعوا مقطوعات
 نظمية ظاهراً عليها الصنعة على نمط الاخرى ليسدوا بها ذلك السجور . واحتاج
 الناس أيضاً بحسب الاستطلاع الفريزي الى تفسير هذه الاشعار ليسرفوا هم
 وضعت ولم نظمت . وطلبوا وصل الحوادث التي من شعر واحد ببعضها ،
 فارتضاء لهذه الحاجة الطييمية نشأت الاقاصيص على ألسنة الرواة والمحدثين .
 فنشوء هذه القصص ظاهرة طييمية انتجتها العوامل السالفة الذكر . وأهم
 هذه القصص ثلاثة : قصة مجنون ليلى (قيس بن الملوح) ، وجميل بثينه (جميل
 ابن الممر) وقيس لبي (قيس بن ذريح) . ومن هذه القصص ما هو مختلف
 لاجل وجود لاشخاصه كتقصه المجنون ومنها ماله أصل حقيقي ولكنه تبدل وتغير
 على ألسنة الرواة وجامعي الاخبار كتقصه عمر بن أبي ربيعة . والقارئ
 لهذه القصص يتضح له لأول وهلة عدم انطباق حوادثها على الواقع ففيها الشيء
 الكثير من خوارق الحياة وعجائبها النادرة المعقولة . ومجموعة اشعارها تضم
 الطيب والردى فينا تقرأ قصيدته تشمرك بروح قائمها وتصلك بقلبه وفكره
 ثم على اخرى فلا تجد فيها الا كلمات مرصوفة عليها مسحة الصنعة والتكلف .

رابع الاسباب : ذكرنا قبلاً أن القصص تنقسم الى قسمين . قسم موضوع
 وقسم منقول . فالقسم المنقول نقل معظمه من الفارسية والهندية واشتمل
 على مجموعة من القصص والاقاصيص أقبل على قراءتها وسماعها الناس لما
 وجدوا فيها من حوادث غريبة وأوصاف شيقة لم تكن مما تشاهد عندهم .
 ولما بدأ الرواة وناسخو هذه القصص يغيرون ويبدلون فيها وفقاً لذوق الجمهور
 ليزدادوا انتشارها ورواجها بدأت من ذلك الحين فكرة التقليد فاستطاع الراوى

بعد ان غير القصة القديمة فجعل منها قصة جديدة أن يقد بنفسه حوادث القصة القديمة فيخرج للناس اخرى من تأليفه . ولم يقتصر الحال على الرواة في تصنيف هذه القصص بل تعداهم الى غيرهم من الفراء والسماع . والذي ساعد على ذلك انتشار الفتح الاسلامي وانضمام عناصر غربية من المنصر العربي الى الامبراطورية الاسلامية فكان هناك الرومي والفارسي والهندي والصيني وسكان شمال افريقية وأطاحم الاندلس . ولا تناسع المملكة في ذلك الوقت كثرة الانتقال والهجرة لضرورة الاستعمار والتجارة وقطعت المسافات الشاسعة ارضا وبحراً . فبهذا الاحتكاك الذي تم بين العربي وبين الامم الاخرى ، وما استفاد من تجارب الرحلة وتبادل الآراء ، وما تحمله من مشقات ، وما شاهده من مناظر لم يكن قد رآها من قبل وعادات لم يكن يعرف عنها شيئاً ، كل هذا أطاحه على التأليف القصصى ولو من قبيل المحاكاة والتقليد .

أشهر أقاصيص وأقاصيص في البيطرة المصرية

سنقتصر في هذا الباب على ذكر أشهر التأليف القصصية المرووفة مع ذكر شيء عنها حسب أهميتها .

كتاب كليم ودمه

ترجم هذا الكتاب من الفارسية الكاتب البليغ ابن المقفع . وكان قد نقل من الهندية الى الفارسية من قبل فهو هندي الاصل وضعه فيلسوف هندي يدعى « بيدبا » رغبة منه في اصلاح الملك « ديشليم » الماهل المستبد . ألفه وجعل أقاصيصه على السنة للطيور والحيوان لاهتقاد البراهمة من قديم بتناسخ الارواح . كلنا نعلم عن هذا الكتاب شيئاً قل أو أكثر ولكننا لا نجهله مطلقاً لانه ما زال حتى الانساعة من مقررات كتب المطالعة في المدارس الثانوية المصرية . هو قصة تحوى هذه أقاصيص ضمنها المؤلف كثيراً من الحكم . لغته العربية جيدة للغاية وهى من النوع الذى يقال عنه « السهل الممتنع » لسهولة ومثاقته في آن واحد .

لم يكن الغرض من هذا الكتاب سوى بث المواعظ والحكم وشرح الفضائل ونتائج الطيبة والرفائل ونتائجها المذمومة ترغيباً في الأولى وذهماً في الأخرى . وفيه كثير من طرق الحيل والمكر في الحياة اجتناباً لمواقفها الوخيمة .

الصالح والباعث

قال صاحب كشف الظنون عنه انه : « منظومة على اسلوب كلیلة ودمنة في ألفي بيت لابن الهبارية المتوفي سنة ٥٠٤ هجرية . فيه قصائد وأراجيز... » ألف هذا الكتاب في أواسط العصر العباسي بعد ظهور كتاب كلیلة ودمنة بجمدة كبيرة . فان وفاة ابن المقفع كانت سنة ١٤٣ هجرية ووفاته ابن الهبارية سنة ٥٠٤ هجرية . والظاهر ان كتاب كلیلة ودمنة كان له تأثير كبير على أذهان الناس خصوصاً المؤلفين . فقد نقله كتاب كثيرون غير ابن المقفع ونظمه عدة شعراء من بينهم صاحب (الصادح والباعث) في كتاب سماه « نتائج الفطنة في كتاب كلیلة ودمنة » . لذلك لا لمجب اذا رأينا ابن الهبارية بعد مضي أكثر من ثلاثمائة عام يفكر على طريقة يبدأ ويقلده في وضع اقاصيصه . وهذا التأثير الذي نشاهد قد هم كثيراً من المؤلفين أمثال « اخوان الصفا » فوضعوا كتاب « الانسان والحيوان » وكذلك ابن عرب شاه وضم كتاب « فاكهة الخلفاء » وهما كتابان على نمط كلیلة ودمنة . وقد تهافت غير هؤلاء اما على ترجمة كلیلة ودمنة واما على تقليده . وهذا يفسر لنا كيف كان هذا النوع جديداً عند الامة العربية وكيف كان مجال التأليف فيه ضيقاً . فكتاب كلیلة ودمنة وان كان جديراً بالقراءة الا أنه ليس من الكتب الخالدة التي تهز المشاعر وتنزل الوحي في حقول الكتاب مثل الايافة .

الانسان والحيوان

الانسان والحيوان قصة خرافية ألفها « اخوان الصفا » في القرن الرابع عشر الهجري . هي ذيل لرسائلهم الشهيرة . تحوى مناظرات بين الوحوش وأنواع الحيوان مع الانسان . وهي وان كانت على نمط كلیلة ودمنة في وضع

الحكمة والفائدة على ألسنة الحيوان فيمكننا اعتبارها قطعة من الفلسفة الطبيعية
تعبّر عن آراء هؤلاء « الاخوان » وترب لنا عن نظرياتهم في الظواهر الطبيعية
للإنسان والحيوان ومميزات كل نوع عن الآخر . وجمعية « اخوان الصفا »
جمعية اسلامية فلسفية اتهمت بالاحاد لجراتها على تفسير غوامض الطبيعة بما رآه
بعضهم مخالفاً للدين الاسلامي . واذا عرفنا ان واضعي رسائل اخوان الصفا قد
خاضوا مباحث عظيمة مثل النظر في مبادئ الموجودات واصول الكائنات
وماهية الطبيعة والارض والسماء وعلم النجوم وتكوين المهادن والمناخ وعلم
النبات والحيوان والمنطق وتركيب الجسد الى غير ذلك من المباحث العلمية العملية
الجليلة استطعنا ان نقدر هذا الكتاب القصصى قدره لالكونه قصصيا بالمعنى
الصحيح الذى نريده نحن ولكن لاشتماله على نظريات هؤلاء الفلاسفة عن
الإنسان والحيوان وما انتجه بحسب المتواصل في السكون وذلك بأسلوب قصصى
لا يله القارىء .

فما كثره الخلفاء

مجموعة حكايات من تأليف « ابن عرب شاه » المتوفى سنة ٩٠١ هجرية .
نحا فيها نحو كلية ودمنة فجعل بعض اقصيصها على ألسنة الحيوان والبعض
الآخر اقصيص عن الملوك والامراء وما شابه ذلك . وكلها ذات مواضع وحكم
تبعث في النفس الفضائل .

القصص القرآنية في عصر بنى امية

(اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على مقالات النزليين « في حديث الاربعاء »
للاستاذ الدكتور طه حسين)

أشهر هذه القصص ثلاث : « قصة مجنون ليلى » و « جليل بئنه » و « قيس
لبنى » . واستطيع أن نضمها في صنف القصص والاقصيص لاحتوائها على أهم
العناصر المتوفرة في بناء القصة عامة . وليس هذا معناه أن شروط الجودة
والإتقان قد توفرت فيها فاصبحت تضاهي القصص الغربية . إنما أردنا بما

قلناه أنها بالنسبة لغيرها مما قلنا فيه المؤلفون كيلة ودمنة وغيره يصح أن نجعلها في الصف الأول للتخصص العربي بمد الف لية و لية . أما إذا قارناها بالتخصص الغربي بدأ لنا نقصها فظهرت قصصا ضئيلة التآليف تكاد تخلو من حادثة معينة تربط القصة ربطا محكما وتجعل لها قلبا واحدا ، قد حشيت بالوقائع الغير المطابقة لحوادث الحياة والتي لا يقبلها العقل مطلقا . وهي التي لم يشكف مؤلفها وضمها إلا ليكمل قصيدته أو مقطوعته الغنائية سببا وأصلا . أما أشخاصها فليس لهم في الغالب شخصية ولا لون فهم أقرب إلى الغدوض والتلاشي منهم إلى الوضوح والبروز . وأهم ما يبدو لنا في نقصها خلوها من التحليل النفسي فقد أتى فيها مؤلفوها على طائفة من المبالغات المضحكة مسخت الأشخاص وشوّهت الحوادث .

وأشخاص هذه القصص المذكورون في التاريخ ولكن منهم « كالجنون » قد اختلفوا فيه اختلافا عظيما يؤدي بطبيعة الحال إلى الاعتقاد بأنه شخص خيالي لا حقيقي . أما جميل بن الميمون وقيس بن فريح فهما وإن كنا نعتقد وجودهما ولكننا ننكر شخصيتهما على المثل الذي رسمه لنا المؤلفون . وكذلك الحادثة فهي وإن كانت تمت بصلة إلى التاريخ فقد نالتها السنة الرواة حتى غدت اكذوبة جديدة قطعت صلتها بالماضي . ولكننا ننصف الحقيقة إذا قلنا بأن هذه القصص مع ما جاء فيها من ضئف ونقص تمثل فنا من فنون البلاغة كان زاهرا في العصر الأموي . وما هؤلاء الرواة والمحدثون - الذين كانوا يحملون شعر البادية إلى حواضر الشام حيث كانت مجالس الفناء والمنادمة تستلزمه - إلا فنانون (على قدر حالهم) استعملوا خيالهم في صناعة هذه القصص ليسلوا الناس بها ويقدمون لهم ما كانوا فيه راغبين .

وقد اشتركت هذه القصص السالفة في أمور دلت على أن ينبوعا واحدا كان يستقي منه مؤلفوها حوادثها هو ينبوع البادية . فقد كان بطل القصة بدويا يعيش مهيضة السداحة والقناعة يحب حباً عفيفاً طاهراً ملك حياته وعقله ولقى فيه مصاعب ومشتات حجة . يقول الشعر ممبراً به عن خواطر نفسه وروحه

قصة مجنون لبلى

لا يريد أن نكتب فيها نكتبه عن هذه القصص مواضعها بالتفصيل لأن غرضنا فرض جوهر القصة وتحليلها . وموضوع قصة مجنون لبلى يتضمن ست حوادث لا تخلو منها أو من مظاهرها قصص هذا العهد الفرامي . وهي تنحصر فيما يلي : أحبه قيس بن الملوح لبلى ، أراد أن يتزوجها ، أبى عليه أدله هذا الزواج ، زواجها بغيره ، جنونه ، موته . وحوادث القصة كما ذكرنا سابقاً مشوشة ليست لها رابطة وشخصياتها واهية ضمنية خصوصاً شخصية البطل الذي خلط المؤلف في وصفه خطأ مضحكاً فلم يفرق بين الشخص المجنون والشخص الفيلسوف ، والخيال في القصة مخيف للغاية لأن « قيس » الذي أراد المؤلف أن يجعله مجنوناً كان على تمام القتل يروى شعراً غاية في الجودة . ولكنه كان كثير الغشيان والاعتماد فأذا سمع لفظة لبلى أو شيئاً منها خر مغشياً عليه . وقد زهد الناس واجتمع فهرب إلى حيث طاش الوحوش مؤثلاً بهم مؤتسماً به . فإذا كان قيس بن الملوح مجنوناً حقاً لرأيناه غير قادر أن يعبر عن شعوره بشعر منسجم رقيق كالذي قاله . أما إذا كان فيلسوفاً طافلاً لما رأيناه كالطفل يبكي وينوح أو يغمى عليه بعشرات المرات في اليوم وحده ، أو تحترق يده فلا يشمر بلهب النار حينما كان يسمع شيئاً عن محبوبته . على هذا المثال أخرج لنا مؤلف قصة مجنون لبلى شخصيات قصته وعلى هذا النحو من الخلط ذكر لنا حوادثها .

قصة جميل بثينة

هذه القصة وإن كانت أقل سخفاً وضعفاً من سابقتها نسبياً فهي لا تخلو في كثير من نواحيها من هذا السخف والضعف . كان جميل بن الميمون شخصاً تاريخياً أجمع على وجوده الرواة والمؤرخون . ولكن المؤلف مسخفه مسخفاً مؤلماً فلم يحافظ على شخصيته التاريخية ولم ينجح في خلق شخصية أخرى له توافق ما أراد له لبطول قصته . رغب المؤلف في أن يكون حب جميل حبا هندسياً طاهراً ففشل في ذلك وجاء حب جميل خليطاً من الطهر والفساد . ويظهر أن هذا

المؤلف قد تأثر بشخصيتي امرى القيس وعمر بن أبي ربيعة في بعض الاحيان
فألبس بطله شخصيتي هذين الشاعرين وجعله يقلدهما في الأفعال والأقوال
ولكن تقليداً مزيفاً مضحكاً . والقصة تتلخص في خمس حوادث مهمة : أحب
جميل بثينة ، رفضت طائفة ان تزوجه منها ، زواجها بغيره ، لوعته
وهيامه ، موته .

قصة قيس ليلى

هذه القصة أفضل قصص الجنون وجميل فقد امتازت بمميزات كثيرة تؤهلها
لان تكون قصة جيدة بالنسبة لثباتها . وسند ذكر هذه المميزات بعد سرد
حوادث القصة ليظهر للقارى حقيقة هذا القول . والقصة تتلخص فيما يلي :
أحب قيس بن ذريح ليلى حبا عظيماً وطب أن يتزوجها فرفض أبوه ذلك
الزواج لانه أراد أن يزوجه من طائفة خوفاً من انتقال الثروة للأغراب ، ولكنه
رضخ أخيراً حينما توسط الحسين بن علي في أمر هذا الزواج ، فتم بفضل
وساطته . تزوج قيس وعاش سعيداً مفعوراً بذلك الحب . ورأت أمه ان
الزوجة قد سلبت ابنها من أحضانها وانزعجت حبه لها من قلبه فلم يعد ذلك القلب
يخفق الا بحب واحد ، حب الزوج لزوجته . فاستأمت وبدأت تحوله عن زوجته
ليعود اليها ففشل . فوجهت شطرها ناحية الأب وجعلت توغر صدره هلى
زوجة ابنه غيرة منها وكرها لها . وأخبرته بأنها عاقران تلد لابنه نسلًا يحى اسمه
ويخلد بيته فغضب الرجل . وقد استطاعت المرأة أن تصدمه في الناحية الضعيفة
منه فطلب من ابنه أن يطلق زوجته أو يتزوج عليها أخرى تلد له نسلًا يحمل
اسم العائلة ويحافظ عليها فرفض الابن رفضاً باتاً . ولكن بالرغم من ذلك الرفض
أصر الأب على طلبه وألح على ابنه الحاحاً متواصلاً تارة باللين وتارة بالفضب
والوعيد . فاتفقت في قلب الشاب ثورة هائلة وتنازعت طافتان قويتان طامنة
الزوج وطامنة الابن . فاذا جارى الاولى فقد أغضب الابوة وازدري بها ،
واذا جارى الثانية فقد طعن قلبه وقلب حبيبته . ودام هذا النزاع مدة طويلة
لا تعرف مداها بالتدقيق فقد خلط فيها الرواة ولكنه انتهى الى أمر انتصر
فيه واجب الابوة فطلق قيس زوجته بالرغم منه وهو يكاد بفعله هذه يتنزع

من بين جنبيه قلبه . وجاءت بعد ذلك حياة الشتاء والنكد التي قاتل فيها المحبان وله الحب واصطليا بناره المستمرة . وتزوج قيس في النهاية ولكنه لم يستطع البقا سمع من تزوجها . وتزوجت لبنى أيضا على كره منها . وتنتهي القصة بموضوعين مختلفين فيهما الرواة . الأول بالموت . والثاني بالزواج ، أي زواج قيس من لبنى ثانيا .

هذه القصة تمتاز على غيرها بشيئين بارزين . أولهما ان حوادثها وأشخاصها منتزعة من الحياة في ذلك العصر . فقد افترغ المؤلف حوادثه في قالب من الحقيقة ورسم أشخاصه ممن كان يراهم حوله من الناس فأتى بشيء جديد . وهو وان كان قد بالغ - شأن كتاب هذا العهد - في الاوصاف ، لكن مبالفته كانت اقل من غيرها . وثانيهما انها حوت شيئا من التحليل النفسى الذي فشل مؤلفو القصص الاخرى في عمله . فقد كانت آمثال أبطال القصة من أب يريد احترام كلمته ويرغب في نسل من أمه وعشيرته يتخذ اسمه ويحافظ على ثروته ، ومن ابن يتنازع حب الأب وحب الزوجة ، ومن أم حب في قلبها ديب الفيرة حينما رأت ابنها الوحيد الذي جعلته مطامح أمها في الحياة وموضوع حبها قد هجرها وسلم زمام مفله وقلبه لزوجته اللدله بحبها ، ومن فتاة يائسة رأت نفسها في مركز حرج فبينما هى محبة لزوجها لا تريد منه انفصالا فجدد لها لا تريد أن تكون عقبة في سبيل سعادة أسرته وهنائها الدائم في المستقبل . ورسم المؤلف أشخاصه من الحياة وجعلهم يسرون في أعمالهم على أصول نفسية صحيحة ورتب حوادثه على هذه الأصول فجاءت معقولة . فالمادة الهامة في القصة أو ما يسمونها (العقدة) التي بينى عليها المؤلف قصته هي « النداء بين الام وزوجة ابنها » . وهذا النداء الذي تميزه غيرة الامومة صحيح ومعقول وكثير الوقوع في الحياة . والقصة وان كانت قد حوت مميزات وفستها من غيرها فلم تخل من المبالغات وشيء من السخف في الحوادث . ولكنها جديدة بأن تقدم من القصص الجيدة في ذلك العصر .

الف ليلة وليلة

كتاب ألف ليلة وليلة وكلنا نعرفه حق المعرفة كتاب مشهور في عالم الأدب العربي طبع عدة طبعات عربية ونقل الى معظم اللغات الأجنبية . ويكاد يجمع طامة الأدباء والباحثين على اعتباره أنه الكتاب القصصي الوحيد بالمعنى الصحيح في الآداب العربية . وهذا حق اذا قارناه بما كتب من القصص والإقاصيص العربية في مختلف السهور .

مصادر الكتاب

مصادر الكتاب ثلاثة . أولا : كتاب « هزار افسانه » الفارسي أي ألف خرافة وهو مجموعة قصص خرافية فارسية وهندية . ثانيا : قصص كتبت على نمط القصص الأصلية بعد أن تغيرت الأخيرة وتبدلت بأيدي الكتاب وعلى ألسنة الرواة والمؤلفين . وهذه القصص المقلدة تتضمن قصصاً كتبت في بغداد واخرى في مصر ظاهر على كل منها ما يعزها عن الاخرى . وقيل ان كثيرا من اليهود اشتركوا في تأليف هذه القصص . ثالثا : ما جمعه أبو عبد الله محمد بن عبدوى الجيهشاري صاحب كتاب الوزراء من حكايات ونوادير للعرب والعجم والروم مما كانت تروى في حفلات السمر والمناادمة بواحدة السامريين . ومن هذه القصص حكايات عن الرشيد وأبي نواس وحاتم طي وغيرهم . وهذه القصص اما ان يكون لها أصل واقعي أو أن تكون موضوعة وغيرت بتداولها من لسان الى لسان

ومجموعة قصص ألف ليلة وان اختلفت في مصادرهما فقد انتهت الى أن تكون مجموعة جديدة ليس لها صلة بأصلها ، عليها طابع واحد وتكاد تكون لها وحدة مستقلة عن غيرها فقد نحى الأصل الفارسي بما لحقه من التبديل الدائم الذي كان يقوم به الكتاب والرواة ارضاء لذوق الجمهور .

نقد الأساليب والأفكار في الكتاب

والكن بالرغم مما تقدم يمكن للباحث المتمعن الذي يريد أن يرد القصص إلى أصولها ومصادرها ويكشف النقاب عن مؤلفيها أن يفرق بين القصص وبعضها ويلحق كل واحدة بقسمها الخاص بها ، ولا ريب في أن هذا العمل دقيق يتطلب معرفة تامة وخبرة كبيرة . فالذي يريد فحص القصص على هذا المنوال وجب عليه أن يستعين بشيئين هامين هما من آلات الفحص والاختبار ، والمعنى بهما « الأسلوب والخيال » ، فمن القصص ذات الأسلوب العربي الصميم نعرف أنها كتبت في العصر الأول حينما كانت اللغة خالية من شوائب العجمة متينة التركيب تحمل آثار البداهة . وقد قيل إن الأصل نقل قبل القرن الرابع الهجري . ومن القصص التي كتبت بأسلوب يكاد يكون هاميا نعرف أنها من صنع مؤلفي العصر المتأخر حينما انحطت اللغة وكادت تغلب عليها لغة الدخلاء والعامية .

أما الخيال فهناك الخيال الفارسي الأصلي ظاهر في بعضها رغم التغير الذي لحقها . وهناك الخيال اليهودي يصور لنا في قصصه خرافات بني إسرائيل ويسمى لها أشخاصا بأسماء يهودية صرفة . وقبلما نخلق قصص هذا القسم من تلك الخرافات القديمة التي حوت الديانة اليهودية كثيرا منها ، أما القسم الإسلامي فقلما نجد فيه خرافات كثيرة تستمد أصولها من مصادر تاريخية أو دينية غير إسلامية . لذلك أتت القصص الإسلامية في الكتاب قليلة الخرافة تمتاز بوصف الحقيقة والواقع . وهذا شيء طبيعي قد فسرناه فيما سبق وهو أن الأمة العربية لم تكن أمة أساطير (خرافات) .

وأذا أردنا التفصيل والتشريح في معرفة أصول القصص ومؤلفيها فيمكننا تقسيم القسم الإسلامي إلى قسمين هامين : قسم بغدادى وآخر مصري . فالقصص التي كتبت في بغداد وما جاورها تختلف اختلافا ظاهرا عن تلك التي كتبت في مصر لاختلاف البيئة والأشخاص والعوائد . لذلك جاءت الأوصاف متباينة على كل منها رسم بلدها .

ولا ريب في أن الباحثين المتمعنين لهم أساليب عديدة يحجرون عليها في أبحاثهم ويستدلون بها على معرفة أصول هذا الكتاب الحاط بالأسرار والألغاز .

كما تقدم نعلم ان « الف ليله و ليلة » لا يحمل اسم مؤلف واحد حتى ولا
اسماء عدة مؤلفين معروفة لدينا فهو مجموعة قصص واقاصيص نقلها وألفها عدة
مؤلفين غير معروفين وبدلها وغيرها عدة رواة ونساخين على مر السنين حتى
وصل اليها كما هو الآن مجهول المؤلف غير واضح المصادر .

أهمية الكتاب

والكتاب له أهمية كبيرة لم يظن اليها الا بعض ادباءنا في الوقت الحاضر ،
وقد سبقنا في ذلك مستشرقو الأفرنج من أدباء ومؤرخين في تقدير الكتاب
حق قدره . والظاهر أن لغة التي هي في مجموعها أقرب الى العامة منها الى
العربية النضجى القديمة كانت السبب الأول في اغفال الادباء امره . فالتاس
لم تكن تأبه الا الأساليب الصريحة الحالية من شوائب الدخيل نافرة من
لغة العامة التي كانوا يخافون على الفصح من غزواتها الدائمة والتي كانوا يعتبرونها
خطراً حقيقياً يهدد كيان اللغة ويعمل على فسادها . لذلك احتقروا من كتب بها
ووضعه في صف العامة الذين لم يكتب الا لهم ومن أجلهم . أضف الى ذلك
قلة النوع القصصى في البلاغة العربية واعتباره كمية مهملة لا يمكن وضعها في
صف الخطابة والرسائل والشعر .

والكتاب يضم في جوفه كثيرا من السخافات وليس في قصصه شيء من مزايا
التصص الراقية غير ائلاف في بعض حوادثها . ولكن بالرغم من ذلك كله
فاهميتها لا ينكرها أحد من هؤلاء الادباء والمفكرين . فهو وان كان قد أسخط
فئة المحافظين الذين يخشون على اللغة اضحلالها وفسادها بتأثير العامة ، ولم
يرض فئة التصصيين المصريين الجامحين في أفكارهم وخطابهم من وجدوا فيه
تقصيرا كبيرا في استيفاء جميع العناصر اللازمة لبناء القصة الجديدة ، فقد أَرْضَى
كافة الادباء والمفكرين الذين اعتبروه سجلا هاما حوى أخلاق الامة العربية
وهوائها وانظمتها وأنكارها وسبل عيشها في الصور الاسلامية الوسطى .
وبالاجمال فالكتاب صورة واضحة « لحياتها الاجتماعية » في تلك الصور .
ومن ينكر فضل مؤلف يقدم لنا تلك الصورة الجلية في وقت قصير فيه
البلاغة العربية في تقديم مثل هذه الصور .

المقامات

حينما اتسعت المملكة الإسلامية على أثر الفتوحات ودخلت في الأمة العربية أجناس مختلفة جعلت تتكلم بلسان أهلها وبدأ الدخيل من الكلمات واللهجات والاصطلاحات ينتشر في ميدان اللغة الصحيحة قامت جماعات اللغويين والندوة ينهون الناس إلى مواطن الضعف ويحرضونهم على استعمال الأساليب الصحيحة والكلمات الصحيحة . فال مؤلف كان يخشى أن يكتب عن جهل والقاريء كان يزدرى ما عليه مسيئة العامة من كلمات وأساليب . فنتج عن ذلك أن أخذ المؤلف ينتقي الكلمات انتقاء ويتخير الأساليب تحييراً . وتماهى في ذلك الانتقاء وذلك التحير . وقامت المنافسة بينه وبين زملائه كل واحد يريد التفوق على سواه . فالتجهد الأذهان إلى الحسنات اللفظية وأهمل جوهر الموضوع فنشأت قواعد جديدة للأشياء امتاز فيها من استطاع أن يجيء بشيء مستملح من الالفاظ والأساليب يؤثر على السمع ويظهر للنظر ، ومن ثم كان السجع والإطالة والحشو . وتعمق المؤلفون الألفاظ المهجورة والأساليب الغريبة ليؤثروا بها على القراء ويظهروا لهم مبلغ علمهم بدقائق اللغة وتضلهم فيها .

في ذلك الجو الذي استمد منه المؤلفون لغة كتاباتهم وطريقة تفكيرهم نشأت المقامات . وهي شبه أقاصيص يتخذ لها المؤلف بطلا وهما يروى على لسانه ما شاهده من حوادث وما سمعه من أقوال . وليست للمقامات أي قيمة قصصية وإن كانت كتاباتها وضعت في الغالب القصص لانها خلقت من أهم مميزات القصة وهو (الحادثة) . لهذا هذا النوع من الكتابة من كثرة اختلاط العرب بالفرس وتأثر الأولين بحضارة الآخرين التي دخلت في سلطنة الآداب . فأراد مؤلفو العرب مجازاة منهم في تقليد البلاغة القصصية الفارسية أن يتبعوا شبيها جديدا في الأدب العربي يكون له نفس المكانة التي كانت له عند الفرس فأخذوا يؤلفون المقامات . وأول من طالعها وبرع فيها بدمع الزمان الهمداني (المتوفى سنة ٣٩٨ هجرية) . ثم اشتهر بعده الحريري (المتوفى سنة ٥١٦ هجرية) ثم الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨ هجرية) . وانتشر هذا النوع انتشاراً كبيراً حتى كان لكتابنا المعربين أثر كبير فيه .

فقد كتب الشيخ ناصيف اليازجي (المتوفى سنة ١٨٧١ ميلادية) كتابه «عجم البحرين» وهو مجموعة مقامات على نسق مقامات الحريري والهمداني . وكتب أحمد فارس الشدياق كتابه «الفارياق» وهو يصح أن نضيفه على كتب المقامات وإن اختلف عنها اختلافاً صغيراً لاحتوائه على وصف أسفاره وانتقاده لجماعة الأكلبيوس انتقاماً لما فعلوه بأخيه . وفي العصر الحاضر ظهر كتاب عيسى بن هشام ، وليالي سطيح . الأول لمحمد بك المولى عيسى والنثاني لحافظ بك إبراهيم . وهما على نمط المقامات ولكن الأول تفوق على سواء مما كتب المعاصرون من «الكتب المقامية» لأن مؤلفه لم يقتصر فيه على طريقة المقامات واسلوبها بل تعداهما إلى وصف البيئة المصرية فعرض أشخاصها بمهارة قصصية ينبسط عليها .

والظاهر أن الذي دعا هؤلاء الكتاب المصريين لأن ينسجروا على منوال المقامات ويسلكوا سبيلها الذي ابتدعه الهمداني على لسان «عيسى بن هشام» هو أنهم كانوا يريدون التوفيق ما أمكن بين الأدب الغربي والأدب العربي وكان معظمهم لا يجزأ على ابتداع شيء جديد في الأدب . فإذا أراد كاتب منهم بحكم تأثير المدنية الغربية أن يؤلف شيئاً على نمط القصص الغربية حول وجهه أولاً نحو دقائق الآداب العربية يفتش فيها عن شيء يستمد منه الأصول لصورة مؤلفه الجديد . كأنه كان يخشى أن يتهم بالمرق والحيانة إذا أتى بشيء لم يضع أساسه العرب . أو كان يخشى أن يقابل عمله بالامتهان من جمهور القراء المتوفرين على قراءة الآداب العربية القديمة ، الذين لا يتبدون بشيء جديد إلا بوجاهة مثالا فيما قرأوه . لذلك وجدناه يلجأ إلى طريقة المقامات التي وجدناها متفاداً لانتقاده . ولكنه بعمله هذا حصر مجهوده في إبراز شيء قديم بعذوبة حديثة . أي أنه لم يفعل شيئاً جديداً مبتكراً . بل وجدناه يرجع إلى السجع في الوقت الذي كان طامة الأدباء المصريين المتنورين قد استنكروه وعملوا على التخلص منه .

والقائمة وإن شابهت القصة بعض المشابهة فهي تختلف عنها في كثير من الأمور أهمها خلوعها من «الحادثة» . فوادئها وأوصافها ليست لها أي قيمة روائية . كذلك خلت من اظهار الشخصيات وتحليلها ودرس أخلاقها . وهي

وان كانت قد تضمنت الموصظة أو الحكمة أو النكتة المستلحة في قالب قصصي فكان الغرض من كتابتها أدبيا محضا ليظهر الكاتب براعته في فن الأدب بأساليبه المسجعة المكتوبة على قواعد « الحسنات البديعية » ، وتعمقه في اللغة بكلماته الفريية ، وتبحره في النحو بأغازه النحوية وعلم جرا .

رسالة الففران

لا يبعد أن يكون المري قد كتب رسالة الففران متأثرا من حيث لا يشعر بجو « المقامات » الجديد الذي انتشر فيه الأسلوب والتأليف القصصي . فقد توفي المري سنة ٤٤٩ هجرية أي بعد وفاة الهذلي بأحدى وخمسين عاما . ورسالة الففران تفضل المقامات بعدة سمات ولعل ذلك راجع الى ان « المقامة » كانت قد دخلت دماغ المري واستقرت فيه ولكنه تمثلها وأخرجها صورة أخرى حية مبتكرة ناضجة لم يسبقه الى اخراجها أحد من مؤلفي المقامات .

ونحن اذا قارنا المقامات برسالة الففران وجدناهما تتفق معهما في هذه نواحي وتفتق عنهما في أخرى . ففي الرسالة كثير من السجع والاشعار الصعبة الفهم والالفاظ الفريية وهذا ما يشبه المقامات منها . أما ما امتازت به الرسالة وبوت به المقامات فهو الفكرة الناضجة التي بنى المري عليها قصته . فلم تكن رسالة الففران مجموعة من الالفاظ الفريية مرصوفة بأسلوب خاص وطريقة في الانشاء خاصة بل هي فكرة جليلة أوجدها خيال ذلك الاصحى القوي وبنى عليها نقده للمادات والاخلاق من جهة ، ونقده لشعراء الجاهلية والاسلام وادبائهم بما فيهم الرواة والنحاة من جهة أخرى . فهي سفر جليل للنقد الاخلاقي والادبي في قالب قصصي خيالي مستحب وجميل . ومما امتازت به رسالة الففران ما فيها من سخرية خافية متغلغلة في أكثر نواحيها . ولعله سلك الطريق الذي سلكه من بعد « أناتول فرانس » القصصى الفرنسى المشهور فكلاهما كان له سخرية انتقادية لاذعة لا يشعر بها الا من قرأ بين السطور واستطلع مرامي المؤلف التي يقصدها بالذات . والرسالة قصة خيالية عن رجل بعث من قبره ورأى الجنة وجهنم فوصف ما فيهما من نعم شام وجحيم مقيم ، ومن قابله من الشعراء والادباء وعظماء الناس ، وكيف حاورهم وحاوروه وناقشهم وناقشوه .

ومن قابلهم في دار النعيم أشخاص لم يكن ينتظر وجودهم فيها فسألهم بما غفر الله لهم فأخبره كل منهم بما أتاه من عمل أو قاله من شعر سبب عفو الله عنه .
 لذلك سميت الرسالة برسالة الغفران . وكأنه قد استشهد بهؤلاء الشعراء الذين دخلوا الجنة وجوازهم إليها بعض أشعار قالوها بأن شعره الصالح كفيلا لأن يضمه إلى زمرة الطاهرين تكفيرا عما قاله من شعر هذه الناس الحاداة وكفرا .
 والرسالة في بحر من نقدية أكثر منها قصصية . ولكن هناك شبيها قويا بينها وبين « الكوميديا الإلهية » لدانتي الطلياني وهي التي سبق ذكرها « والفردوس المفقيد » للآن الإنجليزي . وبما أن هذه الممرى سابق لعهد هذين الشعارين فلا يبعد أن يكونا قد تأثرا بفكرته عند ما كتبوا مؤلفيهما .
 وعلى ذكر التأثير الأدبي الذي لحق الغرب من الشرق ما ذكره بعض النقاد من أن بعضا من كتاب الأفرنج على أثر اختلاط الغرب بالشرق قد تأثروا بالأقاصيص الشرقية على قلتها خصوصا بكتابي ألف ليلة ويلة ودمنة . فذكروا أن أقاصيص « هانس اندرسون » الدانمركي « ورحلات جيلفر » للكاتب الإنجليزي سويفت وسياحات « جل بلاس » للكاتب الفرنسي لو ساج و « كتاب الغابة » للكاتب الإنجليزي كلنر كلها قد كتبت بتأثير الأدب القصصي في الشرق عامة وعند العرب خاصة .

قصص الحرب والبطولة أو قصصى الموام

ومن القصص التي يضمها طائفة مؤلفي الأفرنج من المستشرقين - الذين كتبوا عن آداب اللغة العربية - في المصنف الأول من مؤلفات العرب القصصية والتي يعتبرونها من وضعهم وولادة ذهنهم « قصص الحرب والبطولة » التي سماها بعضهم « قصص الموام » لأنها اشتهرت بين العامة أكثر من اشتهارها بين الخاصة . يمكننا أن نطلق على هذه القصص لفظة « قصص عربية » بالمعنى الصحيح لأن معظمها جمعت ورتبت وألفت ورويت على أن تكون قصصا . وأشهرها قصة هنترة ، والبراق (التي منها حرب البسوس) ، وبكر وتغلب ، وشيبان مع كسرى ، والوزير سالم ، وبني هلال (أبو زيد الهلالي) ، والبطال (قصة الأميرة ذات الحمة) ، والظاهر بيبرس ، وسيف بن ذي يزن ، وفيروز شاه .

كلمة عامة على قصص المروءة

امتازت هذه القصص بوجه عام بذكر اخبار الحروب وأعمال البطولة في العهد الجاهلي وما بعده وحوادث الحب المتصلة بهذه الحروب . فيها ما هو تاريخي وفيها ما هو مشوه ، وفيها أيضاً ما هو مختلف ، لغة بعضها سقيمة مبتذلة كقصة ذات الحمة وبعضها أقرب الى العربية منها الى العامية والبعض الآخر له أسلوب ممتاز كقصة هنتر والبراق . وجلها ان لم يكن كلها لها أصل تاريخي ثم تتداولها على السنة الرواة والمساممين تغيرت بالزيادة والابدال والحذف . ثم جمعت كل واحدة في النهاية بواسطة شخص نسبها الى احد الرواة المشهورين ترويحاً لها ، وذلك بقصد سياسي على أغلب الاحوال ليأبى الناس عن حادثة معينة . كما فعل الشيخ يوسف ابن اسماعيل بأمر الخليفة العزيز بالله الفاطمي فجعل أخبار هنتر وأسماره وصاغها في قالب قصصى ثم نسبها وجعل ينسبها الى الناس أجزاء صغيرة ليأبى الشعب عن التحدث بريبة حدثت في بيت الخليفة كان قد لفظ الناس بها كثيراً . وقد نسب يوسف بن اسماعيل هذه القصة للاصمعي المروى ليقدرها الجيم في شخص المنسوبة اليه . وأغلب هذه القصص قد نشأت في الاصل نشأة طبيعية ليس فيها أى عمل أو قصد . فالمرءى كثير الامعجاب بفضائله دائم الاشارة والتعني بها يرغب جهده في تعميمها واشهرها بين مواطنيه وزرعهها في قلوبهم صفاراً وكباراً . وهذه الفضائل نشأت بحكم الطبيعة متممة له يشعر بها بفطرتة . فالحماسة والشجاعة والثأر والوفاء والعصبية هي بلا ريب أثر من آثار البيئة التي نشأ فيها . فإذا ما افتخر بها فكأنما يتحدث عن نفسيته وحياته . وقد تضمنت أخبارهم وأشعارهم ذكر كثير من هذه الفضائل خصوصاً فضيلة البطولة في الحرب فقسم الحماسة في الشعر القديم يعتبر أهم أقسام الشعر العربي . وعلى منواله وطريقته نسج الشعراء المتأخرون قصائد الحماسة ولكنهم كانوا في عملهم مقلدين لا مبدعين من حقيقة نفوسهم . وكانت هذه الاخبار وهذا الشعر مما يحتاج اليه الناس في غزواتهم وحروبهم ليثيروا الهمم ويسهروا نار الحمية في التلويح ويحملوا المحاربين أكثر جلدأوصبراً على تحمل مكاره القتال لذلك رأينا الرواة ينقلون الشعر والاخبار عن أعمال

الابطال في الحرب والسلم فيلقاها الناس بمزيد الإعجاب والفخر . واثبتت الرواية وكثرت ونالتها الالسة بالحذف والاضافة حتى جمعت في النهاية ورتبت وألفت على أن تكون قصة بالمدى الصحيح .

ولكن مع ما في هذه القصص من التناقض في الاوصاف والضمف في التأليف والتصوير والخلط في الحوادث فهي تمثل شيئين هامين يكونان الركنتين الاساسيين للبلاغة القصصية وهما : تصوير المجتمع ، وتصوير الاخلاق والمنازع النفسية في هذا المجتمع . فمن هذه القصص نستطيع ان نعلم حالة المجتمع العربي في عصر الجاهلية أو في العصر الاسلامي المتقدم أو المتأخر . كذلك نستطيع أن نعلم أخلاق الناس في هذه العصور ونفسياتهم ومطامعهم وما هم عليه من فضيلة أو رذيلة . وهذا من الفوائد التي يجتنيها الباحث الاجتماعي من القصص عامة . ولو كان مؤلفو هذه الاقاصيص قد أجادوا تأليفها وصياغتها وعزوا بتهذيبها وتنقيتها من الاغلاط التاريخية والخلط في حوادث العصور ثم جمعت بمد ذلك في سفر واحد لكان هذا السفر بمثابة « اليازة » الآداب العربية تحوى بين دفتيها تاريخهم وهوائهم وأخلاقهم وتطور نفسياتهم . وكل قصة من هذه القصص تنقسم الى قسمين ، قسم المنثور وقسم المنظوم . والقسمان بطبيعة الحال مخروطان ببعضهما على حسب مقتضيات القصة . وأغلب هذه القصص قد جمعت ووضعت للدائمة ومن ثم احتقرها الخاصة ونبدوها فانشرت هذه الفئة الاولى انتشاراً كبيراً وجعلت تنقلب في ميدانهم الفسيح يلقاها الرواة عن بعضهم ويسمعوها لهم (للدائمة) في مجالسهم . لذلك رأيناها تكسى ذلك اللباس المسمى في اللغة والافكار والعادات ارضاء لشاقتها وساميتها . ولقد ورث العصر الحاضر من العصر الماضي هذه القصص فنشأت لذلك مجالس القهاوى وقام جماعة الشعراء والقصاصين فخلوا محل الرواة . وما زالت القامرة تحوى هذه قهاوى لهذا الغرض يؤمها السامعون كل ليلة فينصتوا بشغف وسرور وحس لقصة « الزير سالم » و « أبي زيد الهلالي » و « عنترة » و « الأميرة ذات الهمه » وغيرها . وهذه القهاوى من الطراز البلدى تمثل العصر القديم وجهورها من « الطبقة البلدية » يلبسون الجلابيب والبد والعصائم والطرايش . أما الراوي فهو اما قصاص يروي القصة بدون غناء اذا كانت القصة من النوع الذي ليس فيه

أناشيد ، أو قصاص وينشد في آن واحد وهو ما يطلقون عليه اسم الشاعر . وهو يروي حوادث القصة النثرية ويفني تصاندها على « الرابة » . وأغلب النثر في هذه القصص مسجع وسخيف أما النظم فسقيم لا يسرف له ضابط ولا وزن . يأتي الشاعر كل ليلة فيمتلي المنبر ويجلس قبالة الجمهور يستمع له بانتباه كبير . وكثيرا ما يسك يده سيفاً من خشب يمثل به وقائم القتال ليؤثر تأثيره المرغوب على السامعين . وربما استغرقت رواية القصة الواحدة عشرين أو ثلاثين يوماً . ومن القصص ما تنتهي في اسبوع أو أقل . وسنأتي بشرح قليل لأهم هذه القصص انماها للفائدة .

قصة هنترة

هي أحسن الجميع لغة وشعراً . تضمنت بعض حروب العرب وشيئا من تاريخهم قبل الاسلام . كلها حماس وفخر وحمية وغرام . تمثل حياة العربي في العهد الجاهلي بعوائده وأخلاقه وفنائه . فوصفت شجاعته وكرمه وحببه ووفاءه وتضحيته ، وأتت على ذكر كثير من الأبطال فعرضتهم بصفاتهم التي امتازوا بها حربا وسلاما . اما حوادثها التاريخية فنير موثوق بها وفيها كثير من الخلط والغلط التاريخي والاجتماعي وليس بها رابطة تربط حوادثها المفككة . ولكن كل هذا لا ينقص من قيمتها فقيها مواقف روائية رائعة خصوصا الموقف الاخير الذي مات فيه هنترة حينما أصيب بسهم مسموم . فقد شعر بنهايته ولكنه خشي هزيمة جيشه ان اتضح للمقاتلين موته فاسرع الى جواده فامتطاه واركن على رمح ومات وهو على هذه الحالة بهيئته الطبيعية . فلما رآه العدو من بعيد ظنه حيا يدير رchy القتال فلم يحسب ان يتقدم . ولكن اكتشفت الحيلة في النهاية اذ قفز الجواد قفزة رمت بفارسه على الارض جثة لا حراك فيها . وقد كتب الاستاذ شكري غانم رواية نظمية بالفرنسية سماها « هنترة » واتى بهذا الموقف الاخير فقرضه على المسرح لاهيته الروائية وروعه . وقد مثلت هذه الرواية على المسارح الفرنسية

سيرة بني هلال . أو . أبو زيد الهذلي

حدثت وقائع هذه القصة في منتصف القرن الثالث للهجرة . ودونت بعد هذا الوقت بقليل . تشمل على مجموعة من حوادث وتاريخ بني هلال وحروبهم ومخاطرات أبطالهم . تمثل هوائيد وأحوال وأخلاق البدو في ذلك الوقت وأبطالهم رجالاً ولساء من سكان أواسط جزيرة العرب وبلاد اليمن وشمال أفريقيا . والقصة تشمل على عدة أقاصيص أو قصص ، منها قصة الأمير رزق مع ابنته « أبي زيد » . وخلاصتها أن الأمير رزق تزوج الأميرة خضراء واستولدهما ابناً هو « أبو زيد » وكان هذا الطفل أسود اللون فغضب أبوه عليه وعلى والدته وطردهما شر طرد من بيته فالتجأت الأم المسكينة بابنها إلى الأمير فاضل رئيس إحدى القبائل فآخذها تحت حمايته . ونشأ الابن في هذه القبيلة لا يعرف إلا وليه ومربية . وغدا شاباً اشتهر بالشجاعة والقتال . ثم قامت الحرب بين قبيلة الأمير فاضل وبين قبيلة الأمير رزق . وتقابل الأب والابن يريد كل منهما قتل الآخر جاهلين حقيقةتهما . فأسرعت الأم إليهما وأوضحت لهما الخبر . وهذا الموقف يشبه موقف القتال بين « زهراب » الابن و « رستم » الأب في « الشاهنامة » الفارسية . ولكن موقف الشاهنامة أقوى وأروع إذ جعل الابن يقتل بيد الأب في اللحظة الأخيرة التي عرف فيها أباه . أما القصص الأخرى لسيرة بني هلال فهي من تفريدهم إلى أفريقيا حيث حاربوا « الزناتي خليفة » أمير تونس ، وقصة حروبهم مع الفرس وقصة استيلائهم على طنجة . وأهم حوادث سيرة بني هلال مؤسسة على حروبهم وغزواتهم لشمال أفريقية في القرن الحادي عشر الميلادي .

قصة سيف بن ذي يزن

سيف ابن ذي يزن هو أمير من أمراء اليمن من أم جارية رقيقة تركته في الصحراء ضائعاً فتكفلت به غزالة أطعمته وربته . ولما كبر ذهب إلى جيشه حيث قام بحوادث ومخاطرات خارقة . فقد حارب الجن وتغلب عليهم بأساليب عجيبية . ثم عاد إلى وطنه بعد حوادث هائلة مريية . وهذه القصة مملوءة بمخاوفات جسيمة وهي تشبه بعض الشبه مخاطرات يوليوس في الأوفيسه

سيرة الظاهر بيبرس

قصة مؤسسة حوادثها على تاريخ حياة السلطان بيبرس ونشر من معاصريه .

الحواديت أو قصص العامة المصرية

ولنتقل الآن من قصص البطولة العربية أو بالأحرى من قصص العامة القديمة الى موضوع آخر نشأ وترعرع في جو العامة ايضا وكان اثرا من آثار خيالهم القصصي وهو « الحواديت » . و « الحواديت » جمع « حدوته » باللغة العامية يقابلها بالعربية الفصحى « احدثه » .

كلنا يعلم ما هي الحواديت لان كلا منا مر بدور الطفولة وهو الدور الذي يمتاز « بحواديته » التي لا ينضب لها معين ، والطفل من سن الثانية الى سن العاشرة والثانية عشرة يعيش في جو الاحلام والخرافات ، يسميها حواديت من جدته ووالديه ومربيته وخادمته المعبوز أو يقرأها في كتب الاقاصيص الخاصة بمطالمة الأطفال ، والحواديت عامة من بقايا الاساطير القديمة - أساطير المصور الاولى - تغيرت وتبدلت ثم نسج الخيال البشري هلي منوالها فصارت لها بعض الصفات المحلية التي نشأت فيها ، « وحواديتنا » التي سمعناها من « دادتنا » السوداء أو خادمتنا المعبوز أو من أمنا وابينا تلك الاقاصيص الشرقية المشعونة بكثير من الخرافات ، ذات الخيال الشرقي والالوان الشرقية هي أيضا من ميراث الاساطير القديمة . ولكن ظهور كتاب ألف ليلة وماشابهه من كتب الاقاصيص العربية خصوصا قصص العامة (التي سبق شرحها الآن) كان له تأثير عظيم في ابتداع الحواديت وتكوينها وانتشارها يؤيد ذلك ما نجده فيها من الخيال الفارسي في الاوصاف الغريبة والخيال العربي في وصف الشجاعة والكرم والوفاء وما شابه ذلك . وقد استعان أكثرهم بالخرافات التي نشأت حول الديانة الاسلامية فجعلوا منها أدوات صالحة لاقاصيصهم كما استمانوا أيضا بالصور المحلية والنظم الاجتماعية التي ألقت في جوها هذه « الحواديت » . لذلك رأينا فيها النول والجنان وطبقات الارض السبعة المسكونة بالغفاريات ، وأبطال الحروب والحب كالشاطر محمد والشاطر حسن

وست الحسن والجمال - أشخاص لا تخلو قصة مهمة من أحدهم ، والسحرة والمدن المستورة والاماكن الخيفة الناصه بالدياطين ثم السلاطين ووزراء المينة والميسرة والجند والاهوان وهلم جرا . ولكن الشيء الذي امتازت به هذه « الحواديت » هي الخاط الذي ليس بعده من خلط . فربما جمعت قصة واحدة شتى المناقضات الزمنية المستحيلة الوقوع الا في هصور ودهور مختلفة . وجميع هذه « الحواديت » « دعجاء » كما يقولون . أى انها تبدأ بالشر والحزن ثم تنتهى بالخير والفرح ، فمن تغريب واضطهاد وصف وقسوة وتفريق بين الاحبة ونصيب للمكائد على يد الاشرار وانتصار الظالم حينئذ من الدهر الى عودة ولقاء ، وتنكيل بالظالمين ، واحتفاء وتكريم بالظالمين ، واقامة معالم الافراح والليالى الملاح لزفاف (ست الحسن على الشاطر محمد) . وفي هذه الحواديت يجب أن تنتصر الفضيلة وأن تهزم الرذيلة وأن يعيش البطل بالرغم مما يصادفه فى حياته من مصائدات عنيفة مع الاهداء - يجب أن يعيش ويحيا حياة المعجزات ليحظى فى النهاية بزواج من احبها وأحبته فيعيش معها فى (القبات والنبات يخلفون الصبيان والبنات حتى يجيئهم هادم اللذات ومفرق الجماعات) . ولكن هذه القصص على تشويها ونقصها وخلطها الفاضح فى الازمنة والتاريخ يمكن للباحث المدقق أن يستخلص منها بعض القوائد الاجتماعية والصور المحلية فيخبرك بالوقت الذي ألفت فيه والذهنية التي استنبطتها . ولا ريب فى أن شخصية « الجندى » (بكسر الجيم) فى كثير من الحواديت المعمرية الشائعة عندنا الآن هى صورة ذلك « الجندى » (بضم الجيم) التركى أو المملوكى الذى كان مثال الغشومة والقسوة والجهل . وهل رأى العامة فى ذلك الوقت وهم المحكومون على أمرهم المرهقون بالضرائب الفادحة من يسامون المذاب دائماً ويقابلون القسوة بصبر كبير الا ذلك المنفذ الصغير منفذ الحواديت يصورون فيها حكمهم الذين كانوا كلهم من طبقة الجنود المدججين بالسلاح بصورة المنفذين الجاهل حيث يلاقون عقابهم الصارم على قسوتهم واستبدادهم على يد أحد « الشطار » من أبناء الوطن . كانت هذه الحواديت بالارباب الوسيلة الوحيدة لظهور نفسية ذلك الشعب المظلوم . . هذه ظاهرة من هذه ظواهر اجتماعية يمكن للباحث أن يشرحها ويستدل منها على أمور نفسية خافية .

لذلك اهتمي بها الافرنج وكتبوا عنها وطبعوا منها في مطابعهم . ومنهم الاستاذ
« ليتمان » المستشرق الألماني فقد طبع مجموعة منها في « لندن » سنة ١٩٠٥
ميلادية وسماها « مجموعة قصص هامة » .

النهضة القصصية الحالية

كانت بلاغتنا العربية وما زالت تكاد تخلو من النوع القصصى اذا قيست
بأدبيات الأمم الافرنجية . وكان كتابنا حتى العهد الاخير من شعراء ونائرين
مقلدين اكثر منهم مبتكرين فكانوا يسرون على نظم السلف في الآراء
والأفكار والاصناف فلم يأتوا بشيء جديد بل أضاعوا شخصياتهم وأفنوها
بتمالكهم على القديم فحسب . لذلك لم نجد من كتابنا من قدم لنا رواية قصصية
أو أخرى تمثيلية أو أقصوصة هصرية . بل كان همهم الوحيد أن يجيدوا فن
التراسل على نمط الهمداني والحريري أو نظم القصائد باكين على الاطلاق
وهائين بحب هند وشهد وواصفين النوق والرمال ثم مادحين أوهاجين . وربما
وصف الشاعر المصرى الهند والسمهرى وصاح بلاء فيه صياح أبطال الحماسة
القدماء وهو لم ير السيف في حياته الا مملاقا في رداء الشرطى ! فجاءت
بلاغتنا المصرية - الا القليل منها - سخيفة تثير الضحك لا الا عجب . ومن
منا لا يحزن ومنذ أواخر القرن الماضى ونحن لانملك من أدبنا المصرى القصصى
غير كتاب واحد هو « حديث عيسى بن هشام » . اذا أردنا أن نتحدث عن
البلاغة القصصية الجديدة لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » واذا أوصينا
أحدا بقراءة كتاب قصصى جيد لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » .
واذا افتخرنا بأدبنا القصصى لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » . حتى
صنعتنا ذمنا به وضاق هو الآخر ذمنا بنا . ووددنا أن لنسكت بدلا من أن
نتكلم عن كتاب واحد فقط . ولكن هزاعنا اليوم أننا نرى بزوغ النهضة
القصصية المصرية في أفق أدبنا . فاذا تعهدوا القائمون بها بالمناية والراية
والاتقان والجودة سارت سيرها الطبيعى بلا حائق وانتجت نتاجاً قوياً سيكون
ميراث المستقبل من بلاغتنا القصصية الجديدة . وانا اذا كرون هنا من لم تخنا
فاكرتنا في ذكرهم من مؤلفينا الجدد الذين وهبوا الأدب المصرى القصصى

مبتكرات عقولهم . ولو كان المقام متسماً أمامنا أو كنا في موقف النقد لكننا أفسعنا للتلميح بحالا أكبر مما سنسجعه له الآن . ولكن هذونا في ذلك واضح . فقدمة كتاب قصصى لا تستطيع أن تحوى نقداً مسهباً تحليلياً لكتاب العصر وكتبهم لذلك نترك للنقاد ميدانهم يقولون فيه ونقصير بمحشاهنا على ذكر مختصر الكتب القصصية التي ظهرت في طام البلاغة المصرية والمؤلفين القصصيين الجدد الذين تصدوا لقيام بهذا العمل الجليل .

هريش هيسى بن هشام طعمر بك المولى لى

أول كتاب ظهر في الأدب المصرى القصصى جدير بأن نضمه بلا محابة في الصف الأول من مؤلفاتنا القصصية . اتبع صاحبه في تأليفه طريقة المقامات واستعان بأسلوبها المسجع في كثير من مواضعه . لذلك لا نستطيع أن نسميه رواية قصصية بالمعنى المعروف عندنا الآن لخلاؤه من « الحادثة » أو « المقدمة » التي تمتاز بها القصص المصرية . ولكن هذا لا يقلل من قيمة الكتاب للدقة التي استعملها المؤلف في رسم الشخصيات وتحليلها

ليالى طيخ حافظ بك ابراهيم

هذا الكتاب أقرب الى المقامات من حيث الأسلوب والنظرية من حديث هيسى بن هشام . بل يكاد يكون مقامة واحدة طويلة تتضمن نقداً على الاخلاق والهوائد المصرية . ليس فيه شخصيات بارزة مرسومة بريشة قصصية كما في حديث هيسى بن هشام لذلك فاق عليه الاخير في ميدان البلاغة القصصية المصرية وسبقه بمراحل كثيرة .

قصة زيف طعمر فروع (الدكتور مصعب بك هيكى)

هى قصة من حياة الارياك جديدة بأن تسمى بحق أول رواية قصصية مصرية . وهى مؤلفها في صياغتها كل ما يتطلبه الفن القصصى الرائق فأتت قطعة تامة المنفوج في بلاغتنا الحديثة . هوارها كله باللغة العامية وهى ميزة يجب أن

نقروها بالحمد والشكر للمؤلف . أسلوبها بسيط وجميل خال من التكلف والتعبد
يجيب للانسان القراءة . ولكن مما يؤسف له أن صلت المؤلف صحة تخشى
أن تكون دائمة . ولعل قلة الزواج الذي صادفته القصة في عالم الادب المادى
والحالة السياسية التي طوحت بالمؤلف في لجتها اليوم كانتا من أهم الاسباب التي
دعت الى هذا الصمت .

(لا أذكر متى ظهرت هذه القصة بالتحقيق وربما كان ذلك حوالى عام سنة
١٩١٢ والنسخة مع الأسف خالية من تاريخ الطبع)

قصص جبرهبي زيمان التاريخية

لولم ينل الاستاذ جرجى زيدان شهرته الواسعة بكتبه العلمية التاريخية
لكنه قصصه التاريخية برفعه الى هذا المستوى نفسه . ولكن قلة العناية
بالبلاغة القصصية في العالم العربي عامة والمصري خاصة سببا يحجب القراء
أن لا يأتوا كثيرا بهذه القصص النفيسة .

وتسمى هذه القصص « سلسلة روايات تاريخ الاسلام » وعددها ثمانية
عشرة أتى فيها مؤلفها بتاريخ الامة الاسلامية في عصورها المختلفة في قالب
قصصى مستعجب . بدأها « بفتاة غسان » ثم « بأرمانوسة المصرية » وختمها
« بشجرة الدر » . وكتب غير هذه السلسلة أربع روايات أخرى عن تاريخ
مصر في عهد المماليك وعن الحرب السودانية المهدية . وقد كتب من روايات
السلسلة نفسها روايه عن الانقلاب العثماني في تركيا فكأنه استوفى تاريخ
الاسلام ومصر جميعه قصصا . وأسلوبه القصصى والعلمى على حد سواء سهل
للغاية ومقبول . أما صوغ حوادث التاريخ بأسلوب قصصى فلا ريب في انه بلغ
فيه شوطا كبيرا من الاجادة والنبوغ . وحسبه أن معظم هذه القصص قد طبع
للمرة الثانية والثالثة وترجم بعضها الى اللغات الاجنبية مثل الفرنسى ، والشرقية
مثل الهندي والفارسي والتركي .

نتائج الاموال في الأقوال والأفعال : لمائسة ثمور .

منذ ثمانية وثلاثين سنة هجرية ظهر في عالم الأدب المصري كتاب قصصى

للمنشئة الأدبية السيدة عائشة تيمور هو كتاب « تتأجج الأحوال في الأقوال والافعال » . (السيدة عائشة تيمور الشاعرة المعروفة إحدى أركان النهضة النسائية المصرية وتعتبر أول كاتبة وشاعرة مصرية في أواخر القرن الماضي) . ليست شهرة هذا الكتاب في جودته أسلوباً وطريقة ووضعاً بل في وقت ظهوره وفي السكابة التي ألغته . الكتاب يتضمن قصة واحدة على نمط قصص « الحوادث » المصرية بشكل أرق وأجل . وأسلوبه مسجع على الطريقة القديمة في العصر العربي المتأخر . ولكن ميزته ان مؤلفته سيدة شرقية مصرية وانه كتب في مصر كان فيه الاهتمام بالأدب والكتابة مقصوداً على الرجال دون النساء . أضف الى ذلك قلة الادباء من الرجال في ذلك العهد وكيف أن التبحورية برزت كثيراً منهم بشعرها ونثرها . واذا علمنا اهمال جمهور القراء والكتاب في هذا العصر لفن القصص استطعنا أن نقدر للتيمورية مجهودها وجراتها ونبوغها في ذلك الوقت الذي كان فيه ظلام الجهل يكاد يكون شاملاً للجميع .

أقاصيص المنفلوطي في النظرات والعبيرات .

اشتهر المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي « بنظراته » التي كان ينشرها في المؤيد كل اسبوع مرة والتي جمعها وزاد عليها مما لم ينشره فجاء سفرها في ثلاثة أجزاء جمع شتى المواضيع من انتقادية وأدبية واجتماعية وقصصية . ثم نشر كتاب العبيرات وهو مجموعة أقاصيص منها المصري المؤلف ومنها الاجنبي المقتبس والمترجم . لذلك يمكننا أن نعتبر المنفلوطي كاتباً قصصياً طالعاً فن الاقاصيص المصرية . كانت طريقة المنفلوطي في كل كتابته العناية بالاسلوب واللفظ أكثر من هيايته بجوهر الموضوع خصوصاً في قطعه القصصية المؤلفة ، وان كان هذا لا يمنعنا من أن نقدر له آراء قيمة في بعض قطعه الأدبية والاجتماعية وكذلك القصصية . ولست يمكننا نقدر له فوق كل شيء سلاسة أسلوبه وجماله ورقة الفاظه ووضوح أغراضه مع محافظته على اللهجة العربية الصحيحة . يمكننا أن نجاهر بلا خشية ولا لوم أن المنفلوطي وان كان قد أجاد في أسلوبه القصصى السلس الجميل فقد فشل في مواضيعه القصصية ورسم أشخاصه فيها . فجل مواضيعه أقاصيصه تافهة

يضع أن نضيفها الى مجاميع الامثال والمواعظ . اتبع في تأليفها طريقة المذهب
« الرومانتيكي » المتطرف الذي يشوه فيه الخيال صور الحقائق الناعمة . أما
أشخاص قصصه فهي أشباح ليس لها كيان ولا جسم تكاد تتلاشى أمام عينيك
من شعوبها .

ما وراء القيود للمرحوم محمد تيمور

ليس رائدي في كل ما كتبه غير الاخلاص والحق لذلك أرجو ممن يقرأ
كلمتي هذه عن تيمور الراحل فقيد أدبنا ومسرحتنا ان لا يتهمني بالتعيز
والغفالة في القول لاتصال التام به . ان محمدا تيمورا شقيقي الحبيب اولا ،
وصديقي الوفي ثانيا ، واستاذي الكبير ثالثا ، من أعترف له أمام الناس
جهاراً بالفضل التام علي في كل ما أوتيته وما سألته من مجهود لا أعلم مداه
ولانتيجته . ولكن كل هذا ليس له تأثير على نفسي في موقعي هذا وأنا أقرر
الحقيقة التي لا أربح في أن ازيد حرقاً واحداً عليها . لذلك أقول بلا محاباة
ولا غلر أن تيمور الراحل كان أكبر مؤلف روائي وقصصى مصرى وجد
في نهضتنا القصصية الحديثة . اني وأنا فرد من حاملي لوائه ، السارين علي
مذهبه وطريقته ، المنفذين رغبته ، المتحمسين لمطامحه وآماله . لا أعترف
لقصصيينا الذين مالجوا الكتابة في الادب المصرى بالفضل الا بقدر اقتراحهم
واجادتهم للمذهب الذي كان شعار الفتيه في كل ما كتب وهو العمل علي ايجاد
آداب مصرية بالمعنى الصحيح . فاذا قلت أن « المنفلوطي » فشل في أقاصيصه
المصرية ذلك لانه لم ينجح في اخراج صور ناضجة وأشخاص حية بارزة من
البيئة المصرية . واذا قلت ان الدكتور « هيكل » قد أجاد في قصة « زينب »
ذلك لانه نجح نجاحا يغبط عليه في ايجاد جو مصري صادق اللون في روايته .
واذا قلت ان محمدا تيمورا هو أكبر مؤلف قصصى وروائى وجد في نهضتنا
الحديثة ذلك لانه قصر ميدانه علي البيئة المصرية بأشخاصها وجوها وصورها
وأجاد في اخراج هذه الصور في رواياته التمثيلية وأقاصيصه تامة المنسوج من
حيث جودة التأليف ودقة التصوير . والذي يهمني من مؤلفاته - (ظهرت مؤلفات
الفقيد في ثلاثة أجزاء وقد هوت كل ما كتبه من شعر ونثر وأقاصيص وروايات

تمثيلية) - في هذا المقام هو أقاصيصه المسماة « بما تراه السيون » . اشتهر عن النقيذ أنه كان قوى الملاحظة الى حد بعيد ، تنطبع في ذهنه صور المرئيات بخاصة عجيبة ، ماهر في التقليد الى درجة من الاتقان كبيرة ، دقيق الوصف ماهر في صناعة التأليف ، له مذهب في الآداب لا يحيد عنه . قاصر كل مجهوده عليه وهذا المذهب كما أسلفنا الذكر هو العمل على « ايجاد آداب مصرية » تكون بمثابة مرآة تنعكس عليها بيئتنا . لذلك كتب أقاصيصه باتقان كبير ولا متاحة في أنه اليوم أجدر أهل عصره في تبويب اسمى مركز في بلاغتنا القصصية كما يصح أن نسميه بحق أول منشى مجيد لفن الاقاصيص المصرية .

مؤلفونه قصصيه آخرونه .

لقد ظهر في الوقت الحالى أى في البضعة سنين الأخيرة بعد المرحوم محمد تيمور مؤلفون طاجوا فن كتابة الاقاصيص . وهم على قلتهم وقلة مؤلفاتهم يبشرون بمستقبل زاهر جميل . ولا ريب في أن بلاغتنا القصصية في المستقبل ستكون مدينة لهم بمجهودهم الصادق في « العمل على ايجاد آداب مصرية بالمعنى الصحيح » ووضع أساس هذا الفن الجديد . ومن هؤلاء الادباء ممن لم تخفى ذاكرتى في عدهم هم : المرحوم هيسى هبيد مؤلف كتابي « احسان هانم وثرى » وشحاته هبيد مؤلف كتاب « درس مؤلم » و ابراهيم المصرى وحسن محمود ومحمود فوزى وزكريا جزارين والدكتور حسين فوزى وطاهر لاشين وخيرى سميدوعبد القادر المازنى وحسن صبحى وسليم شحاته (نشرنا الاسماء بحسب ظهور الاقاصيص مع حفظ الالقاب) وغيرهم من الادباء القصصيين المصريين الذين يتكاثرون كل يوم فيزيدون ثروتنا الادبية للقصصية .

وقبل أن نختتم هذا الفصل نذكر اسمين اشتهرا في عالم الادب القصصى العربى وهما المرحوم فرح أنطون والاديب نقولا حداد . الاول كتب رواية قصصية واحدة سماها « أورشليم الجديدة » وهى قصة شرقية عصرية نزهتها فلسفية اجتماعية . والثانى كتب عددا عظيما جداً من الاقاصيص والقصص المترجمة والمقتبسة والمؤلفة . ولكنه بهيد مثل رفيقه السالف من نزعة « تصدير الآداب » أى خلق أدب مصرى في بلاغتنا الجديدة لذلك أتت جسيم قصصه

وليس عليها من طابع المصرية ألا التليل النادر . وهو يعد بحق أكثر كتاب
المصرية القصصيين كتابة . كثيراً ما يبالغ في قصصه نشر الافكار والآراء
اجتماعية كانت أو سياسية . وهو مؤلف محبوب من جمهور الشرق العربي
طامة . ومن رواياته القصصية الجديرة بالاعتبار « آدم الجديد وحواء الجديدة
وجميلة اخوان العهد » .

ويوجد غير عذنين الاسمين اسمان مشهوران . أولهما الاستاذ الملامة الدكتور
يعقوب صروف والاستاذ الفاضل مصطفى صادق الرافعي .

الاول عالم معروف بلمه في كافة الاقطار العربية ولكنه مع ذلك قد طالع
في الكتابة القصصية من زمن مضى فوضع ثلاث قصص مصرية ، شرقية ، عربية
هي : « فتاة مصر وأمير لبنان وفتاة الفيوم » . والثاني كتب ثلاثة كتب
قصصية عربية هي « المساكين ورسائل الاحزان والسحاب الاحمر » وروايات
الدكتور صروف روايات شرقية أكثر منها مصرية تصنف « المجتمع » الذي
كتب هذه المؤلف وصفاً جيداً . أما كتب الرافعي فشهرة بروعة أسلوبها
العربي الصميم الذي لا يخفى في كثير من الأحيان من غموض ظاهر يصدم
القارئ القصصي أثناء مطالعته . وهي كتب فلسفية أكثر منها قصصية .

كلمة ختامية

والآن وقد فرغنا من هذا الموضوع الطويل اتقدم الى القارئ الكريم
معتذرا في الأطالة راجيا منه أن يفيض النظر عن غلطات ارتكبتها بدون علم
منى أو ضعف أو تقصير تورطت فيهما اضطرارا . فانما العصمة لله على كل
حال . كما الفت نظر كتاب القصص والاقاصيص المصريين الى شيء هام وهو
انني لم استوف بلا مراة ذكرهم جميعا ولم اوف بحق مؤلفاتهم من الشرح
والتحليل وعذري في ذلك انني لم اكتب الا عمن عرفتهم وعمن قرأت شيئا من
أعمالهم . وان مقدمة لكتاب قصصي صغير لاتسع أكثر مما كتبت ، خصوصا
وان مؤلفاتنا الحديثة وهن الزمن لم يأخذها بعد جمهور النقاد « بالقبلة »
الصحيحة فيظهر جيدها من رديتها :

والى هنا أختم قولي والى اللقاء ان شاء الله في مجموعتي الرابعة

محمود محمود

الجزيرة : في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٥

مصادر المخرمة

أ كتب فيما يلي أسماء الكتب والمقالات التي اعتمدت عليها في تأليف
مقدمة هذا الكتاب :

(باللغة العربية)

مقدمة تاريخ الحضارات الاولى لغوستاف لوبون

ادبيات اللغة العربية لزيدان

كتاب الفصول للعقاد

حديث الاربعاء للدكتور طه حسين

كتاب تاريخ الادب العربي للزيات

كتاب المنتخب في تاريخ آداب العرب لهطايا الدمشقي

ذكرى أبي العلاء للدكتور طه حسين

الاغاني

مقالات الآ نسة مي من السيدة عائشة تيمور « في المقتطف »

مقالات من القصص في الادب العربي للاستاذ الدكتور

ضيف والادباء حافظ محمود وعلى أحمد الميمني واسرائيل

ولفنس المنشورة في « صحيفة الجامعة المصرية » المجلد

الاخير

(باللغة الانجليزية)

المعلمة البريطانية الكبرى (دائرة المعارف)

كتاب « كاسل » من المعلومات العامة

مختصر الادبيات مؤلفه « دونكوتر »

كتاب السوائد والاخلاق في مصر مؤلفه « لين »

كتاب آداب العرب مؤلفه « هيار »

(باللغة الفرنسية)



الشيخ سيد العبيط

الشيخ سيد العبيط

حدثني صديقي قائلا :

كنت في التاسعة من عمري عند ما شأعت الشيخ سيد لأول مرة . كان رجلا ضخما الجسم الى حد هائل مخيف ، طويل القامة خليط الرقبة والوجه ، له ملامح مشوهة وعينان جاحظتان وأنف أفطس كبير . كنت اذ ذاك بجوار الساقية في ضيعة من أملا كنا اراقب الثور وهو يدور دوراته المعتادة بتمهل لا يخلو من ملل وتعب ، وأسمع خرير المياه المتدفق من القواديس الصاعدة النازلة مختلطا بصوت أزيز الساقية نفسها وغناء الغلام الجالس عليها يحث الثور بين حين وآخر لئلا تفتر همتة أو يسكن الى الراحة . رأيتة مقبلا بجسمه الهائل تكاد تحجب به عن الانظار ظلال أشجار اللبخ والتوت الممتدة الأغصان . كان يمشي متمهلا وجلبا به الأبيض القدر - الذي لا يملك سواه على جسده - يمتليء بهواء الريف فتارة يزيده ضخامة على ضخامته وطورا يعلو ويهب - ط على جسمه فيكون للرائي سيقانا كسيقان الفيل لونا وخشونة وشكلا . جاء منه

يلهث من تعب المسير وقيظ الشمس 'و' .
 الامام مستمعينا بها في السير كما يستمعين النوى بمجناف قاربه في
 البحر ، بينما يده الاخرى تقبض على طرف زكينة ملقاة على ظهره
 بها 'يود عليه المحسنون من فئات الخبز . لم يأبه لشيء مما حوله
 بل اتجه نحو القناة التي تستمد مياهها من الساقية وهبط بحمله عليها
 في المكان المهد لسقى المواشي وأخذ يرتوي بشره كما يرتوي
 الحيوان بعد يوم كاه تعب وانصب . كنتُ هادئاً ساكناً ، بين
 يدي بعض الاغصان الصغيرة قدّمها الىّ ثم يخضر البستاني عند
 ما طابعتها منه ، مشغولاً بنزع قشرتها بمرآني الخاصة وبتقطيع
 أطرافها وتهذيب شواذها لتصلح أن تكون عصياً أختار منها
 ما أريد عند ما أركب البغلة للنزهة في الفيضان . ففزعت فزعا
 شديداً حينما شاهدت الرجل زاده فزع النلام الذي كان يغنى على
 عجلة الساقية والذي انقطع غناؤه دفعة واحدة وظهر على محياه
 الاضطراب والخوف . فصرختُ استنجد بأعلى صوتي . فجاء
 البستاني على عجل . ولما رآني خائفاً هداً روعي بكلمات عذبة
 ثم ابتسم ابتسامة جميلة انبهت من وجهه المجد ذى اللحية
 المستديرة والشعر الاشيب وقال :

الشيخ: ده الشيخ سيد الراجل الصالح صاحب

الكرامات

ثم تركني واتجه نحو الشيخ سيد، وكان قد مهد لنفسه بجوار
القناة مكانا لنومه . وأمسك بيده وقبلها ثم قال له :

— إدع لي يا شيخ سيد إدع لي ربنا يفتحها قدامي ويشفي أم
عبد السلام مرآتي الغلبانة .

فأجاب الشيخ سيد بصوت غليظ لا يكاد السامع يتبين كلامه
— يلعن أبوك انت وهي

فابتسم البستاني وأخذ يد الشيخ سيد وقبلها وهو يقول :

— ربنا يسمع منك .

ثم تركه . وكان الرجل قد تمدد بجوار القناة متوسداً إحدى
ذراعيه واستغرق في النوم بعد لحظة قصيرة . وجاء عم خضر
البستاني فجلس القرفصاء بجوار المصطبة التي كنت جالسا عليها
ثم أمسك بالاعصان وكان يفحصها بعينيه الطيبتين ثم قال :

— العُصَي كويسين خالص عفارم عليك

ولسكني لم أكن أفكر في العصي في تلك اللحظة فبادرته

قائلا :

— أهو شتمك وبرضه بُست ايده

فعرف الرجل ما يحول بخاطري وناولني الاغصان ثم تكلم
بصوت هادىء وثفره يبتسم دائماً:

— تعرف يا سيدي . الى يشتمه الشيخ سيد ربنا يرضى عليه

— دا راجل يخوف يا عم خضر . أنا ما خافش من الطور
الى بيدور الساقية دى قد ما خاف منه .

— ولكن دا ما يترش حد أبداً لازم تحبه عشان ما ربنا
يحبك . داوئ من أولياء الله

وكنتُ أعتقد أن الاولياء عند ما يرحلون الى العالم الآخر
تبني لهم القباب وتندب لهم النذور وتوقد حول مقابرهم الشموع .
لقد زرت مع الحاجة أم محمد مقام السيدة زينب والسيدة نفيسة
وسيدنا الحسين . وزرت مع جدتى حينما كنا بالقرب من طنطا
مقام السيد البدوي . وقد قدمت بنفسى وكان معى سرور
أغا دسته من الشمع للشيخ الأربعين الذي كان مقامه بجوار
منزلنا الكبير فى القاهرة . فهل الشيخ سيد ولى كهؤلاء الأولياء .
وهل كانوا يماثلونه ضخامة فى الجسم وقذارة فى الملبس وقبحا فى
الصورة . لقد كنت أتخيل الأولياء من الذكور ، نظاف الملبس

جميلي الصورة والهيئة ينبعث من وجوههم النور الملائكي يكاد يخطف الأبصار ، يلبسون على رؤوسهم العمامة الخضراء الكبيرة ويرتدون القفطين والجلب الحريرية البيضاء . أما الأناث منهم فلا يختلفن عن الرجال الا في وضع النصف الأبيض النظيف على رؤوسهن . هكذا كنت اتخيل سيدنا الحسين والشيخ الأربعين والسيد البدوي والسيدة زينب وغيرهم من الأولياء . هكذا كنت اتخيل الأولياء نساء ورجالا فلما شاهدت الشيخ سيد وعلمت من عم خضر البستاني أنه وليّ من أولياء الله داخلني الشك في كلامه . وظننت أن كبر سنه قد أثر في عقله فلم يعد يميز بين الأشياء . ألا يكون هذا الرجل القدر الذي يريد أن يضمه عم خضر في صف السيد البدوي والشيخ الأربعين شيطانا من شياطين جهنم . واسررت للبستاني بفكرتي الأخيرة ثم اردفتها بتحذيري اياه من الاقتراب منه مرة اخرى لئلا يسخطه قردا ثم يقذف به الى جهنم . فضحك الرجل ضحكا متواليا ثم قال :

— الشيخ سيد ما يسخطش الناس قرودا أبدا وما يرميهم مشي

في جهنم . داهو الى بياخذهم من ايدهم ويوديهم للجنة .

فصرخت متضايقا :

۔ دا وشہ وحش قوی وکان سمین خالص . انت مش شایف

گرشہ . یاشیخ هی الاولیا لها کرش برضه کده .

ومن ثمّ تربع عم خضر واسند ظهره علی جذع شجرة مقطوعة
كانت بالقرب من المصطبة وأخذ يحدثني عن الشيخ سيد حديثا
طويلا . كان يتكلم بصوت هاديء رزين وبمatitude صادقة وإيمان
عميق ونفس مشبعة بحب الله مطمئنة إلى رحمته وعدله وحنانه . وكان
يفحص عينيه أحيانا اذا كان الحديث حديثا عاديا لا يجرى إلا
حوادث بسيطة هادئة . أما اذا أراد أن يقيم الحجة أو يأتي
ببرهان أو أخذ يشرح كرامة هامة أتى بها الشيخ سيد فكان يفتح
عينيه وينظر بحدة إلى الفضاء اللانهائي الممتد أمامه حيث الفيطان
الخضراء منبسطة انبساط البحر يمج عليها الزرع الاخضر الجميل .
فكنت أخاله كأنه يفحص أعواد الذرة ويعد ماتحويها من حب وأوراق
ظل على هذا الحال يحدثني برهة من الزمن لا أعرف مداها
فهاجت منه كل ما يستحق أن يعرفه الانسان عن حياة هذا الرجل .
وقد تيقنتُ فيما بعد انه لم يكن وليا ولا شيطانا بل كان شخصا
الخط مسكينا قد أصيب بالبله على أثر حادثة وقعت له ففقد
كل صلة تربطه بالعالم الآدمي الذي يعيش فيه وأصبح كالحيوان سواء

بسواء يسترشد في حياته بنريزته فحسب ، منحه الناس لقب الاولياء .
 شأنهم في كل معتوه ابله أو ما كر خبيث متظاهر بالبله . وهاك بعض
 ما أذكروه من حديث عم خضر البستاني ، ومن حديث غيره من
 الفلاحين الذين سألتهم فيما بعد عن حياة الشيخ سيد ، وما استنتجته
 بنفسى عنه عندما كبرت .

كان الشيخ سيد في بدء حياته رجلا عاديا ككل الرجال يفلح
 في الارض ويعيش عيشة الفلاحين المتوسطى الحال . كان يملك هو
 وأخواه خمسة أفدنة وبضعة قراريط ، يشتركون في حرثها وزرعها
 وتقسيم محصولها عليهم بالسواء . كانوا يسكنون كلهم في دار أبيهم
 وهى دار ريفية قد وسعتهم جميعهم بزوجاتهم وأولادهم ومواشيهم
 وطيورهم . فقد كان لكل رجل زوجة وأولاد ، وللجميع جاموسة
 وبضع عنزات يقتاتون بالبانها ، وثور وبقرة يستخدمونهما في حرث
 الاطيان ، وحمار يحملون عليه السماد والتراب والحاصيل . والدار
 عبارة عن فناء ليس بالكبير ولا بالصغير ، تحيط به
 مساكن هذه الاسر الثلاث . وبين أبواب هذه المساكن مظاهرات
 مهدمة يربطون تحتها مواشيهم لتأكل وتنام . وكان هذا الفناء
 ميدان من ميادين الالعاب ترح وتلعب في أرجائه أطفال الاسرة

مع حيواناتهم . وكثيرا ما يقفز الطفل الصغير الذي بلغ الثانية أو الثالثة على ظهر الثور فيدور به في صحن الدار عدة دورات هادئة ثم يقوده من حبله ليستقيه من الحوض الذي تملأه مياه (الطالبة الارتوازية) التي كان لوب الأسرة الراحل فخر اقامتها .

كان الشيخ سيد - واسمه وقتئذ « سيد أبو علام » - سيد هذه الأسرة الكبيرة لانه أكبر أخويه سنا ، رجلا رزينا عاقلا مجتهدا وأميناً . له الكلمة المسروعة عند أفراد عائلته . نزيها في معاملته لا يطلب لنفسه أكثر من نصيبه . كان بمثابة القاضي أو الحاكم في هذه المملكة الصغيرة يفصل في كل خصومة ويحكم بالعدل ويسير الأمور بما يراه نافعا للجميع . محترم الرأي ينظر اليه الناس داخل داره وخارجها نظرة الاحترام والتبجيل . عاش هكذا الشيخ سيد حتى وافى عمره على الخامسة والاربعين ثم دهمته حادثة أليمة كانت سبب نكته في الحياة . كان راكبا ذات عشية حماره عائدا به الى داره فعثر الحمار عثرة قوية في طريقه انطرح على أثرها الرجل طريحة شديدة على الأرض وأصاب رأسه حجر غليظ صدمه وأسال الدم منه غزيرا . وحمل على أثر ذلك الى منزله وبقي ثلاثة أسابيع وهو مصاب بجرحي شديدة وهنديان دائم . وبعد أن التأم الجرح

وزالت الحمى أصبح السيد أبو علام غيره بالأمس رجلاً فقد الناكرة
معتوها لا يستطيع تمييز أبسط الأشياء أمامه ، فقد الصلة تماماً بحياته
الماضية . فلم يعد يعرف زوجته ولا أولاده ولا أخويه حتى ولا
أمه المجوز التي كان شديد الحنو عليها لكبر سنها ولعطفها الدائم
عليه . عاش هكذا ما ينيف عن العام وهو لا يفارق عتبة الباب .
فأصبح طفلاً من أطفال الدار يشارك صفاره وصفار أخويه لهم
ومرحهم بل وطعامهم وشرابهم . ولكن الأمر لم يطل أكثر من
ذلك إذ استبد أخواه بالأمر وداخلهما طمع الحياة وتملكتهما قسوتها
فوجدوا أن وجود هذا الأبله بينهم هو وأفراد أسرته العديدة حمل
ثقل عليهم وعالة لا يحتملونها فتشاوروا في الأمر ثم قرأوا عليها
طرده هو وأولاده وزوجته وحرمانهم جميعاً مما يخصهم من الأطيان
ومحصولها . وكان للرجل ذرية عديدة تبلغ العشرة غير خمسة قد
طواهم الموت في فجر حياته الزوجية الواحد بعد الآخر . وكان
العشرة الباقية أغلبهم من الفتيات وكن أكبر الأولاد سناً . لم
يترك الرجل من أولاده الذكور شاباً مراهقاً أو رجلاً فتياً يستطيع
أن يقاوم إرادة أخويه ويدافع عن حقوقهم المساوية قهراً . وخرجت
العائلة من دارها والشيخ سيد بينهم كأنه دابة من دوابهم أو متاع من

أمتعتهم ، يقودونه كيف شاؤوا والى حيث أرادوا . واستقر بهم المقام
 فى دار عهدة منحهم اياها بعض ذوى الخير لا تبعده عن المزة كثيرا
 فماشوا هناك عيشة البؤس والتعاسة يكسبون مكسبا ضئيلا يكاد
 لا يقوم بأودهم . فكانت الفتيات والغلمان يشتغلون فى جمع القطن أو
 تطهير المساقى والترع واقامة الجسور ، كل ذلك بأجر زهيد قبلوه
 اضطرارا خوفا من الجوع والمراء . واستمر الشيخ سيد فى
 بله فكان بله هادئا غير مزعج اذا استثنينا بعض أوقات يشور
 فيها ثورانا بسيطا فيسب ويشتم من يراه أمامه ثم يجرى خلف أطفاله
 الصغار ليضربهم . وكان يأكل كثيرا ولا يتحرك الا قليلا فحافظ
 جسمه ونموا نموا فاحشا . وكان غزير الشعر بالفطرة فلما اهلوا قص
 شعر رأسه وشاربه وحلق لحيته كما اهلوا نظافته تهدل شعره واشتبك
 بعضه ببعض وتلبك من الاوساخ فزاد فى بشاعة وجهه . واختفت
 ملامحه القديمة الدالة على القوة والسيطرة والبأس خلف ذلك القناع
 الوحشى ذى العينين الشاردتين اللتين كستهما البلاهة طبقة غبراء
 أخفت وميضهما كما تنكسو الأتربة زجاج المصباح فتخفى نوره المضيء .
 لقد زال كل ما كان يميز « سيد أبو علام » الفلاح المتقدم نشاطا
 وذكاء وجراة . زالت صورة الرجل العامل رب اسرة عديدة أفرادها

وحلت مكانها صورة ممسوخة قدرة لا تشبه الاولى الا في بعض
ملامح ضعيفة واهية تمحوها يد الزمن رويدا رويدا. وكان الدهر لم
يقنع بما فعله فماتت زوجته تاركة اولادها المشرة تحت رحمة القضاء.
يفعل بهم ما يشاء .

لم تكن أم الشيخ سيد الهرمة الضريرة بمقصرة في حق ابنها
البائس . فكانت تأتي لزيارته في الخفاء من غير علم أخويه مبهرة
إياه بما تحضره له من طعام وكساء وما تمنعه إياه من سخاوان وعطف
فكان يتلقاها ، وهو لا يعرفها ، بكل سرور وبشر ويحمل يسألها
عما أتت له من الحلوى والفطائر كأنه قد ارتد أربمين عاما الى
الوراء فأصبح طفل الامس الصغير . وكانت الام في تلك اللحظة ،
لحظة مقابلتها له ، لا تفكر إلا في شيء واحد : ابنها الذي بجوارها ،
ابنها فحسب ، بكل ما في هذه الكامة من معاني كبيرة لا يعرفها
غير الامهات . وكان ذلك الظلام الذي غمرها منذ أمد طويل
وتلك الشيخوخة التي هدت من قواها وأوهنت من نفسها قد محوّا
من عقلها فكرة الزمن فكانت تمشي وهي لا تدري كم من السنين
مضت وكم من العمر بلغت . فحينما كانت تجلس بجوار ابنها الذي
كان يشبه الاطفال باعماله وحديثه كانت تتخيله طفلا الصغير منذ

أمد بعيد فكانت تجلسه بجسمه الفليظ على أرجلها الواهية وتضمه
إلى صدرها وهي تمسح رأسه بيدها تسأله ما يبتغي وتعطيه
ما جاءت له به وهو يقبلها قبلات تنم عن شكر غريزي كشكر الحيوان
الأعجم للشخص الذي يرعاه ويطعمه .

ولما سمعت تلك الأم العمياء المعجوز ب وفاة زوج ابنها عز
عليها أن تتركه وتترك أولاده بلا معين ولا ناصر فتركت ولديها
الشديدين العاقلين وفرت لاحقة بالابن تمشي وإياه مقسمة معه
مضغتي العيش وبؤسه .

وكبر الغلمان الأربعة — أولاد الشيخ سيد — فوجدوا
الرزق محدوداً والمزاحمة في تلك الجبهة على أشدها فلم يستطيعوا
المسكوث بين أبيهم وجدتهم وأخواتهم وهاجروا لينجوا مما يهددهم
في الحياة من بؤس طاحن وققر قاتل وهم شبان أشداء يتطلعون
إلى العمل ويطلبون المزيد من الحياة ورزقها . هجروا
مكائهم وتفرقوا يبحثون عن الرزق في ميدان الحياة
الواسع . وما كان منهم ذلك كفرا بنعمة العائلة ولا نكرانا لمن عاشوا
في كنفهم وحمايتهم أطفالا وغلمانا ولكن هي الحياة بنظمها
الطبيعية القاسية ، نظم تنازع البقاء والانانية ، نظم الجهاد

والتطاحن بلا رحمة ، تنزع الابن من أبيه والأب من ابنه وتدفعهم
متفرقين يسرون في طريق الحياة يتقاتلون تحت لواء الطبيعة
ومن أجلها .

وبهجرة هؤلاء الأربعة تقص عدد أفراد الأسرة فأضحوا
سنة غير الأب والضريرة . ولكن زاد ضنكهم وبؤسهم وضرب الفقر
عليهم ستاراً سميكاً حجب عنهم أبسط مافي الحياة من راحة واحقر
ما فيها من مأكل ومشرب . ولم يرغب أحد أن يتخذ من بنات
الشيخ سيد زوجة له لما كان عليه من فقر مدقع وذکر خامل واسم
ضائع وحياة مهملة مرذولة لا يرضى أن ينتسب اليها أحد . وكانت
بين الفتيات الست أربع كبرن حتى جاوزن سن الزواج بكثير فغدون
آلة عاطلة في العائلة لا يتركن الدار الا للقيام ببعض الاعمال التي
تناسبهن في ذلك السن . وقليلة مثل هذه الاعمال . فلما شعرت الام
الضريرة بيد الفاقة القائلة تتغلغل في احشائهم تكاد تأتي عليهم
عوات على أن تعمل لتفريج الازمة . واعملت الفكرة رويداً
فاستقر رأيها على الاستجداء بابنها ، فأم هرمة ضريرة ورجل ابله
مسكين يحرکان الشفقة ويستنديان الا كف الكريمة لبذل الحسنات .
وخرجت في اليوم التالي هي وابنها ، تجره جرّاً لهدم رغبته في

الخروج . فقد اعتاد حياة الخول يأكل مما يأتونه به ويتمدد على أرض الدار المارية ينام ملء جفنيه . ذهبت به الى السوق ومكثا اليوم كله فلم يصادفا الا نجاحاً صغيراً . فعادا الى الدار ومعهما ثلاثة ارغفة من « البتاو » كانت قوت العائلة في ذلك اليوم . وتكرر الخروج كل يوم واعتاد الشيخ سيد رويداً أن يتجول بمفرده في حارات البلدة وازقتها القريبة من العزبة حيث يوجد بعض دكاكين للمأكولات والملابس وقهوة لرجل روى يجلس عليها موظفو المصالح الحكومية في وقت الفراغ ومدرسو المدرسة الأولية وتجار القطن والحبوب ، هذا خلاف بعض منازل حقيرة منتشرة هنا وهناك . اعتاد الرجل ان يترك أمه على رأس احدى الحارات ويدخل متجولاً ببطء يسير سيراً متعرجاً . لا يمد يده لأحد ولا يسأل شخصاً ان يهبه احساناً بل ينظر الى الكل نظرات تائمة ، يلتسم لهم تارة وطوراً تملو وجهه سحابة مظلمة فيظل يتكلم بصوت مسموع يؤنب اشخاصاً مجهولين ويناقشهم في أمور تختص بفلاحة الارض وجمع المحصول . ثم يقف ويمد يده في الهواء فيحركها حركات عصبية لا معنى لها وبعد ذلك يسير وهو يترنم بأغاني غير مفهومة . وكان بعض ذوى القلوب الرحيمة يجود عليه ببعض

المأكولات أو بقليل من الملايم . فكان ينثر الدراهم على الأرض ويوزع على المارة ما معه من خبز ومأكولات تاركاً الباقي من غير علم منه في زكياته التي جهزته بها له .

وبدأ الناس يجدون في هيئته الشاذة وذهنيته البلاء ومظهره القدر البشع . اجملهم يعتقدون فيه « الولاية » أي أنه شيخ من الشيوخ الاتقياء . فاطلقوا عليه لقب « الشيخ سيد » ولم يكن أحد قبل الآن يعرفه بهذا الاسم . وألفتة الناس كما ألفتهم . وازداد اعتقادهم فيه بأنه شيخ وليٌ منذ رأوه ينثر الدراهم على الأرض ويوزع الخبز على المارة فحسبوا ذلك منه زهداً وتحقيراً للحياة وكرهاً للماديات . ولكنهم كان يُشبع بطنه الكبيرة عند بعضهم ممن كانوا يضيفونه فيقدمون إليه أجود واشهى الأطعمة كسباً لرضائه وابتغاء لوجه الله . وهكذا اكتسب الشيخ سيد على توالي الأيام عطف جمهور الناس ومحبتهم واعتقادهم بولايته . ومع ما كان يرميه من النقود وما يفرقه من الخبز كان يتبقى في زكياته بلا قصد منه ما يكفي لطعام وكساء عائلته . وبهذه الطريقة نجحت الجدة المعجوزة في دفع البؤس عن أولادها وإيجاد وسيلة منتجة يعيشون بها في الحياة .

ودخل الشيخ سيد مرة دكان ابى شوشة الجزار فبادره بقوله
بلهجة مختلطة وكلام مشوش :

— ماقلت لك من زمان يا حمار ان الخير كثير . وحايبك
قوامك . . . واحد . اثنين . . . ثلاثة . . . الأردبين القمح في
الدوّار . . . الله يلين ابوجودك . . . اهو بقولك . . . اثنين
... ثلاثة . . . ربنا برضه حايطاهم من عينيك . . .

فاجابه ابوشوشة الجزار مبتسماً بتفكير :

— حيطاهم من عيني ليه . . انا عملت حاجة

— عملت حاجة . . . الأرض بقولك بارت . . . حوش
يا ولّه الميّه حوش لحسن حاتفرق الدنيا . . . أما هجيبه ياناس . . .

فابتسم ثانيا ابوشوشة الجزار ثم اعطاه قطعة من اللحم وضعها
الشيخ سيد في زكيته وخرج وهو يكرر كلامه بلا وهي . وجلس
ابوشوشة بعد خروجه على المقعد الخشبي أمام دكانه ووضع يده
تحت ذقنه مفكراً وناجى نفسه قائلاً :

— الراجل ده صالح وولى من أولياء الله . . . يعني كلامه
ما يقعشى الأرض .

ثم جعل يستعيد ما قاله الشيخ سيد وأخذ يفنّره على حسب

هواه وما يتفنيه ثم اشرق وجهه دفعة واحدة وصاح من اعماق قلبه :

— ما يكنشى الراجل بيتكم عن مسألة الاطيان . . . اهي

الجلسة بعد بكرة . . . ماهو عدد واحد اثنين ثلاثة . . . أما اذا صبح

كلامه وكسبت الفدادين . . . ياسلام . . .

ثم جعل يفكر ثانيا .

ومضت الثلاثة الأيام وكسب أبو شوشة الجزار قضيته

التي أطالتها المحاكم أكثر من خمس سنين فكسب بها قطعة أرض

تبلغ الفدانين كان البعض يختصمها من أبيه . فأقام ليلة أنس وفرح

ايمهاجا بكسبه القضية وغمر الشيخ سيد بالهدايا الكثيرة من طم

وعيش وكسوة . وشاع هذا الخبر بين أهل البلدة وأهل العزبة فأخذ

الكل يتسابقون للتقرب من الشيخ سيد واستعجلاء غامض مستقبليهم

من احاديثه البلهاء : وكان كل فرد منهم يؤوّل كلام الرجل على

حسب ما يريد لنفسه وما يطلبه في حياته . وصحّ على هذه الطريقة

كثير من تنبؤات الشيخ سيد الخير المقصودة فكبر في نظر الجميع

قدرا ومهابة واجلالا .

ومما زاد في شأنه حادثتان وقعتا اتفاقا وعدّها الناس من أعظم

كرامات الاولياء فانتشرت شهرته على أنرها في جميع أنحاء الجهة .

الاولى هي :

كان يسكن البلدة رجل من مستخدمي الضيعة يدعى رفعت
افندي ، من أصل شركسي ، يبلغ من العمر الثانية والستين ، قصير
القامة نحيف الجسم ، بارز عظام الوجه ، له شارب متدل على ركني
فه على الطريقة الصينية ، يقوم بوظيفة ناظر للمواشي ومدير لمخازن
الزراعة . رجل ثرثار أحمق مشهور بالقسوة والعناد . لا يتكلم الا
عن نفسه وعما قام به من الاعمال . أوجد في قلوب تابعيه ومن هم
تحت سيطرته كرها شديدا له تولد من عسفه وجوره . له زوجتان
وعدة أطفال . الزوجة الاولى يسكنها داراً من دور الضيعة ، وهي
امراة متقدمة في السن ناهزت الثامنة والاربعين . والثانية يسكنها
داراً في البلدة وهي فتاة صغيرة لم تبلغ بعد الثامنة عشرة . وكان
يميل بطبيعة الحال الى الثانية ويفضلها على الاولى لشبابها ونضارتها
فأوغر بذلك الميل صدر الاخرى واضمرت له بغضا كان يتوالى على
عمر الأيام .

كان رفعت افندي جالسا بجوار التربة شأنه كل يوم مستظلاً
بشجرة الجوز المتفرعة الأغصان ، المثقلة بالثمار ، يتناول طعام الغداء
بمفرده . ويقوم بخدمته خادمه الخاص صبي الصغير - غلام يناهز

الثانية عشرة . كان يأكل وهو مقطب الوجه يزجر الخادم لأقل هفوة ويدمدم مقبحاً الأكل وصانته . وجاء في ذلك الوقت الشيخ سيد مترنماً من ثقل جسمه يجندف بذراعيه بجهد وتمب ، ويسير مدفوعاً بالهواء الذي كان يملأ جلبابه الوحيد كما يملأ نسيم البحر شراع المركب فيدفعها الى السير فوق الماء . وكان ينفخ من شدة الحر وتمب السير ماسكاً بأحدى يديه زكيته الفارغة . ودنا من رفعت افندى مساماً وجلس بجواره يحديق فيه وفي طعامه النظر كأنه يسأله أن يعطيه شيئاً مما يأكل أو يدعو له لمشاركته في الطعام كما عودته الناس ذلك . فلم يلتفت اليه رفعت افندى ولم يرد التحية بل زاد في تقطيب ملامحه . ولكن الشيخ سيد لم يفهم ذلك وجعل يتكلم كلامه المهورد يخبط فيه خبط عشواء . فتضايق الشركى وكان يحقر هذا الصنف من الناس وزجره بشدة فلم يرعوى بل ظل على حاله يتكلم كأن لم يسمع شيئاً . واسهب في الكلام وبدأ يرفع صوته صارخاً . فعيل صبر الشركى وقام مهدداً متوعداً ثم نادى على رئيس « الكلافين » وأمره بأن يطرد الرجل المأفون فتلكأ رئيس الكلافين خائفاً وأحجم معتذراً . فصاح رفعت افندى بشدة وغيظ وانتابته نوبة حماقة عصبية فجعل يسب ويشتم ويهدد بقبحه

في الهواء ثم ركل صينية الاكل التي كانت بالقرب منه فانتثر ما عليها
 على الارض وتسحرج بعضه الى التربة فابتلعه ماؤها . واجتمع على
 صياح رفعت افندي لجمع كبير من الفلاحين بينهم خطيب الجامع
 وخفير الدوّار واسطى الآلة البخارية وشرذمة من الاطفال والغلمان
 الذين اخذوا يهيجون في وجه الشر كسي صياح الهزء والسخرية .
 قانفجرت مراجل غضبه وقام الى الشيخ سيد - الذي لم يمر كل
 ماوقم امامه أية أهمية - وأمسك به وجمع ما استطاع من قوّته الفانية
 فدفعه الى الوراء دفعة واحدة لم تؤثر في الشيخ مشقال ذرة . وأغرق
 في الضحك كأنه فهم ان الشر كسي يريد ملاعبته قد يده اليه ودفعه
 فوق الشر كسي على ظهره وقمة استشارت هزء الجميع فأخذوا يضحكون
 ساخرين . وقام رفعت افندي بعد خذلانه فوجد امامه خصوما
 متوفري العدد يتوسطهم الشيخ سيد بجسمه الهائل وساعده الصلب
 المتين فارتد مهزوما الى منزله الذي في الضيعة ، محتقن الوجه ، منتفخ
 الاوداج ، يلوّح بيديه ويهدد لاعنا مزججراً ، يتبعه جمهور من الصغار
 يصفقون خلفه وهم ينشدون أناشيد الجحون والسخرية . ولم يكده
 يعتمد الشر كسي وخلفه جيش الصبيان حتى أخذ الشيخ سيد مكانه
 على المائدة وجعل يجمع ما تصل اليه يده من فئات الخبز وبقايا الطعام

يساعده في ذلك بعض الفلاحين . وشرع يلتهم الأكل بشره وهو ينظر الى ماء التربة الجاري نظوا مشدوها لاعمى له فظنه البعض يراقب الأسماك الصغيرة التي اجتمعت بالقرب من سطح الماء تأكل بقايا طعام الشركسي الذي كان بعضه من نصيب التربة .

وبعد أن ملأ بطنه بفضلات الأكل جمع ما تيسر له جمعه ثم وضعه في زكيته وتوسدها متمددا بجوار التربة ونام نوما عميقا .

وفي منتصف الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم انتشرت جلبة كبيرة يتخللها بعض الصباح والعويل من منزل رفعت أفندي الشركسي . واجتمع أمام باب المنزل رهط من فلاحى الضيعة رجالا وصبيانا يسألون ما الخبر . وتقدم الجهم خطيب المسجد وكان له في قلوب الناس محبة واجلال فدخل المنزل ومكث فيه نيما وعشر دقائق ثم خرج صامتا وتوجه الى « الدَّوَّار » والناس يتبعونه . ثم اعتلى المصطبة القديمة وأمسك بيده مكازه كانه قد تخيل نفسه في الجامع يتهيأ لألقاء خطبة الجمعة . ثم أخذ يمسخ طيته الرمادية بيده اليسرى مرارا وتكلم أخيرا قتال بصوت أجش رهيب :

— يا عباد الله . لقد هلك الظالم . وانا لله وانا اليه

فلم يفهم البعض مرمى اليه الشيخ في قوله ، واختلط الأمر على البعض الآخر ، وردّد جماعة من المجزّة لم يصلهم كلام الشيخ إلاّ ضعيفاً ضائعاً غير مفهوم - كلمة الشهادة فصاحوا قائلين :

- أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .
وأراد الشيخ حمزة أن يفهم الناس ما أراد فقال بلغة الخطابة وطمعته :

- أيها الناس لقد ماتت رفعت أفندي الشركي والبقاء لله ..
فصاح الجمهور قائلًا مستفهمًا :

- مات ؟ مات ؟

- مات رفعت أفندي أيها الناس لأنه أراد أن يطرد الشيخ سيّد وهو ولي من أولياء الله .

ثم أفاض يحدث الناس - كأنه يخطب فيهم - عن موت رفعت أفندي وكيف حدث ، والأسباب التي أحدثته . ثم وصف لهم بأسباب منظر المتوفى حين رآه في منزله وكيف كان لون وجهه كالفتح سواداً ، وهذا ما يبرهن على أنه من أهل جهنم . وكيف كان كربه المنظر وحشي النظرات ، يدها قابضتان على بعضهما بشدة وعناد ، وهذا ما يثبت أنه مات بعد نضال عنيف مع أحد

أفراد الجُن أرسله عزرائيل ليمنّبه قبل قبض روحه ، وجعل الشيخ حمزة يثبت للناس ويبرهن لهم كرامة الشيخ سيد في هذا اليوم وكيف أُمات الشر كسى هذه الميته البشمة المؤلة التي ليس وراءها الا جهنم بنارها وطييبها وشرورها لانه أهانه وطرده . فأمن الناس على كلامه وصدقوا .

وانتشرت هذه الحكاية في وقت قصير في الضيعة وما يجاورها من البلدان والضياع . وتطوَّع الشيخ حمزة الخطيب ذو اللحية الرمادية المهيبة والمكاز الطَّويل لنشر هذه الكرامة وايضاها للناس وتفهيمها لهم فدب الرعب في قلوب الجميع وأصبحوا يرهبون الشيخ سيد ويخشون قوته الخفيفة القادرة على اماتتهم وقد فهم في جهنم يصطلون نارها المستمرة . فبجأوه فوق ما كانوا يبجلونه وزادوا في تكريمه واطعامه اكتساب صداقته وتزلفا اليه لينجحهم رضاه ورحمته .

أما حقيقة الحادثة التي وقعت لرفعت أفندي الشر كسى وانتهت بموته فهي كما يلي :

وصل الشر كسى الى منزله وصباح الصبية تتبعه وكان الغضب بالغا منه مبلغا هائلا فلم يجد أمامه غير زوجته وأولاده منفذاً ينفذ

فيهم غضبه فأنهال عليهم بالضرب والصفع بشكل مؤلم خيف . ولما
تصدت زوجته لحماية أولادها وحماية نفسها واجتهدت في رد أذاها
عنهم أمسك برقبته بشدة يريد خنقها بينما كان مساطا رجله في ضربها
ضربا مبرحا بحذائه الثقيل ذي المسامير الحديدية . فلم تهد المرأة
تتحمل أكثر من ذلك وانقلب دفاعها عن نفسها وعن أولادها
هجومًا ، وكانت امرأة بدينة الجسم لم تؤثر فيها متاعب الثمانية
والأربعين ولم تنقص من قوتها فهاجمته — وهي التي احتملت
من مكارهه وتقااضه وعصفه ما واد في قلبها المقت والكراهة له
والانتقام منه — وأمسكته بيديها الخليطتين وقذفت به على
الأرض ثم أتت بوسادة من وسائد النوم فألقته على وجهه
ورمت بجسمها على الوسادة ومكثت هكذا برهة من الزمن كانت
كافية لأن تزهر أنفاسه وتعيته ميتة بشعة مؤلمة . وهكذا مات
الرجل ضحية جهله وحقه وسوء خلقه . ومُحيت معالم الجريمة في ذلك
الجو المائج بالترهات والتفيل ، فرحل رفعت أفندي إلى العالم الآخر
غير مأسوف عليه مشيمًا بالسخط الشديد .

وبينا كان الشيخ حمزه خطيب الجامع ممثليا مصطفية التوار
يحدث الجمع حديثه المشهور عن موت الشركسي كان الشيخ سيد

يتمطلي بصلابه ويفتح فاه بشدة يماؤه بنسيم العصر الليل . ثم أخذ
يجمع زكياته وقام بتكاسل وخنول ففرد جلبابه للهواء كالشراع
وحرك يديه الى الامام والى الخلف كالجاذيف وسار سيره المهود
لا يلوى على شيء الى حيث لا يعلم هو ولا الناس أجمع .

أما الحادثة الثانية : فهي وان اختلفت عن الاولى في حوادثها
فقد كان لها في عقلية الجمهور تأثير لا يقل عنها .

كان للشيخ سيد ست بنات كما اسلفنا الذكر منهن من جاوزن
سن الزواج في عرف الفلاحين ومنهن من غدون صالات له .
وحدث ان شابا شاهد مرة كبرى البنات وكانت تملأ جرّتها
من الزرعة التي بالقرب من داره فاعجبته وتزوجها . وكان
له غيرها زوجتان لم تلدا له ما كان رافياً فيه من ذرية . ولم
يمض على زواجه من كريمة الشيخ سيد خمسة أشهر حتي وجد
الطريق أمامه ممهداً الى منصب « العمودية » فقد وقعت حوادث
لم تكن في الحسبان عدّها الفلاحون من قبيل المعجزات ساعدت
الرجل لارتقاء هذا المنصب الذي لم يكن يخطر في باله يوماً من
الايام ان يناله . فطفح قلبه بالسرور وعدّ زواجه من كريمة الشيخ
سيد كرامة جليلة رفعت له لأن يكون عمدة البلدة ورئيسها ، صاحب
الكلمة المسموعة النافذة . وبعد مضي أربعة أشهر من ابداء رتقائه

منصبه الرفيع رزقه الله من هذه الزوجة صبيين توأمين كان
ظهورهما في عالم الحياة رنة سرور لا توصف عند والدهما الذي كان
يترقب أمثالهما بفارغ صبر منذ سنين عديدة .

وانتشرت هذه الحادثة انتشار حادثة الشركسي فزادت
أهمية الشيخ سيد واقبل الناس من كل حدب وصوب يطلبون
بناته زوجات لهم فتزوجن في وقت قريب من اشخاص معروفين
ذوي مكانة وجاه في البلاد . وخت الدار بساكنيها ما عدا اثنتين هما
الأم والابن — الضريرة والأبلة . وكان في مقدورهما ان يرحلا
عن ذلك الكوخ ليسكننا منزلاً من منازل بناتهما فيعيشان في رعاية
موفورة ورخاء مستديم ولكنهما آثرا هذا الكوخ وما يحويه من بسيط
العيش وحقير المسكن به ان اُصلح ورُم فصار يحمي ساكنيه
حرارة الشمس صيفاً وبرد الهواء شتاء . ولم يقبلأ فيه من الأثاث
الذي تبرع به لهما أزواج بناتهما الا القليل ، فقد اعتاد الشيخ سيد
ان ينام على الفراء وليس عليه الا رداؤه الواسع متوسداً زكيته
بما فيها من فتات عيش وفضلات طعام . وهكذا عاش الابن والأم
عيشة لا يشكوان منها جوعاً ولا تهباً . وقبعت الأم في عتق دارها
لا تخرج منه الا لتأخذ الجرّة أو لتجلس على عتبة الباب تستنشق

المواء صباحاً أو بعد الأصيل . أما ابنها فقد اعتاد الخروج صباح كل يوم فلا يرجع إلا في المساء ملوؤة زكيتته بأفضال المحسنين . وكان الجميع يتسابقون لأطعمته ومنحه ما يستطيعون الجود به فكان يزور مختلف الضياع والبلد ، ويحج سواق الجمعة كل أسبوع وسوق البلدة كل يوم ، مبهجلاً محترماً مخوفاً من الجميع ، يأكل حيث يريد أو بالأحرى حيث تقوده المقادير حينما تطالبه بطنه بالطعام ، وينام نهاراً في الحبل الذي تقذفه إليه قدماء بجوار ترعة ، أو بالقرب من ساقية ، أو في زريبة المواشي ينام على ما فيها من تبن وروث ، أو على عتبة جامع يسد بابه بجسمه الهائل فلا يدع أحداً يدخل أو يخرج منه ، أو في الفيط أو في الطريق أو في السوق ... في المكان الذي يشعر فيه بتعب جسماني . . .

هكذا عاش الشيخ سيد وأمه سبع سنوات في رخاء وسعادة من العيش يفيضها عليه كل فقير يكسب عيشه بنضال شاق في الحياة .

وكنْتُ كما عدت إلى الضيعة في فترات الاجازات المدرسية أرى الشيخ سيد على حاله لم يتغير . وقد كنتُ أمنتُ جانبه

فاستطعت ان اسمع كثيراً من كلامه اللطو وطيبته الفريية . ومضت
ثلاث سنوات على آخر زيارة لي للضيعة . فلما عدت اليها وعمرى
اذ ذاك السادسة عشرة وجدتُ الحال قد تغير وسمعتُ من
الكثيرين شكاية مرّة من الشيخ سييد ، ورأيت الترد يسرى
رويداً في القلوب فعلمت أن العاصفة أوشكت أن تهب . وسألت
الكثيرين عن سبب هذا التدر فكانت اجابتهم واحدة وهى أن
الرجل قد ساءت أخلاقه أو بالأحرى ازداد جنونه لدرجة أصبح
من الصعب احتياها . وقد ساعدنى الظروف أن أرى الشيخ سييد
وهو بحاله الجديد فعلمت أن جنون الرجل قد انقلب من جنون
هادىء وديع الى جنون هائج مضطرب خطر . ولم يكن ذلك ذنبه بل
ذنب المرض الذى اتخذ له هذا الطريق الجديد من تلقاء نفسه على
حسب تطوره .

بدأ الناس يلاحظون هذا التغيير فى حالة الشيخ سييد منذ
سنة فقد ظهر بسيطاً لا يشهر به أحد ثم ازداد رويداً حتى أصبح
فى نهاية العام شديداً غير محتمل . فانتبه الناس لأمره على أثر ما
كان يلحقهم من أذاه ومكروهه واساءاته المتكررة الخطرة .

احتمل الناس الأذى فى بادىء الأمر اعتقاداً منهم بأن الشيخ

سيد لا يلحق الأذى إلا بمن يستحقه ولا يلحق الضرر إلا بمن
اقترب ذنباً ولكنهم وجدوه قد ساوى بين الجميع ، الصالح منهم
والشرير ، فبدعوا يتدنسون خفية بدون أن يجاهرُوا خوفاً من قوته
الظفية التي لا يعلمون من سرها شيئاً .

كان الشيخ سيد يدخل السوق فيختطف ما يجده أمامه ثم
يبعثه على الأرض . ويذهب إلى الضياع فيدخل دساكرها ويمسك
بالدجاج والاوز فيخنقها ثم يطرحها في الطريق أمام السابلة غير
هَيَّاب ولا وجل وكان يجري خلف الأطفال فمن استطاع امساكه
ينهل عليه ضرباً وعضاً بوحشية وجنون .

وكثيراً ما صفع الناس على وجوههم بلا سبب . وقد أمسك
مرة بذقن الشيخ حمزة خطيب الجامع الوقور فجعل ينتف بعض
شعراتها بشدة ثم ركله برجله الغليظة في بطنه فوق الرجل منفضياً عليه .
كثير من هذه الأعمال قام بها الشيخ سيد فانكرها الناس عليه
في الخفاء . ولكنه لم يعدم وجود بعض المخلصين الذين
كانوا يمدونه بما يشتهي من طعام وكساء . أما بناته فقد قطعن صلاتهن
به ولم يمدن يشاهدنه الا قليلا تجنباً لأذاه ومكروهه .

كان والدي مزمعاً الإقامة في الضيعة هذه النفقة شهراً من الزمان لأن المزدروعات كانت في احتياج الى مراقبته وعنايته . فزودت نفسي ببعض الروايات القصصية واجزاء ألف ليلة وليلة لالو مطالعتها . وأوصيت عم خضر البستاني لينذهب الى سوق « الجمعة » الذي يُقام كل اسبوع مرة ليشترى لي هنزة صغيرة أربيعها مدة إقامة ثم أضفها الى قطع النعم الموجود بالضيعة عند رحيلي . وكنتُ أميل لصيد الاسماك فطلبت من صديق البستاني نفسه أن يجهز لي معدات الصيد فصدع للأمر وجاءني في اليوم التالي بعصا طويلة من الخشب ربط في طرفها حبل السنارة . ثم قدم لي كرة صغيرة من الطين أخبرني أن بها عدداً من الديدان يكفي لصيد يومين متواليين . فسرت من ذلك سروراً عظيماً وذهبت معه الى التربة واختارنا مكاناً صالحاً للجواس ، اقتلع عم خضر حشائشه الشائكة ثم مهد القطعة وغطاها بالقش النظيف . فجلستُ أصطاد وهو بجوارى يراقب العوامة على سطح الماء بدقة واهتمام ، وينصحنى بسحب عصا السنارة عند ما يتحقق من أن السمكة قد علقت بها . فاصطدت بهذه الوسيلة عدداً كبيراً من السمك أعطيت نصفه للبستاني وأخذت النصف الآخر للطاهي فجزه طاماً شهياً لـ « فارس » .

وقد أحضرتُ معي من القاهرة كرةً للقدم كنتُ أخرج بها
إلى « الجرن » حيثُ أعدَّ ناظر الزراعة قطعة لائحة للعب . وكان
يجتمع في اللعب معي بعض الغلمان من الضيعة وبعض الفتيان من
البلدان القريبة ، الذين لهم بعض الدراية بلعب الكرة لترددهم على
مدرسة مجلس المديرية القريبة من البلدة .

في هذه القطعة الرحبة التي أعدها ناظر الزراعة للعبنا كنا
نجتمع عصر كل يوم تقريباً لنمضي أكثر من ساعة في اللعب ،
يشاركنا بعض الأحيان الناظر نفسه وبعض موظفي الضيعة . فكانت
الكلفة ترتفع بين الجميع في وسط ذلك الميدان الديمقراطي الذي
تساوى فيه الدرجات .

وقد حضر مرة الشيخ حمزة خطيب الجامع وكان يريد أن
يشاهدنا ونحن نلعب فدفعناه في الميدان ورجواناه أن يشاركنا قليلاً .
وكان يظهر من ملامح وجهه المشرقة أنه يرغب في ذلك ولكنه
يخشى أن تناله أسنة الناس بالانتقاد . فاندفع حينما رأى كبار موظفي
الزراعة والبلدة يشاركوننا اللعب بكل بساطة وممازحة وأخذ الكرة
بيده ثم قذفها بهمة بقدمه فلم ترتفع إلا بضع أمتار قليلة بينما ارتفع
نعله الأحمر الكبير في الهواء ارتفاعاً شاهقاً ، فصفق الناس وهلأوا

وخرج الشيخ من فوره من الميدان بعد أن انتمل مركوبه ثانياً وهو
يبتسم ابتسامة السجّل لما لحقه من الهزء والسخرية .

هكذا كنتُ أمضى الوقت بالضيعة اطالع القصص على
المصطبة التي بجوار الساقية مستظلاً بأشجار التوت العظيمة ، أو
مع عنزتي الصغيرة في الحقل الذي اخترته لها بجوار حديقة المنزل
حيث اشاركها مرحها ولعبها واقدم لها طعامها وشرابها ، أو على
ضفة التربة التي أمام « الدوّار » اصطاد بجوار عم خضر البستاني ،
أو في الجرن حينما تبدأ الشمس تميل ناحية المنيب السب كرة
القدم مع من يجيد اللعب بها من الفتيان والرجال بما كنى الضيعة
والبلدة .

وكنتُ في يوم ، لا أزال أتمثل حوادثه الآن أمام عيني كأنها
وقعت بالأمس ، أنفخ الكرة بالمنفاخ الممد لها استعداداً لحفلة كنا
قد اتفقنا على اقامتها وفيها يتبارى فريقان من اللاعبين ، فريق
الضيعة وفريق البلد . وكنا قد أعدنا هدية ثمينة تقدم للفائز
من الفريقين . وكان حولي جم غفير من الناس وجماعة اللاعبين
على رأسهم عم خضر البستاني ، الكل يراقبون في عملي

والسنتهم الثرارة لا تهدأ لحظة عن الكلام ، تارة مازحين وطوراً
جادين ، يتحدثون عن حفلة اليوم أحاديث مسهبية ليست إلا
أحاديث شتقة ولفو .

ومرّ في هذه الآونة الشيخ سيد المبيط كالعاصفة الهوجاء
ينظر إلينا شزراً واختفى سرياً بين الأشجار والدور . فسرت
رجفة فينا جميعاً وصمتنا برهة قصيرة ثم تنهد عم خضر من أعماق
قلبه وتكلم بصوت ضئيف كأنه يناجي نفسه ، ولكنه كان يوجه
الكلام خاصة إلى :

— مش عارف جرى إيه للأجل ده دلوقتي . يمكن يكون
ركبه هفریت .

ولم يكذبختني شبح الشيخ سيد عن أنظارنا حتى عاد الجهم إلى
لغظه وعدت إلى عملي كأن احتفال اليوم بفخامته وأهميته المنتظرة
قد ملأ كل دقائق فكرنا فلم نعد نهتم إلا به .

ولما اكتمل عدد اللاعبين في الجرن بدأنا اللعب ، وجمع
غفير من الصغار والكبار ملتف حول الملعب يراقبنا باهتمام ومروءة .
ولم يكذبختني الشوط الأول ويبتدىء الشوط الثاني حتى رأينا
الشيخ سيد يجري وهو حامل بين ذراعيه طفلاً يبلغ من العمر العامين

يضر به ويعضه ويمزق بشرته بوحشية وقسوة متناهيتين ، والطفل
يصرخ صراخاً متوالياً ، وبعض رجال الضيعة ونساءها واطفالها
يجرون خلفه يصيحون به صياح المجانين . وكان أسرهم للحاق به
والد الطفل تتبعه زوجته مولولة باكياً . فامسك الرجل بالشيخ سيد
مسكة الخمر المفترس والتجملت بين الرجلين معركة هائلة فاز فيها
الأب بعد أن استنزف قوته ، فانتزع طفله من بين مخالبه وردده الى
الأم لتعتني به ثم هجم عليه من جديد وكان الشيخ سيد منظرًا
على الأرض فاقبال عليه ضرباً وركلاً حتي خانته قوته فتركه
راجعاً الى بيته ، وهو يرغى ويربذ شامخاً لأعنا . أما الشيخ سيد فلم
يعبأ بما حصل كأن لم ينله أى أذى وقام حاملاً زكيته كالمعتاد ذاهباً
الى حيث تقوده قدماء ولكنه كان يسير ببطء وتمب لما ناله
من الاعياء الشديد أثر تلك المعركة الهائلة .

كان أبو الطفل يدعى حسن سلام من فلاحى الضيعة الاقوياء ،
لحقه عدة مرات من أذى الشيخ سيد ما ولد في قلبه كرهاً دفيناً له
فقد أتى على دجاجة كاه فبده خنقاً وتشريداً . ثم دخل منزله في
غيابه وساق أمامه عنزته وأولادها وجعل يقذف بها في التربة
واحدة بعد الأخرى حتي غرقت جميعها . ثم رأوه قد أوقد النار

في دار حسن سلام يريد حرقها . توالت هذه المصائب على حسن سلام وكان رجلا مؤمنا لا يترك فرضا ، حسن الاخلاق ، قليل النقائص ، فجز عليه أن يناله هذا الأذى الجسيم من شيخ اعتقد هو والجميع بولايته وأيمانه . ولكنه وجد نفسه مدفوعا بالرغم منه لظلم تلك الولاية واضمار الشر له . فلما استخطف الشيخ سيد طفله والحق به هذه القسوة الوحشية طار لبه فلم يجد يعلم ما يفعله . وتجمع أذى الرجل جميعه في ذهن الوالد فدفعه لأن يقتص منه هذا القصاص العادل . فعل ذلك وهو لم يفكر في تلك اللحظة الا في الانتقام من خاطف ابنه الذي لم يفتر عن أذيتيه والحاق الضرر به . لم يفكر حسن سلام في شخصية الشيخ سيد الممتازة وما فيه من قوة خفية قادرة على التنكيل باعدائه . لم يفكر في مصرع الشركسي وفي الكرامات المتكررة التي فعلها الولي . أمضى كل شيء من لوحة فكره في ذلك الوقت فلم ير الا القصاص والانتقام من الجاني . وكانت هذه الحادثة الرهيبة كافية لأن تبطل اللعب فأجلناه الى يوم آخر وبدأ الجمع ينتثر ، ففرق شيئا وفرقا أطفالا وصبياناه رجالا وكهولا ، كلهم يتحدثون عن المعركة . فالطفل يحدّث رفيقه ببشاعة الرجل وكيف كان مكشرا عن أسنانه التي كانت تمثال أسنان

الثور ، والصبي يتحدث عن شهادة حسن سلام وقوته وكيف تغلب على الشيخ سيد فارقته على الأرض بجسمه الطائل ، والرجل يتكلم عن الطفل الصغير وكيف كان يصرخ صراخ المشألم المستغيث وما نال جسمه من التمزيق تحت أمتان الشيخ سيد الفليضة ، والسكهل يروى لرفقه بقوة وبساطة نتائج هذا العراك متمكنا عما سيقع ، مستفيدا بتجاربه الماضية . وسرعان ما انتشرت في جو القرية نبوة رهيبة فاه بها بعض الشيوخ فتناولوها الألسنة الثائرة وحملتها سريعا الى الجميع ، نبوة وفاة حسن سلام في القريب العاجل . اعتقد الناس جميعا ان حسنا لن يمضي الليلة حيا فلا تشرق شمس الغد عليه الا جثة هامدة مشوهة ، فتوهم الجميع عليه سلفنا وبدأوا يستعدون خفية بدون علمه على اقامة شعائر الجنائز والمآتم . وأرسلوا رسولا الى الشيخ حمزة خطيب الجامع وكان متنبيا عند أقاربه في إحدى البلاد القريبة يطلبون منه الحضور هذه الليلة سريعا ليقرأ القرآن في مأتم حسن سلام . وزاد اللفظ والسكلام فتجسست الاخبار الكاذبة المحرفة وانتشرت سريعا في جميع أرجاء الضيعة . وجاء الشيخ حمزة راكبا أتنا هزيلة استعارها من أقاربه ، معصفرا الوجه من الاضطراب الذي لحقه عند سماعه الخبر ، ومن التعب الذي تحمله

في طريقه أثناء سير الدابة البليدة ، والجهود الذي قام به في حملها
على السير بسرعة . قابل شخصاً ماراً في سبيله فاستوقفه وسأله
وهو يلهث من التعب عن حسن سلام فاجاب الرجل بكل بساطة
وهادئ :

— أبو سلام ياسيدنا تعيش انت .

فزاد اكفهرار الشيخ وتابع سيره وهو صامت بحسرة وكمد الى
أن دنا من مدخل الضيعة فقابل أحدهم فناداه وسأله عن حسن سلام
فاجابه الرجل بصوت عادي :

— حسن سلام بيظالم في الروح ياسيدنا .

وسار الشيخ حمزة في طريقه وهو على ظهر أتانة البليدة الهزيلة
كأنه يسير بقدميه ولما اقترب من مباني الضيعة نفسها قابله صبي
مراهق فسأله سؤاله المعتاد فاجابه الصبي :

— بيقولو ياسيدنا انه حيموت بكره

فصرخ الشيخ مستنفها

— بأيهني لسه مامتش

— لسه مامتش ياسيدنا

فتنهذ الرجل تنهد الارتياح لانه كان من أصدقاء ومحيي حسن

سلام ، مرتبطاً معه فوق ذلك برباط النسب . . وترجل عن الاثان
ثم تركها في عهدة أحد (كَلَّافِي) الزراعة لينصب بها الى حظيرة
المواشي ويبقيها فيها حتى الصباح . ثم سارع اخطا قاصدا دار حسن
سلام ليتأكد بنفسه عن حالته . ولما اقترب من الدار التقى بالنجل
الاكبر لحسن سلام البالغ من العمر السابعة فسأله بلمحة :
- فین أبوك يا واد

- فی الدار يشرب القهوة مع أبو حجازي وسيد أبو كبشة .

بعد ان انتصر حسن سلام على خصمه الشيخ سيد العبيط
قفل راجعاً الى داره تسبقه زوجته . وكان من حسن حظهما ان
الشيخ سيد لم يصب الطفل اصابات خطيرة فمالجاء على قدر ما تسمح
لها معلوماتهما . ثم نام الطفل في حجر أمه نوما عميقا وسكت الزوجان
عن الكلام وعن الحركة الا قليلا ، فلم يكن يُسمع في هذه الحجرة
الصغيرة سوى صوت الام الضعيف تفتي غناء متقطعا بسيطا لطفلها
وهي تهزه هزات خفيفة ببطء وهدوء فيرتاح لها في نومه وأحلامه .
هذا خلاف صوت ضئيل خارج من حظيرة الماشية القائمة بجوار
حجرة الزوجين ، حيث الجاموسة الصغيرة تتناول علفها ويجوارها

موسى الابن الاكبر لحسن سلام يكنس قاذوراتها ويمسكها مكانا صالحا للنوم .

كان حسن سلام في ذلك الوقت يفكر في كل ما تم ، يفكر في كل شيء قديم وجديد ، في الشيخ سيد وكراماته وتغير حاله ، في الاذى المتكرر الذي ناله منه بلا سبب ، في موت الشر كسى تلك الميته البشعة ، فيما وقع لبعضهم من الضرر البالغ عند ما كانوا يهزأون بالشيخ سيد في بعض الاحيان . كان يفكر حسن سلام في كل شيء حتى وصل الى حادثة اليوم فا كفه وجهه واضطربت أعضاؤه وعجب من نفسه كيف تهوس هذا الهوس الغريب مع شيخ من أولياء الله . ثم بدأ يارم نفسه ويوبخها ويطلب من الله الصّفيح والغفران عما أتاه . تجاهل حسن سلام ضرر الشيخ سيد وأذاه وقيل ان يمدّه عقابا من الله على عصيانه له في بعض الاوقات ، واجبا عليه احتماله في سبيل رضاه . وتجسّمت امام نظره جريمته الهائلة كما تجسّمت طهارة الشيخ سيد ونقاء سريرته ، خوفا على نفسه من انتقام سريع يحلّ به كما حل بالشر كسى منذ سنين . واعتقد الرجل كما اعتقد الناس جميعاً انه لا محالة مائت اليلة ميته شنيعة بشعة فوهنت قوته وجفّ ريقه وتصبب العرق البارد من جبينه وزادت

ضربات قلبه فاضطرب تنفسه ، واختلطت المشاع في رأسه فكانت تمر فلا يستطيع ان يميزها بوضوح . فمن منظر من مناظر جهنم بأبوابها وطميبها ومرزباتها الحديدية الثقيلة تنهال على رأسه فتشمسها ، الى منظر صراع الموت الذي سيصرعه فيه عزرائيل بقوة الهائلة ، الى بعض مناظر من مناظر حياته الماضية ، الى صور عديدة تمثل الشيخ سيد يعزم تهازيمه السحرية مسخرأ قوته الخفية ليتم انتقامه الرهيب . وأخيراً رأى منظر جنازته وزوجته تصرخ مولولة خلف النعش حاملة ابنها الصغير . فضاق صدره وأحس باختناق شديد ثم صرخ مستنجداً :

— حوشوا ياناس . حوشوا الشياطين . . . المرزبة . . .
عزرائيل حوشوا .

ففزع الطفل في نومه وقامت زوجته مسرعة نحوه وهي ترتجف من عظم ما نالها من الخوف . وأتى ابنه الأكبر من حظيرة المواشى بحذر وخوف شديد ين يستطلع انظر الرهيب عن ابليس وعزرائيل . وهدأ الرجل قليلاً بعد ان استأنس بصوت زوجته ووجه ابنه . ثم طلب اشعال المصباح فتقدمت زوجته وأشعلته فانبعثت النور من فتيلة الزيت وأضاء الغرفة بضوء أصفر ضئيل اطماناً له قلب الرجل بعض الاطمئنان . ثم خرجت الزوجة الى بعض أقاربها في القرية تنبئهم

ينبأ زوجها واستقدمت معها بعض الشيوخ المتقاعدين فجاءوا على مهل يتقدمهم الرجال والنساء مدفوعين بحسب الاستطلاع ليروا ما حل برفيقهم حسن سلام جزاء ما اقترفه اليوم من جريمة هائلة ضد شيخ من أولياء الله . ولكنهم لم يستأوا رهبة وخوفا . بل ازدحموا حول الباب يتناولون باعناقهم ويعنون النظر في الداخل . واقترب الشيوخ فادسوا لهم مكان الدخول . وتكلم أ كبرهم سنا فبادره حسن سلام قائلا بصوت منخفضة العبرات :

— حموت ياعم مبارك . . . حموت . . . شفت بعيني ابليس وعزرائيل جاينين يقبضوا روحي .

فأجاب الرجل بياس واشفاق :

— لسه يا بني لسه . مش دلوقتي

فصرخ حسن سلام صياح القنوط :

— يا يعني صحيح حموت ؟

فأجاب عم مبارك بصوت مستسلم ضعيف :

— وحتمل ايه يا بني . حتمل يقدر يرد حكم الله

فشق حسن سلام بالبكاء وبكت زوجته معه وولول الصبي قائلا :

— آه يابا . حتموتني لمن يابا .

فمسخ الجميع الدموع من أعينهم وتنهّدوا بحسرة وحزن
 واعتري حسن سلام يأس قاتل فالتهمت رأسه بالنيران ودارت الدنيا
 أمامه ونضأت الصور والأشباح فرآها تتلاشى رويداً يضرها
 الظلام . واحتبست أنفاسه فانطرح على الأرض كالغنى عليه .
 وظنوه قد فارق الحياة فمسخ الجميع وصرخت الزوجة صراخ المأتم .
 وتّم الشيوخ يرددون قول « انا لله وانا اليه راجعون »

في ذلك الوقت المصيب دخل أبو حجازي وخلفه سيد أبو
 كبشة من أقارب حسن سلام فبادر أبو حجازي الجميع قائلاً :
 — جرى أيه يا ولاد جرى أيه

فتكلم عم مبارك المعجوز قائلاً بصوت واهن خافت :
 — حسن سلام تهبش انت .

فدنا أبو حجازي من حسن سلام ، وكان رجلاً يمتاز عن
 رفاقه بذكائه ورجاحة عقله ورزاقته وقال وهو يتقلب الرجل
 بين يديه :

— أيه الكلام ده . دا الراجل حي زي وزيرك . بس هو

اللى مسروق .

وصرخ قائلاً :

— هات ياواد شوية مية .

فناولهُ الصبي القلة . وانقطع صراخ الزوجة فمسحت الدموع من عينيها . وسكت الجميع يراقبون ما يفعله أبو حجازي لينتشل حسن سلام من مخالب الموت . ومد أبو حجازي يده بالقلة فجعل يوش ماءها بقوة على رأس الرجل ووجهه بينما كان رفيقه أبو كبشة يدعك يديه بشدة فلم تمض بضعة دقائق حتى أفاق حسن سلام من اغماؤه وفتح عينيهِ وقال متنهداً :

— أنا فين يا جماعة ؟

وزغردت زوجته زغرودة الفرح وضج الناس مستبشرين فرحين . فاجابه أبو حجازي قائلاً :

— أنت في دارك يا بوسلام . شد حيلك يا أخى .

فتهد الرجل من اعماق قلبه وقال بحسرة :

— حوت يا أبو حجازي حوت شفت بعيني عزائيل وأبليس .

فطيب أبو حجازي خاطره بكلام لطيف رزين ارتاح له الرجل ارتياحاً عظيماً . ثم قام أبو حجازي وطلب من الحاضرين أن ينصرفوا مخبراً إياهم بأن حسن سلام في أحسن صحة وعافية . فبدأ الجميع يتفرق وخرج الشيوخ بمكازاتهم الطويلة يتهايمون قائلين :

ما يتكذبي حيفوت الليلة .

ولما خرج الجسيم قفل أبو حجازي باب الدار واقترب من حسن سلام وأخذ يحادثه حديثا جميلا أفهم قلبه بالأطمئنان . فخبيل إليه أنه أصبح شخصا جديدا له روح جديدة تشعر بالفرح والسرور ، وهينان جديدتان تريان العالم في بهجة وحبور ، فجعل يتكلم بوثوق من نفسه وقوته محدثا أبا حجازي وأبا كبشة عن حادثة اليوم وكيف اختطف الشيخ سيد طفله الرضيع بوحشية وقسوة وكيف كان العراق شديدا متعبا . وبعد أن وفي الحادثة حقا من الشرح والتعليق قال مستغفرا متعجبا :

— ولكن بس الرجل ده ماله ومالي . انا عملته حاجة . هو جري له ايه ؟

فأجاب أبو حجازي بصوت خافت هادئ :

— الرجل يا أبو سلام ركبه عفريت . ربنا يبغده عنا وهناك

— طيب ما هو يمكن يتزني ؟

فصرخ أبو حجازي قائلا :

— يتزناك ازاي . وفين ربنا ياراجل . بآ يبتني ربنا موجود

وشايف كل حاجة ويخلصه واحد را كبه عفريت يتزني مؤمن زيك .

فتنهده حسن سلام تنهده الأرتياح وتيقن بأنه نجا من الموت ومن
عذاب عزرائيل ومن المرزآت الحديدية الضخمة التي رآها في
أحلام اليقظة منذ لحظة تهشم رأسه وتدفق عنقه فابتسم وضحك
وطالب من زوجته أن تمضيه لهم القهوة ليرطب حلقه الجاف وينبه
مشاعره القمبة . ثم أرسل ابنه ليخبر عمه مبارك الكهل بأن الخطار
قد زال عنه وأنه بخير وعافية .

وبعد قليل دق الباب ودخل الشيخ حمزة الخطيب فأمرع فهو
حسن سلام وعاتقه باهمة وهو يقول :

— الحمد لله على سلامتكم يا بني . دانت طيب بخير

— الحمد لله يا أبويا

— دنا سمعت عنك كلام وحش أوى

— كنت حموت يا أبويا حمزة . كنت خلاص بطالم في
الروح .

وشاركهم الشيخ حمزة في شرب القهوة كما شاركهم فيما بعد في
تناول العشاء المكون من أرغفة الدرة الكبيرة الهشة والجبن
الابيض المملح .

وأشرقَت الشمس في اليوم التالي فقام حسن سلام من نومه
 مشغولاً بما أن إحدى ليلة عادة مشبعة بالأحلام الجميلة . وحمل فأسه
 على ظهره كالعتاد وخرج من داره قاصداً الفيظ ليقوم بعمله هناك .
 ومراً أمام الدوّار فسلم على الناس بابتهاج وسرور والناس ترد له
 السلام بريّة وعجب متسائلين كيف لم يمت . وكان الشيخ مبارك
 السكّيل في المصلى الذي بجوار التربة في رفقة من أصحابه . فلما رآه
 حسن سلام قصده وسلم عليه مقبلاً يده فارتاع السكّيل ورفاقه ارتبعا
 شديداً لأنهم كانوا في تلك اللحظة يتحدّثون عنه منتظرين من يجيئهم
 بخبر نبيه . وتكلم بلهجة الخوف وهو يسحب يده من يد حسن سلام :
 - بسم الله الرحمن الرحيم . أنت لسه ما مُتّش يا حسن والأدّه
 عفرينك . . . ! ؟

فابتسم حسن سلام وأكّد للشيخ السكّيل ورفاقه أنه لم يمت
 وإن يمت إلا بإذن الله . ثم أخذ يباسط الجماعة برهة من الزمن وقام
 إلى الفيظ وهو حامل فأسه على ظهره .

وسرعان ما انتشر خبر نجاة حسن سلام كما انتشر من قبل خبر
 وفاة الشركسي . وتناقلت الألسن خبر هذه النجاة مضافاً إليها
 ما حلّ بالشيخ سيّد من خضوعه للشيطان حتى أصبح الآن من خدامه .

المطيعين يأثر بأمره ونهيهِ بعد أن كان من أولياء الله تعالى في الدنيا
ويعاقب الأشرار. انتشر هذا الخبر بسرعة فابتدع له الناس ألقاباً
عظيمة. وكان أشدهم فرحاً من نالهم أذى الشيخ سيد وكانوا يخشون
سلطوته وانتقامه. وكان اليوم كأنه يوم عيد لسكان هذه القرية
فقد عظم شر الرجل واستبداده وأذاه حتى ضج الناس بالشكرى
ولكن لأنفسهم ، وأصبحوا في هم وكمد يخافون على مزارعهم
وأموالهم وتجارهم وحيواناتهم ودواجنهم حتى هل أطفائهم من أن
ينالها الضرر من يد ذلك الماتى المستبد. وخرج الناس إلى الشيط
الذى يشتغل فيه حسن سلام يسألونه بأنفسهم فكان يجيبهم بدشاشة
راويا لهم كيف جازى الشرير على فعله وكيف رد كيدَه في نحره .

وقام للشيخ حمزة خطيب الجامع واحتل مصطبة الدوار بعد
صلاة الظهر وكان قد أمّ الضيعة في هذا اليوم عدد كبير من
الناس ليشهدوا حسن سلام بهيئتهم ويسألوه عن حقيقة الحال
بأنفسهم . فالتفوا حول الخطيب لسمعوا كلامه ، وكان الرجل
مازال يذكر كيف أهانه الشيخ سيد بنتف لحيته وركله بشدة في
بطنه . وكأنه قد أحس بألم الإهانة والضرب في تلك اللحظة ،
فاحمرت عيناه غيظاً ، وارتجفت لحيته بشهيرات المبعثرة وأمسك

سنة عكازه في يده اليمنى ثم جعل يفيض ببيانه المبهود شارحا
للجميع كيف انقلب الشيخ سيد الآن من ولي من أولياء الرحمن
الى شيطان يخدم ابليس وينشر مبادئه على الارض . وأخذ يبرهن
لهم بمختلف الأدلة والبراهين على صدق كلامه وصحة دعواه ثم
حضر على مطارده حتى يرتد ابليس خاسرا بما نواه ، ويعلم
حق العلم ان سكان هذه الضيعة الطاهرة وما يجاورها من القرى والبلاد
ليسوا الا . الناس الصالحين الاتقياء يعبدون الله وحده لا شريك
له ويلعنون ابليس وشركائه وتابعيه . ثم تحمس في كلامه فملا صوته
وتشجعت ملائكته ، وبصق بضعة شديدة في ناحية خيالية قائلا انها
موجهة الى ابليس ، فمليه لعنة الله . فبصق الناس جميعهم في هذه
الناحية وهم يلعنون ابليس ويستعينون بالله من أذاه .

اختفى الشيخ سيد عن الانظار بضعة أيام اذ حمزته أمه خوفا
عليه من أذى الناس بعد ان علمت بمحادثته الاخيرة مع حسن سلام
وما وصل الى سمعها من أحاديث الرأئحين والفادين بانه أصبح الآن
خادما للشيطان يجب على كل انسان ان يطارده ويلحق به الاذى .
ولكن الشيخ سيد ضاق ذرعا بحبسته وهو الذي تعود الانطلاق
الى حيث يريد يرتاد أما كن الكرماء عملاً بطنه بلائذ المآكل .

فما لج الباب حتى فتحه . وخرج يمشي مشيته المعتادة . وذهب يبحث
عن الماء كل الشهي والحفاوة الكبيرة . وانطلق في سوق البلدة
المجاورة وبدأ يدخل الحوانيت ليقوم فيها بأعماله الجنونية فوجد
أمامه وجوها متجهمة . ومد يده فسمع زجراً شديداً لم يتعوده .
وكان لا يكاد يدخل محلاً حتى يخرج منه هُتوة مطروداً . ولكنه لم
يفهم شيئاً ولم يأبه لشيء . وصمم على خطف شيء من حانوت الجزار
القريب فأمسك بخروف مساوخ معلق على الباب وتعلق به
فهوى بالخروف على الأرض . وخرج صاحب الحانوت يلعن
ويسب ثم أتى بعضاً غليظة وهوى بها على الشيخ سيد حتى أثنخه
فيخاف الرجل بعد أن شعر بالضررب ، وقفل راجعاً الى بيته وأخذ
يمكي في حجر امه الضريبة يشتكى اليها مما فعلوه به .

وتجراً الناس على الشيخ سيد جرأة عظيمة فطاردوه وتعدوا
عليه بالضرب وهو لا يعي ولا يفهم شيئاً مما يفعلونه . فكان يخرج
كماداته ثم يرجع سريعاً الى داره مطارداً من كل شخص ، مطروداً
من كل مكان ، لا يملك شيئاً يسد به رمقه .

وعادت دورة الحياة على هذه العائلة التي لم تتكون اليوم الا من
فردين ، فانزات بها نازلة الفقر والفاقة حتى كاد فرداها يموتان

جوعاً لولا ما كانت تجيء به الأم الضريفة من قوت ضئيل لا يكفي لأطمام طفل صغير . فمزلت قوة الشيخ سيد وزادت نوباته الجنونية فكان يصرخ صرخات عالية تارة متوعداً وطوراً شاكياً متظالماً ، ثم يقرع رأسه في الحائط قرعاً متواصلاً حتى يدميه وخلفه أمه تتوسل إليه ان يرحم نفسه .

ومضى بومان على الشيخ سيد وأمه لم يذوقا فيهما غير الماء . وقد ارتمت الأم من ضعفها على الأرض بجوار الباب تطالب المعونة وهي مادة يدها الى من لا يسميها ولا يراها . واشتد الجوع بالشيخ سيد فكان يقضم الطوب ويزدرده كأنه العيش الجاف . ولكنه لم يصبر على ذلك فخرج من داره وكان الوقت ظهراً وأنجه ناحية الضيعة فلم يصادفه أحد في الطريق لأن الجيم كانوا في الغيط أو في الدوّار يتناولون الغذاء أو نائمون . فدخل القرية بدون ان يشعر به أحد ، لا يدري أين يذهب والى أى غاية يقصد ، يسير كالحيوان مدفوعاً بغريزته يبحث بلا وعي عن شيء يسد به رمقه . وكانت الدّور مقفلة الأبواب الا داراً لمخ بابها مفتوحاً قليلاً وامرأة تتأهب للخروج منه حاملة على رأسها شيئاً منطلي وبجوارها ابنها الصغير . فأنجه الشيخ سيد نحو هذه الدار . ورأته المرأة وكانت وحيدة في

تلك الناحية ، والشمس على أشدها ترسل ناراً حامية على الرؤوس وضوءاً قاتلاً للعيون ، والسكون سائد منتشر انتشاره في حلك الليل . فارتفعت المرأة ارتياحاً شديداً وأيقنت أن الشيخ سيد ليس ابليس نفسه أتى ليُلحق الأذى بها وبابنها . فأرتج عليها في بادئ الأمر فلم تستطع الصياح ، فكان صوتها يخرج مختلفاً ضعيفاً لا تكاد تسمعه هي بنفسها . وأرادت أن تتحرك - إلى الامام خارجة ، أو إلى الخلف مرتدة إلى دارها لتقف الباب عليها دون الرجل - فوجدت قدميها لا يكادان يحملانها فظنت أن هذا من فعل إبليس وكادت تستسلم لولا أن سمعت نباح كلب من كلاب الجيران من أحد الأسطح المجاورة فتشجعت وخرج صوتها من حلقها بعد جهد جهيد مستغنياً منادياً . وبدأت تتحرك فسارت تعالج الجري بكل ما تستطيع من قوة تجر طفلها خافها . وانطلق الشيخ سيد يمدو وراءها كما يمدو الفيل الجائع نحو فريسته . ولحقها وهجم عليها ثم رماها أرضاً فانتثر الطعام الذي كانت تحمله لزوجها . فجعل يلتقطه بيده ويضرب المرأة بالآخرى وهو يلتمه بهم ووحشية ، يزجر زجرة الوحوش المفترسة . ولم ينقطع صياح المرأة بل تزايد مصحوباً ببكاء الطفل وعويله ونباح الكلاب التي هبت كلها دفعة واحدة

مشاركة رفيقها السابق في نباحه الأول بدون أن تعلم أن تنبح ولا أي شيء تنبح . وفتحت أبواب الدور وخرج سكانها وكان معظمهم من الصبيان والأطفال والنساء لأن الرجال كانوا في عملهم في الغيط أو في الدور فبدأوا يصيحون صياحا مزعجاً . وجرى الصبيان الى خارج القرية ليستدحوا الرجال . واستطاعت المرأة أن تخلص نفسها وطفلها من الشيخ سيد ورجعت هاربة الى حيث اجتمع يصيح . أما الرجل فقد جلس وهو يلهث من التعب يلتهم ما تصل اليه يده . وكان في القرية أربعة أشخاص منهم الشيخ حمزة الخطيب ، كانوا نياماً فاستيقظوا على صياح النسوة والأطفال ونباح الكلاب فهبوا هبة واحدة وخرجوا يستوضحون الامر فأروا الشيخ سيد جالسا يلهث وهو يأكل الطعام ملوثا بالتراب . وسألوا ما الخبر فعلموا أن الرجل هاجم المرأة بينما كانت على أهبة الخروج من دارها فأراد اغتيالها هي وطفلها لأغراض خفية . فحنق الرجال واشتد سخطهم وتكلم الشيخ حمزة فقال ان الرجل كان بلا ريب يريد سلب المرأة طفلها لياً كما . وجاء في هذه اللحظة بعض الفلاحين مسرعين نحو الجمع المتألب وكانوا قد سمعوا بحكاية الشيخ سيد وكيف هاجم المرأة وطفلها . والتفوا حول الشيخ حمزة يسألونه فأخبرهم بجملة

الأمر وكيف كان الرجل يريد اغتيال المرأة وافتراس طفلها
فارتاعوا لذلك ارتياحا عظيما وقرروا عقابه والانتقام منه . وحاصروه
في مكانه وهم يصيحون به يسبونهم ويشتمونه . ونجراً أحدهم فركا
في ظهره . وجاء آخر فصفعه على وجهه . وهجم آخرون فجعلوا
يضربونه ويمزقون ثيابه . وكان الشيخ سيد ينظر اليهم نظراً
وحشياً بمحيرة واندهاش يتوعدهم تارة ويتوسل اليهم أخرى ليركوه
ياكل طعامه الملوث بالطين والاقذار براحة وسكون . وأخيراً عيل
صبره حينما وجدهم قد تألبوا حوله وهم لا ينفكون عن أذنيه فزجر
فيهم زجيرة جهلهم يرتدون قليلاً . ولكنهم عادوا يشاكسونه
ضرباً وصفعاً وركلاً فقامت قيامته وتهيج جنونه فأمسك بمن
استطاع امساكه ، وكان صبياً يناهز السابعة ، فكدف به بعيداً بقوة
استمدتها من ضعفه وجوعه . فصاح الجمع صباح الجانين ووحّدوا
صفوفهم ضده وكانوا قد أكلوا تسليح أنفسهم بالهراوات الغليظة .
وبدأوا الهجوم فحاطوه وطاحوا به دفعة واحدة يضربونه ضرباً
وحشياً . كانوا في عملهم هذا لا يقلون جنوناً عنه هو نفسه ، فقد
أضاعوا شخصيتهم العاقلة في تلك الحماسة التي كان يزكي أوارها
الشيخ حمزة بكلامه المهيّج ضد الشيخ سيد رسول الشيطان الرجيم .

فكان لكلامه في نفوسهم تأثير الطبل والنفير في نفوس الجنود
وهم يحاربون في حومة الوغى . وهل الجندي في ساحة الحرب
الا وحش كاسر فاقد شخصيته الآدمية العاقلة المهندبة ، مجرد من
كل رحمة ونبل يرى ويفعل بغريزته الحيوانية المتمطشة الى
حب الدماء والانتقام الأعمى .

لقد كان جماعة الفلاحين وهم في نضالهم هذا أشبه بالجنود في
ساحة الحرب ، قد فقدوا شخصياتهم الآدمية ونزلوا الى الدرجة
الحيوانية يدفعهم ذلك الاعتقاد الديني المتغلغل في قلوبهم بأنهم انما
يحاربون من أجل الله وفي سبيله ليقضوا على الشيطان في لباسه
الآدمي . ولكنهم جهلوا من يحاربون . لقد كان أمامهم رجل أبله
أنهمك الجوع قواه ، فردُّ أعزل لا يدفعه الى مغالبتهم غير جنون
أنزله عليه القضاء ، ولم يكن له يد فيه أو مستطيع رده . ولكن
كيف تهمل الجماعة ، وهي تعمل مما عملا واحداً ، مشتركة الشعور
والاحساس .

ودام النضال نصف ساعة انهزم في نهايتها الشيخ سيد انهزاماً فاصلاً .
فأمسك الفلاحون عن الضرب ووقفوا يمعنون النظر في فريستهم
وهم يحجفون عرقهم السائل على وجوههم بأكمام جلايديهم الزرقاء .

ثم دنا أحدهم من الشيخ سيد . وكان ملقى على الأرض جثة هامدة عاري الجسد لا يستره إلا مجموعة خرق بالية قدرة ملطخة بالأقذار والطين والدم ، منشوراً عليها بضع قطع صغيرة من لحم الرجل الممزق . وحرّكه بهراوته فلم يتحرك فالتفت إلى الجماعة وأخبرهم بأن الرجل قد مات . فهمموا في ما بينهم كأنهم لم ينتظروا مثل هذه النتيجة بهذه السرعة . وقفوا واجمين شاعرين بأنهم تسرعوا في عملهم ، وكانوا قد بدأوا يعودون إلى حالتهم الطبيعية . ولكنهم لم يشعروا إلا بخوف قليل عليهم أن الجرم — إذا كان ثمة جرم — موزّع عليهم على السواء . وخرج الشيخ هزة الخطيب من بين الصفوف وتكلم بصوت جهوري قائلاً :

— لقد مات الشيطان أيها الناس فألى جهنم وبئس المصير . فكان لكلامه تأثير كبير عليهم أرجع الثقة التامة إلى نفوسهم والراحة والاطمئنان إلى ضمائرهم . فأمنّوا على كلامه . وبعد فترة صغيرة قضوها في التشاور قرّروا قرّارهم على دفنه بالقرب من الجرن . وهمت جماعة منهم ، آتسوا من نفوسهم الجرأة والقوة ، فدنوا من الجثة وكانت خائطاً من دم وعظم ولحم وخرق بالية يكاد الناظر إليها لا يعرفها أهي جثة آدمي أم حيوان ، وبدأوا يجرونها كما يجرون

جثة الثور الميت ، والأطفال خلفهم وأمامهم يرقصون ويهلاون ،
صائحين فرحين ، حتى دنوا من الجرن حيث الموضع المختار . فتقدم
بعض الفلاحين الأخصائيين بأعمال الحفر فحفروا حفرة واسعة
بفؤوسهم الصلبة الثقيلة . وكان العرق يرشح من أجسامهم ويقطر
من وجوههم فيبالى أرض المقبرة التي أعدوها لمدوهم . ولما أتموا
عملهم جاؤا بالجثة فألقوها دفعة واحدة في الحفرة فاصططمت بقاعها
وسمعوها لها دويًا غليظًا مبهمًا . ثم هالوا التراب والأحجار عليها .
وكانوا كلما وجدوا الأكرام علت دكوها وساوروها بأرجلهم ورؤوس
فؤوسهم حتى امتلأت الحفرة وساوى سطحها سطح الأرض .
وتفرق الجميع قافلين الى دورهم وهم يسبون الشيطان الرجيم .

هكذا مات الشيخ سيد مينة الكلاب الكلبة بهراوات الفلاحين
ودفن مصحوبا باللعنات .

لم يجن الشيخ سيد على أحد بل جنى عليه القدر ، فقاده من
حياته المائمية الاولى حياة الرجل العامل النشط ، المحترم الكامة ،
الى حياة الاولياء المعتوهين يعيش كما تعيش الطيورانات المؤلهة في
المصور الاولى ، مكرماً محبوباً ناعم البال يعيش رغد وما كل هنى .

ولكنه لم يكذبوا بهذا المركز السامى حتى خطفه القدر فألقاه فى
هاوية الابلابة فأضحى شيطاناً مؤذياً رهبة الناس وتجنبوه فترة من
الزمن ، ثم تجرأوا عليه فاحتقروه وطاردوه ، وأخيراً افترسوه كما
يفترس الحيوان الضار .

مات المسكين شاكياً ظلم القدر ، ميتةً شنيعة لا يرضاها الانسان
العادل لحيوانه ، فكيف برفيقه . وطوت الأيام والسنون فى بطونها
تاريخ الشيخ سيد وحادثة موته فلم يعد يلهمج بكرها أحد .

وسافرت الى الضيعة بعد هذه الحادثة ببعض سنين وجلست
على المصطبة التى بجوار الساقية اطالع الجرائد وانظر الى الفضاء
اللامتناهى نظرة الاعجاب . وكانت الساقية يديرها الثور كالمعتاد
وغلام صغير جالس على دولابها يراقب حركة السير . وكان خريف
الماء الممزوج بأنين الساقية ينتشر فى جو المكان فيكسبه جمالا
سحرياً . وبالقرب من المصطبة جلس عم خضر البستاني ينظر الى
مغزله بعينيه الهادئتين النقيتين وقد تغلب بياض الكهولة فى شعر
لحيته ورأسه على سواد الرجولة ففداً مهاب الحيا عليه طابع الشيوخ
الظاهرين والاولياء الصالحين . لم يكن عم خضر فى هذا الوقت
يشغل وظيفته القديمة بل كان محالاً على المعاش . ولكنه بالرغم

من ذلك كان يأتي كل يوم الى الحديقة يراقب أعمال البستاني
الجديد ويرشده الى ما يجب عمله

ونظرت الى عم خضر وقلت له بابتسام :

— إيه أخبارك عن الشيخ سيد صاحبك القديم ؟

فتكلم بهدوء وبطء ولم يرفع عينيه عن مفزله ، قائلاً :

— ما بأش من ريحته غير شجرة الجيز

— شجرة الجيز ! ؟

فقابل عجبى بهجيب أشد منه ونظر الى وقال :

— أيوه « جهيزة » ابليس . انت مش عارفها ؟

فأخبرته بكل خبر تلك الشجرة وطلبت منه أن يشرح لي

قصتها . فقال لي باختصار ان شجرة من الجيز نبتت من ضريح الشيخ

سيد ونمت مع الزمان فأضحت اليوم شجرة فتية يستطيع الانسان أن

يتفياً ظلها ويأكل من ثمارها ، يزورها الناس نساء ورجالا اذا اشتد

بهم الكرب أو ترات بهم نازلة من نوازل الدنيا ليرجموها ، فكأنهم

يرجمون ابليس ، ويتضرعون الى الله أن يحميهم من شره .

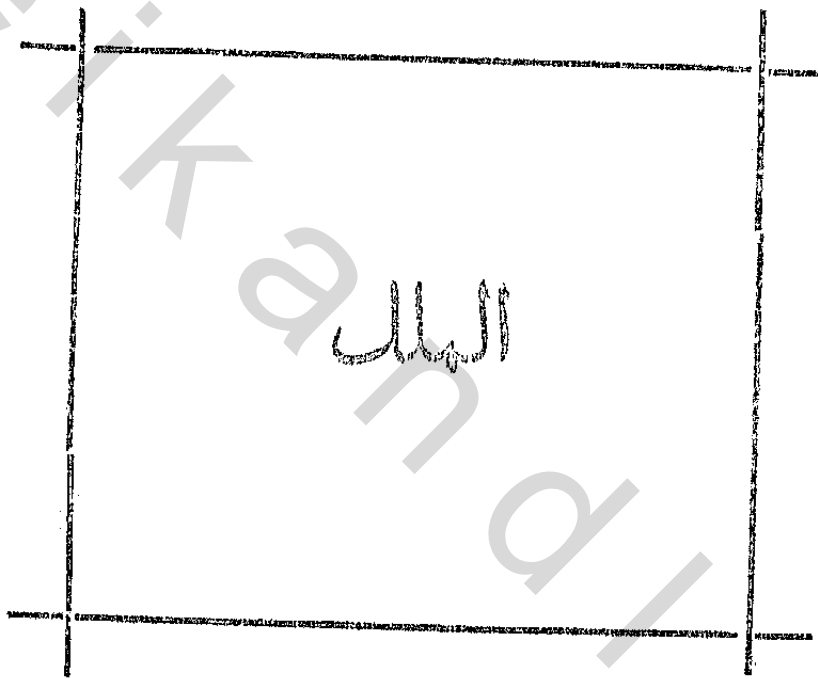
وقتُ معه لزيارة « جهيزة ابليس » كما يسمونها فألفيتها قائمة بمفردها

على حدود الجرن مخضرة الأوراق محملة الثمار ولكنها جريحة

الساق مشتتة الأغصان قليلا لما يصيبها من الرجم . وحولها اكوام

منشورة من حصا وقطع من الأ حجار الصغيرة هي ما يستعمله الفلاحون
 في رجم ابليس لينجيتهم الله من مصائبهم . وبالقرب منها قطعة أرض
 في داخل الجرن الرمل الأ جذب يزرعها الفلاحون خضراً ويقولون
 لأنهم وجدوها صالحة للزراع تجود عليهم بمحصول وافر كل فصل .
 وبالرغم من كون الشجرة حاملة اسم ابليس ونامية على ضريح
 شيطان من أتباعه فليست هي بالشجرة الخيفة عند الفلاحين صغارهم
 وكبارهم . فظلالها مبسوطة للنائم والمتعبين ، وثمارها نهب مقسم
 بين الجميع .

لقد مات الشيخ سيد وعفا أثره ولكن الناس لم يدعوه ينام
 حتى في نومه الأخير نوما هادئا بعيدا عن سخافات الدنيا الباطلة بل
 جعلوا ضريحه مرجحا الأبالسة وشجرتة عالما من أعلام الشياطين ،
 غير شاكرين له صنيعه فيهم بعد مماته حيث وهب لهم نفسه فأكلوا
 ثمار الجبن اللذيد والخضر المختلفة ، الوافرة المحصول ، التي لم تكن
 تجود في تلك القطعة الجرداء لولا وجود الشيخ سيد في أرضها .
 وهكذا تعمل دائما الأثرة والأ نانية الإنسانية بغريزتها ، فتستفيد
 من الشخص حيا الى أقصى درجة تريدها ، ثم تفتريه افتراس
 الوحوش ، ومن ثم تقم الولائم حول ضريحه تأكل من عظمه ولحمه
 وجلده بقدر ما تستطيع ثم تلعنه لعنات الأبالسة والشياطين .



البلبل

سامي افندي شاب في الثامنة عشرة من عمره من اسرة نبيلة كانت الثروة تغمرها فيما مضى ، أما اليوم فهي الى الفقر أقرب منها الى اليسر . طالب في السنة الثالثة الثانوية بالمدرسة الخديوية ، حسن الملامح اسمر الوجه يعتني بملابسه رغم فقره ، تلوّح على محيّا أمارات الذكاء . يمنحه والده مرتباً قدره مائة قرش في الشهر يصرفه جله أن لم يكن كاه في القهوة القريبة من المدرسة حيث يمضي فيها فسحة الظهر مع رفاقه يتحدث معهم حديث الشباب الجميل .

كان سامي يعيش حتي سن السادسة عشرة عيشة الشاب الطاهر الساذج الذي لم يطأ بعد عتبة الحياة النسائية . ولكنه ما كاد يتخطى أول درجة من درجات السابعة عشرة حتي صادفته في طريقه من حيث لا يشعر امرأة تبلغ الخامسة والاربعين فجذبتة الى حظيرتها وكشفت له عن تلك الحياة التي لم يكن بعد قد تذوق منها شيئاً ، فأقبل عليها يدفعه ذلك الشباب الحار بشعوره وتهوره . وبدأ منه ذلك الحين يأخذ عنها - وهو الجاهل المبتدئ - أول درس من دروس الشباب بل أول علم من علوم الكون المملوء بالخطايا والآثام .

كان سامى يذهب عصر كل خميس الى السيئنا مع رفقة من
أصحابه. وكان هذا اليوم هو اليوم الوحيد الذى يسمح له فيه والده
أن يتغيب عن المنزل الى الساعة التاسعة مساء . فلما تعرف برفيقته
ذات «الخسة والاربعين» ضحى صحبة الرفاق في السيئنا واستعاض عنها
بصحبة المرأة يقضى معها اجازة الخميس من كل اسبوع. وقد اختلف في
بادىء الامر الاعتذار الواهية لاصدقائه عند ما تغيب عن صحبتهم ولكنهم
فطنوا لأمره أخيرا وقابلوا هذه الاعتذارات بشيء من الابتسام
الذى يخفى تحته معاني كثيرة. ولكن لم يدم الحال على ذلك فقد
فألتهم سامى بحقيقة أمره وقص عليهم جلية الخبر فقابلوه بتشوق
وسرور وجعلوا يطرحون عليه مختلف الاسئلة وهو يجيب عليها
اجابات مشوقة جميلة ذات أوصاف جذابة يطربون لها ويقهقرون .
وكيف لا يطرب شباب السادسة والسابعة عشرة بمحادثات
الحب والنساء - تلك الصور المستترة تحت قناع الشباب حيث
تمثل أحاسيسه ومشاعره الثائرة .

كانت الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم من أيام الخميس
عند مارك سامى دار والده . لقد عاد من المدرسة في الساعة الواحدة

فتناول طعام الغداء مع والده ووالدته واختيه ثم قصده حجراته حيث
بدّل ملابسه المدرسية بالابس نظيفة أعدها لهذا اليوم . وقد مكث
أمام المراة ساعة من الزمن وهو يصالح هندامه ويسرح شعره ويحضر
مناديله وملابسه فلما وجد نفسه أهلاً لمقابلة الحبيبة ترك حجراته وذهب
لمقابلة والده مستأذناً إياه للخروج فلم يجده ولكنه وجد والدته جالسة
تخيط بعض الثياب فرفعت بصرها إليه وقالت له بابتسام :

- أتريد أن تخرج ياسامى ككل خميس لترى رفاقك وتذهب

الى السينما .

- أجل يا امه

فابتسمت ثانياً وأحدقت فيه النظر تفحصه ثم قالت مداعبة :

- من يراك هكذا ياسامى يخال انك ذاهب لمقابلة العروسة .

انت كثير الزينة . جميل الرائحة .

فظهر على الفتى بعض الارتباك ولكنه استطاع أن يغير

مجرى الحديث فقال :

- سيعرضون الليلة روايه عن توت عنخ آمون . ولذلك سيكون

سرورى بها عظيماً

ويخرج الفتى من داره فسار في الشارع الموصل للكهرباء وهو
يناجي نفسه قائلاً :

— ليست رواية توت عنخ آمون التي سأراها هذا المساء بل
هي رواية كل خيس ، رواية المرأة التي تهيم بي حباً وتجن بي
هشاً

ثم تنهد وقال لنفسه مناجياً إياها :

— منذ سنة وأنا أسير هذه المرأة لا أستطيع الفكك منها .
هي أول امرأة عرفت منها سر الشباب وأحلامه وسأكون لآخر
حياتي معها لا أعرف ذلك السر من غيرها . أف . لم أعد استطيت
هذه الحياة ولا تلك الأسرار الفرامية . لا أدري ما الذي يربطني
بها ولماذا أنا مضطر للذهاب إليها .

ثم تاه في بيداء خياله فحملته الذكري على أجنحتها الخفيفة
السريعة الى الماضي القريب حيث تعرف بهذه المرأة . وجعلت
الصور تظهر في مخيلته ثم تختفي وهو تارة يتسم لها وطوراً يهزأ منها
وأخرى يقطب لها . وركب الكهرباء وهو صامت ينظر بعينين
تاهتين فيما يحيطه من جوامد وآدميين غير آبه بهم لانه كان ينظر
بمخيلته الى صور الماضي التي كانت ترسم في لوحة دماغه .

ما أُلذّها من مقابلة تلك التي رآها فيها لأول مرة . كان يوم
من أيام الخميس ، وكان ذاهباً لمقابلة رفاقه في إحدى القهاوي القريبة
من السينا حيث يجتمعون كل اسبوع . لقد كانت في عربة تسير
سيراً بطيئاً . فلمحها من بعيد ولكنه لم يجرها أية أهمية . فتابع سيره
من غير أن ينظر الى العربة أو الى من بداخلها . ولكنه شعر بأن
نظراتها كانت مصوبة اليه بشدة وشره . وفيما هو سائر سيره
المعتاد رأى العربة وقد عادت الى جهته تسير محاذية له ، وقد كانت
قبلا تسير مواجهة اياه . فتمجّب لذلك ودفعه فضول الشباب ان
أن يمن النظر فوجد وجهاً يشرق بابتسامة عنيدة تكاد تفصح عن
الحقيقة بأنهم ممانيتها وعينين لها لمعان مؤثر ، اهتزت تحت تأثيرها
أعصابه . ففهم الفتي ، وان كان قليل الخبرة في مثل هذه المواقف ،
واعتراه سرور ممزوج بشيء من الخوف لم يعرف سببه . ورنّت في أذنه
ضخمة نسائية في ذلك الحين سرت في جسمه سريان الكهرباء . وهرّت
العربة في طريقها ولكنها ما كادت تسير بضعة أمتار حتى عادت من
جديد مواجهة له . فضطرب وقد اتضحت له الحقيقة من هذه المناوشات
الغرامية . ولكنه تجلّد واندفع بحكم هواه نحو ذلك المنبع الجاري
ليطفيء فيه جذوة الشباب الملتهبة في جوانحه . واقترب من العربة

وهو مسحورٌ بركة تلك الابتسامة ، وسحر تلك الضحكة ، وكهرابه
تلك العيون . فلما حاذها أرتج عليه وتلثم في بادئ الأمر وليكنه
تغلب على اضطرابه وخجله وقال :

... خدمة ياهانم ؟

فتكلمت الهانم قائلة :

- (اتفضل يا بيه . اتفضل)

فشعر سامي برجليه تصعدان سلم العربة ثم وجد نفسه داخلها
جالساً بجوار هذه السيدة ، يكاد يلاصقها لضيق المكان .

نشأ سامي في بيئة مصرية قديمة متحفظة لم يدخلها شيء من
العوائد الغربية وعاش بعيداً عن الاختلاط الجنسي ، اختلاط الرجل
بالمرأة فلم يجتمع بأحد من النساء إلا ما كانت تبنيه عوائد بيته الاجتماع
بهن ، أشخاص لم يجد بينهم بطبيعة الحال من حرّكت فيه شعور
الشباب ونبتت فيه عواطف الرجل نحو المرأة . لذلك عند ما وجد
نفسه لأول مرة في حياته بجانب امرأة خلابة الحاسن ، تلامس
يدها يده ، ويلاصق جسمها جسمه ، تغريه بحلو كلامها وجمال
ابتسامها ورنين ضحكها ، امتلكه شعور غريب مبهم كله أسرار
وأحلام ، شعور مصحوب بلذة حسية لم يشعر بها من قبل ، شعور

للشباب الكامنة ناره المتقدة تحت رماد الموائد والبيئة .

ثم سمعها تقول للسائق :

— على الجزيرة يا اسطى

وكانت هذه الجملة على بساطتها وقصرها حاوية لكل رغبات السيدة ومشتبهياتها فعرفها سامى دفعة واحدة وعرف معها انه سائر الى الطريق الذى سلكه قبله سائر الشباب — الشباب المطلع على ملذات الكون الخفية ، المحتسى من يد النساء خمرة الجريمة الاولى ، تلك الخمرة التى يغنى معها العنف والسذاجة ، رفيقا الطفل من مهده الى سن يقظته . فشمع سامى بوخزة الألم فى قلبه وعلت جبينه سحابات من الحزن ، ولكنها لم تدم طويلا .

ثم تمهد وهو فى الكهرباء وعاد الى مناجاة نفسه :

— ما أحلاها من مقابلة وما كان أحسنه من يوم . لقد كانت جميلة للغاية فى تلك الايام ولا أدري ما الذى غيرها أمام عيني الآن . انها هى بابتسامتها ورنين ضحكها ، بجديتها ونفمة صوتها . لم تتغير . قوامها وشكلها كما عهدتهما لأول مرة . ولكنى لم أصبح اليوم أسحر بابتسامتها أو أؤخذ بضحكتها أو التند

بجديتها أو أطرب بنفمة صورتها . أنا اليوم أقبض على يدها
وألمس جسمها الذي ما زال ناعماً بضاً فلا تتحرك مشاعري ،
وقد كانت الكهرباء تهمُّ جسدي إذا لمستُ جسمها . لقد كنتُ
أشبهها فيما مضى أمّا اليوم فانا أملكها . لقد ضقتُ ذرعاً بها .
ثم تركتُ الكهرباء وسار في أحد شوارع العاصمة وهو يقول :
— باقى على الميعاد نصف ساعة لاغير . لا أريد الذهاب في
الميعاد . فلأدعها اليوم تنتظر . أريد أن أخاو برهة فأعبد نفسي
لثثرة لسانها الذي لا يتعب ولا يمل من لفظ كلات الحب . أفها
من امرأة . لأدري كيف لا تخجل من نفسها عند ما تضمني الى
صدرها بوله واشتياق . ألا تدري أنها تباع عمر والدتي . يالمرحب
هذا الحب الذي لا ينتهى .

وسار الهوينى متاباً سيره وهو غارق في أحلامه ومناجاته فلم
يشعر إلا ويدٌ وضعت على كتفه وصوت يهال به قائلاً :

— أهلا سامى بك . أين أنت طول هذه المدة ؟

فالتفت فإذا به صديق بك أحد أقاربه . شاب يبلغ من العمر
الثالثة والعشرين غني يصرف دائماً عن بلخ وسعة . أنيق
الملبس جميل الهيئة . له شاربٌ صغير يرفع دائماً طرفيه بالجوزماتيك

على طريقة غليوم الثاني . ليس له صناعة غير الجلوس في القهاوى
وتمضية الليالى فى أماكن اللهو والطرب . لذلك تعاو بشمته صغيرة
الانهماك فى المذات واجهاد الجسم بمتعاب الليل . نحيف ، خفيف
الحركة ، رقيق الكلام ، حاضر النكته ، حلو الفكاهة .

فابتسم سامى له وردَّ التحية بأحسن منها . ثم دار بينهما
الحديث التالى الذى بدأه صدِّيق بك بقوله :

— لم أدرك منذ أمد بعيد . هل كنت مسافراً يا أخى ؟

— لم أكن مسافراً ولكن الصدف حمّلتنى عنك

— ألا تذهب الى القهوة يوم الخميس ؟

— كلا

— لماذا ؟

فصمت سامى برهة وجيزة لا يحير جواباً ثم ابتسم وقال :

— عندى شواغل

فأدرك صدِّيق ما يخفيه رفيقه فأدنى فمه من أذنه وقال هامساً :

— شواغل نسائية يا بطل ؟

— كلا

قال ذلك والابتسامة ذات المعانى الكثيرة لا تفارق فمه .

— (على مين يا بابا)

— ولكنى اقسم لك أننى غير مسرور .

— وهذا يهمنى للغاية .

— كيف كذلك ؟

— فلنكن صريحين . أروى لى قصتك فأروى لك قصتى

— أعندك شيء هام تريد أن تخبرنى به ؟

— كل الالهية

— اذاً تكلم

— قلتُ لك فلنكن صريحين . لقد علمتُ من تلميحاتك

السّاعة انّ عندك من الشواغل النسائية ما يمنك عن الاجتماع

برفاقك . وانك غير مسرور من هذه الشواغل . اذاً أفصح .

فتردّد سامى برهة وهو حائر لا يدري ما يفعل .

أيتكلم بأفصاح وحرية أو يراوغ ويخادع . ولكن صديق باغته

يقوله :

— اذا كنت غير مسرور من رفيقتك فأخبرنى لأعرفك

بأخرى . لى هدية أريد أن أقدمها لك عن طيب خاطر .

وتكأنّ صديق أصاب بكلمته هذه غاية القصد فانتبه سامى

وظهر على وجهه سرور لم يستطع اخفائه فأمسك بيده صديقه وشرح
 يروي له جميع ما وقع له مع رفيقته شارحاً له في النهاية ما يشعر
 الآن من السآمة والضجر وما يأمله من الانفصال عنها . فبادره
 رفيقه سائلاً إياه :

— وما يمنعك من هذا الانفصال اذا كانت رغبتك فيه ؟
 — أسباب كثيرة : أولاً أني لا أعرف امرأة غيرها وأخشى
 اذا أضعتها لا أستطيع معرفة سواها

قال ذلك وأطرق خجلاً من رفيقه الذي ابتسم بشهيم على ما
 قال . ولكنه أتم كلامه قائلاً :

— وثانياً أنها تحبني وتصدق علي الهدايا دائماً
 فتأطمه رفيقه قائلاً :

— أو باختصار أنها لا تكلفك شيئاً

— أجل . من أجل ذلك لا أرغب في تركها

— أنت شخص « ابن حلال » يا سامي ، رفيق المواطن

كأخيك (يعني نفسه) . ان ما ينجال قلبك الحنون ينجال قلبي
 الحنون أيضاً . وقصتك تشبه قصتي ولكن مع بعض حذف
 وإضافة وتقديم وتأخير .

فابتسم سامى وقال :

— اذاً تكلم وأخبرنى عن قصتك

— قصتي صغيرة للغاية . والمشكل الذى كنتُ لا أستطيع

حله قد حلته أنت من تلقاء نفسك .

— أنا ؟

— هو أنت يا عزيزى سامى بك . اسمع : لي خلية تبلغ من

العمر الخامسة والعشرين . مهما أطلت في مدح جمالها ومهما عددت

لك أوصافها أشعر بتقصير نحوها . متزوجة وشريفة في الظاهر

ولكنها (بنت كيب) في الخفاء ، تبحث عما تشتهي من الشبان

الملاح أمثالي وأمثالك ... فترسل في أثرهم الوسطاء (كام محمد

وام عثمان وام عبده) لآحرمننا الله من خدماتهن الجليلة ، فيحضر وهم

لها . وكان ما كان من تعقب أثرى ومن اصطيادي بواسطة « أم

عبده » . وصار لي الآن عدة أشهر وأنا معها أقابلها في الأسبوع

دفتين ، الاثنين والخميس ، في مكان منعزل في مصر الجديدة

سأخبرك به عن قريب . أنها تحبني . تحبني للغاية . وكنتُ أحبها

أحبها للغاية ولكن ...

ثم توقف عن الكلام وتنهَّد بابتسام وهو يحدق في وجه سامى

فسأله رفيقه قائلاً :

— ولكن ماذا ؟ أتم قولك

— أصبت بنفس الداء الذي أصابك

— الملل ؟

— هو بعينه . انه مرض قتال يا عزيزي أرجو لك شفاء منه كما

أرجو لنفسي هذا الشفاء

— وما يمنحك أنت — وحياتك كما تعرفها بين النساء دائماً —

من أن تترك رفيقتك

فتنه ثانياً صديق وهو يتسم لرفيقه ابتسامة خفيفة وقال :

— (صمبانه علي)

— أنت رقيق القلب جداً

— أما قلت لك

— ولكن ما شأنى أنا ؟

ففاجأ صديق رفيقه بقوله :

— ألك فى مبادلة ؟

— أى مبادلة تعني ؟

ك — مبادلة نسائية . أتنازل لك عن رفيقتي وتتنازل لي عن

المنزلة . بهذه الطريقة نشفي أنفسنا ولو الى حين من دائنا الذي

واضافته

فأطرق ساعى وهو يفكر ثم رفع رأسه مبتسما وقال :

— ولكن صفتى ستكون الراجعة بمكس صفتك

— قابل على أى حال . ان فى الجديد لذة

— ولكن ماهى الطريقة ؟

— ميهادي فى الخامسة والنصف . وميعادك ؟

— فى الخامسة والنصف

— اذا يسير كل منا فى طريق صاحبه . وعند المقابلة يدعى

كل منا أنه مرسل من قبل صديقه ليعتذر عن الحضور بسبب
المرض أو السفر أو خلاف ذلك . . . الاسباب كثيرة . . .

— ثم ؟

— ثم . . . ثم ... لا أدري . هلى كل منا أن يتبع ما يترامى

له . مقدمات عن الطقس مثلا . كلام بسيط لا يخاو من بعض

الانتقاد على الشخص الذي كانه بهذه المأمورية . ثم حديث عن

الحب بالتدرج . . . الى آخره

— فهمت . ولكن ألا تجدها جراءة ؟

— أبدأ

— ولكنك قلت لي منذ برهة أنها متزوجة

— أجل

— وهذا ما يخيفني

— يخيفك من أي شيء . سوف أعرفك بزوجها . وسوف
تمكث معه في « جروبي » . أتريد أن تراه الآن ؟
— أبداً

— سوف تشهر ياسامي بلدة غربية ممزوجة بشيء من الكبرياء
والفخر عند ما تلتقي بنظرك على زوجها . انه شعور جميل ورهيب
في آن واحد

ثم أخرج ساعته وقال :

— يجب أن نفترق ان الساعة ستة إلا ربع

— إذا أرجوك أن تكتب لي العنوان يا عزيزي

— وأنت ألا تتكرم بأن تخبرني عن عنوان صاحبك

يا عزيزي ؟

وفي وقت واحد أخرج كل من سامي وسديق ورقة وقلم

وجعل كل منهما يكتب العنوان لرفيقه . وعند ما انتهيا أعطى كل

منهما ورقته للآخر ثم مدا يديهما وسلموا وهما يبتسمان ابتسامات

خفية . وقبل أن يفترقا تكلم سديق بماجن رفيقه بقوله :

— أوصيك خيراً يا عزيزي..... و Bon appetit

أبو بكر

أبو درش

عثمان بك زاهد رجل غني من طبقة الارستقراطية المصرية
يسكن مع عائلته في ضاحية الزيتون . يناهز اليوم السابعة والسبعين
عني الظهر ، أشيب الشعر ، ضعيف السمع ، مرتعش اليدين ، رأسه
دائماً في اهتزاز . يلبس النظارات الذهبية دائماً ولكنه لا يرى بها
أكثر من رؤيته بعينه المجردتين لأنه أصبح الآن أقرب
الى العمى منه الى البصر . له دور وحوانيت عديدة في العاصمة
تدبر عليه سنويا ربما جسما هو دخله الذي يعيش منه . ترك
رقابة المنزل وإدارة العمارات لابنه الوحيد عبد الفنى بك
زاهد الذي يبلغ من العمر اليوم الخامسة والاربعين . اعتزل
الآن الحياة خارج منزله بل خارج حيزته الخصوصية وتخلي
مرغماً عن زيارة الاصحاب والجلوس على القهوة والسهر في
البيرات ، وأقنع نفسه مضطراً بعيشة هادئة لا حركة فيها ولا
مجون ، وكان قبلاً رجل الحركة والنشاط والمجون ، رجل
الصخب والشدة والطغيان . يأتي له كل يوم شيخ معمم يبلغ من
العمر الثامنة والاربعين ، بدين الجسم ، قصير القامة ، أحمر الوجه
لادمانه شرب الخمر ، منتفخ العينين ، كبير الانف ، يلبس الملابس

الرثة القذرة - ليقرأ له الجرائد والروايات القصصية وينقل له ما يسمعه من الافواه من أحاديث خلقة في السياسة وكلام مزرع عن الناس . يُدعى هذا الرجل بالشيخ نجم الدين . جاء من بلاد الريف والتحق بالازهر ولكنه فشل في دراسته لسوء أخلاقه وشراسته مع أساتذته ورفاقه ، ولأقباله على السهر والسكر والعربدة وعدم مواظبته على تلقي العلوم . والتحق بعد رفته من الازهر بمكتب محام شرعي لم يشتغل فيه الا بضعة أشهر طرد في نهايتها أشنع طرد. ثم جاء به أحد مستخدمي المنزل ليكون جليساً لعثمان بك زاهد ومقرئاً له . وكان الرجل على جانب عظيم من المكر السيء وله أسلوب جميل في الكلام يستطيع به التأثير بكل سهولة على قلب رجل شيخ كعثمان بك فأحبه الأخير ووثق به وأغدى عليه الهبات .

كان لعثمان بك زاهد فيما مضى غرام كبير بتربية الطيور فكانت له « غيَّة من الحمام » كان يتعهد بها بنفسه بالطعام والشراب والنظافة بمساعدة خادمه خليل الذي أصبح الآن يدعى « عم خليل البواب » . في تلك الايام ، أيام كان زاهد بك يجري في عروقه دم الرجولة والقوة كانت المضاربة بالديوك والخراف من العادات

الشائعة بين فئة كبيرة من فئات الارستقراطية كما نشاهد اليوم شيوع عادة حرب الثيران في اسبانيا . وكان قد اشتهر اسم زاهد بك على سواه مقروناً باسم ديوكه المنتصرة فنال بذلك شرفاً عظيماً ودونه كل شرف . وتباهى بجنوده الديوكه على رفاقه تباهى القائد المنتصر بجنوده على أعدائه . ونال عم خليل البواب كسيدة اسماً عظيماً كبيراً في ميدان عمله واشتهر بهلو كعبه في تدريب الديوك تدريباً خاصاً واطعامهم طعاماً خاصاً ودهنهم بالزيوت التي لم يكن غيره يعرف تركيبها وخواصها . وتسابق هواة المضاربة يريد كل واحد منهم لنفسه ليستفيد من مواهبه . واسكن عم خليل كان أميناً لسيده فلم يترك خدمته . وعرف سيده منه ذلك الاخلاص فأحسن اليه وأعلى مرتبه .

كان عثمان بك زاهد لا آخر وقت من أوقات صحته ونشاطه محتفظاً بحمامه وديوكه ، يطير الاولى كل يوم من سطح منزله مراقباً اياها في غدوها ورواحها ، وينظم حفلات المضاربة للثانية في حديقته حيث أعد لها مكاناً لاثقالاً للقتال والفرجة . في ذلك المكان كان يجتمع هواة المضاربة يشاهدون قتال الديوك بقلوب خافقة وعيون شرهة كما يجتمع اليوم هواة الرياضة في المكان الخاص بالالعاب يحضرون

حفلات البوكس والمصارعة . ولما بدأ المرض يتغلغل في جسم زاهد بك وأخذ يشل حركته رويداً ويهزل الشيخوخة التي كان يقاومها ويجاهد مستقبلاً في سبيل منها ، لم يجد في النهاية مفراً من الرضوخ لتقدير قودع أيامه الماضية بحسرة ويأس وأخذ يعد أيامه المقبلة يوماً يوماً منتظراً يوم حشة ورعب ذلك اليوم الرهيب الذي سيزوره فيه الموت ، مترجماً على سعادته الغابرة ، تلك السعادة التي كانت مقرونة باللهو والمسرة ، متوجة دائماً بالقوة والصحة ، والتي أصبحت الآن تتضاءل أمام هينيه ، يخبو نورها البراق رويداً كما يخبو نور هينيه يوماً بعد يوم .

اعتزل اليوم زاهد بك حياة الديكة والحمام واقتنع من دنياه بركن صغير في ذلك المنزل الكبير يجلس فيه متربهاً على مقعد كبير مريح لا بسا جلبابه الواسع وطاقيته البيضاء ذات الاطار العالي وعلى عينيه نظارته الذهبية المعتادة وبين أصابعه (فمُّ الكهرمان) ومسبخته العود ذات الرائحة العطرية . فان كان الوقت شتاء فشاله السميك لا يفارق ظهره وبطانيته الصوف الكثة الوبر لا تنزل من على ركبتيه تخفي تحتها قدميه الضعيفتين الباردتين ، وبجواره الشيخ نجم الدين بوجهه المنتفخ الأحمر وجبته القدرة جالساً يطالع

له الجرائد ويفسر له بين فترة وأخرى ما غمض عليه من الأخبار الخارجية والداخلية .

خشي زاهد بك أن ينال حمامه وديوكه الأهمال ويلاستها الأذى والذل وهي بعيدة عن رقابته فوزع الأصناف الجيدة منها على رفاقه المواة ومنح الباقي لابنه عبد الغنى بك هبة يتصرف فيها كما يشاء ، فأتى عليها الابن ذبحاً في بحر اسبوعين . وباختفاء هذه الطيور المحبوبة من المنزل اسدل الستار على حياة زاهد بك الأولى التي قامت الديكة بتمثيل دور هام فيها . ولكن زاهد بك الذي قسّم طيوره بين رفاقه يتهمدونها بالناية والرعاية وبين ابنه يقيم على هذا بحبها ولائم له ولافراد منزله تحفظ لنفسه منها طيراً واحداً كان ممتازاً به ، فخوراً بانتصاراته ، فحزن به حتى هلى أوفى أوفياءه . هذا الطائر ديكٌ هرم قليل الريش يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً ويسمى « أبودرش » . كان فيما مضى ديكاً فتياً حاد المنقار ، قوى الخلب ، صلب الجناحين له عرف قانى يتوج رأسه الفخور الدائم الصياح . ماضيه صفحة مجيدة مكتوبة فيها بمداد الدم وقائع حروبه التي خاضها مستتبلاً ، منتصراً ، شامخاً بعرفه كبرياء وزهواً . هو الذي منح سيده شارات النصر المتوالية في ميدان المضاربة وخلد اسمه

منقوشاً في تاريخ هواة الطيور لا يدانيه اسم غيره . لذلك اعتن
به زاهد بك اعتزازاً كبيراً وأبقاه مكرماً مهيباً ، وفاء للعمل الكبير
الذي أدّاه له . وأمر أن يقيم تكا هو في محله الواسع الكبير الذي
كان يشاركه فيه رفاقه الشبان والكهول ، من كان المكان عامراً بهم
وبأصواتهم العالية الرنانة ، فأصبح الآن خاوياً لا يضم الا ذلك
« الهيكل المظلي المكسو بالريش » وارث العروش الهاوية والحكام
المطابق في مملكة اقفرت من سكانها

وكان عم خليل - قبل أن يغدو حارساً المنزل و يُمنح لقب
بواب - رئيس الخدم المكلفين بالعناية بأمر الطيور . كان بارعا في
هذه الصناعة براعة لم يسبقه فيها أحد ، مدفوعاً في عمله بميل ثابت في
قلبه يكاد يكون غريزياً . لذلك اشتهر اسمه سريعا في مملكة هواة
الطيور وعرفه القريب والبعيد فصار عالماً من أعلام ذلك الميدان
وحجة يرجع اليه كل من أعتته الحيل أو خانته الحظ في حلبة المضاربة .
عاش عم خليل أيامه السالفة وهو زعيم جليل يُخشى بأسه ، يقوم
بخدمة مولاه على أتم اخلاص ونشاط ، مقتبلاً بحياته فخوراً بعمله
وعلمه . ومضت السنون سراعاً والرجل جاد في عمله لا يعير العالم

التفاتاً ، ولكن العالم كان يتحول رويداً ، يسير الى الأمام سيره
المعهود يحطم هياكل الماضي ويشيد قصور المستقبل . كل شيء كان
يتغير ويتبدل ، الجديد يتبوأ عرش القديم والناشيء يحتل مكان
الشيخ . كل شيء كان يتغير حتى مولاه - الذي ناصب المرضى
والشيخوخة العدا ، وظن الناس أنه سيفوز بحياة لا وهن ولا
اختلال فيها - قد خسر الموقعة وارتد عاجزاً الى الوراء ، حتى
المضاربة بالتطور وجدها توسع المكان لسواها من الألعاب فحلت
الخيول في ميدان السباق محل الديكة في حلبة القتال ، حتى شخصه
القوى الجريء الذي كان يتحول بسرعة مخيفة الى شخص واهن
القوى ، ضعيف القلب ، مسكر الذهن ، ضيق الخلق . وعلم أن
الشيخوخة بدأت تسرى في جسمه سريان السم في الجسد . وجدها
تهاجمه بعناد وهي فائزة منتصرة بينما أخذ هو يتقهقر بخملى سريعة
الى ملجأه الأخير محطاً سيفه مستسلماً لرحمة عدوه . تنبه الرجل
من غفلاته وجعل يغالب حقيقة اليقظة بأحلام الماضي ولكن عبثاً
ما فعل . رأى سيده ومولاه ينزل من علياء عرشه وينزوى في
حجرة واحدة يقضى فيها ما بقي من أيامه ، ورأى طيوره المحبوبة
من ديكه وحمام توزع بسخاء كبير على الأصدقاء أو تسلم للطاغي

السِّفَّاح يعمل فيها بسكاكينه الحادة كما يعمل الجلاد بسيفه وبلطته في رقاب الجناة . لقد امتنع عم خليل عن أكل اللحوم وقت ان كانت مذبحه الطيور قائمة في فناء المطبخ وحبس نفسه في حجراته لا يتناول فيها الا الجبن والزيت ليحجب عن عينيه رؤيا يقشعر منها بدنه ويدهى لها فؤاده ، ولينع عن اذنيه صوت أحبائه بل وفلذات كبده وهم يصيحون صياح الاستغاثة تحت يد الجلاد .

لقد تفرق الخدم الذين كانوا تحت امرته كما تفرقت افراد الطيور من قبل . لم يبق من تلك العصابة الكبيرة العدد الا ثلاثة : السيد في قصره ، وعم خليل في حجراته ، والفرخ الهرم في وكره . وكاد السيد ينسى كل شيء يحيط به في منزله الا عم خليل و«أبا درش» فأوصى الأول على الثاني وصية يرعاها في حياته وبعد مماته . ووجد عبد الغنى بك زاهد - المتصرف الآن في قصر أبيه - ان مرتب عم خليل كبير على وظيفته التي أصبحت في حكم الملقاة فمنحه لقب بَوَّاب ، وأمره أن لا يفارق الباب ، يراقب الداخل والخارج وينتبه لخصور الزوار . فصعد عم خليل للزمر واحتل كشك الباب طول يومه لا يفارقه الا لتأدية فرض الصلاة وتناول الطعام . واضطر أن يفارق قفص ديكه فلم يزره الا صباحاً ومساءً ليطعمه ويسقيه ويعتني بأمره .

ومضت عدة شهور وعم خليل قائم بحراسة الباب والاعتناء
بالديك الهرم «أبي درش». وكان في هذا الوقت قد بلغ الخامسة
والسبعين فشعر بوهن قوته وخمود شملة الرجولة التي كانت قديماً
متقدمة في قلبه. وبدأ يسأم ذلك العمل الملل - حراسة الباب -
معتبراً إياه عملاً شاقاً متعباً يكلفه تضحية نفسه وصحته لأنه كان
يصبو في طوره هذا إلى حياة الكسل والخمول، يمضي الوقت في
حجرته يأكل وقت الأكل ويصلي وقت الصلاة ويزور ديكه في
المسجد المقرر له ثم ينام بقية اليوم وكل الليل في هدوء وطمأنينة
لا يزعمجه زائر ولا يسأله سيد ولا يشغل عليه خادم بكلام لا يريد
أن يسمعه.

ولاحظ عليه الخدم أن أخلاقه تسوء يوماً بعد يوم. وأنه بدأت
تظهر على محياه بعض سيماء البلاءة. فأخذوا يشاكونه مشاكسة
خفيفة. وبدأ هو يظهر الغضب والحماقة حتى من الكلام النافه
والاعمال الاعتيادية. فجراً ذلك الخدم على الاكثار من مشاكسته
والسيخريّة منه استفزازاً لحماقته وغضبه حيث كانوا يجدون فيهما
ما يضحكهم ويسامهم. وأعلموا الشيخ نجم الدين بالامر - وهو الشيخ
الماكر الخبيث - فوجد لها فرصة سانحة تنيله ما يبتغيه من شر فيطلق

لسانه الثائر في حلقه ويحمل به على ذلك الحرم المسكين ينفث عليه
حقده وأذاه . وكان الخدم يخافون الشيخ نجم الدين لقمته وخبثه
وسوء نياته وقدرته الفائقة على التنكيل بخصومه تهكماً وسخرية ،
فرغبة منهم في اجتناب شره عرضوه على عم خليل البواب ليتفكروا
باستشارة حماقته وغضبه .

وازداد على توالي الايام خول عم خليل ونكاسه وإهماله أمر
نفسه فجعل يمضي أغلب الوقت في كشكه نائماً . وبدأ ينسى أو يتناسى
فروضه الدينية ، يتغاضى عن تأديتها في كثير من الاحيان ، مفضلاً
الركون الى الدفء والراحة على الاتهامك في الوضوء والقيام بفرض
الصلاة . وكيف يترك عم خليل كشكه الدافئ والوقت الآن
شتاء ، لبرده القارص لدغ كاندغ الحشرات ، وينذهب الى الصنبور
(الحنفية) فيخرج له من تحت شاله السميكة رأسه ويديه ويتدبم
له من « بلغته » الساخنة قدميه الماريتين ، ليصب عليهما ماء قد
برّده جو الشتاء . لقد أخذ يتغاضى عم خليل عن فروض دينه
كسلاً وخملاً ، كما بدأ يتغاضى عن العناية بأمر ديكه ضحراً
وإهمالاً .

كانت حياة عم خليل قد تغيرت تغيراً تاماً وأثر هذا التغيير

على نفسه فأهمل في بادئ الأمر كل شيء إلا فرضه لربه وواجبه فهو
ديكه . ولكن توالى الأيام جعلت هذا الإهمال يتطرق الى هذين
الفرضين العزيزين فبدأ يهمل واجبه عند ربه ويتقاضى عن الصلابة
بأمر صديقه أبي درش منتحلاً لنفسه أعذاراً مقبولة لديه .

وبدأ الشيخ نجم الدين مشاكسته فكان يوقظه دائماً من نومه
وينهره بلفظة وتكبر منها إياه لواجبه ومتوعداً إياه بشكايته لصاحب
الامر في المنزل . فكان عم خليل يقابل تلك المشاكسة في بدايتها
باللين واللفظ معتدراً مرة ومستعظفاً أخرى ، شاكياً له ضعفه
وشيوخه والبرد القارس الذي يضطره بالرغم منه لالتزام كشكه .
ولكن عبثاً ما قدمه عم خليل من الأعذار وعبثاً ما طلبه من الرحمة
والعطف . وكأن ذلك الرضوخ المزري قد شجع الشيخ نجم الدين
في قبحته وجوره التهمكي فازداد عتواً وعسفاً . ونحول عم خليل من
الاستسلام الى العناد . فاطلق الشنان لحماقته وبلهه اللذين حبسهما بالرغم
منه تجنباً لشر الشيخ نجم الدين وخبثه . وبدأ الشجار كل يوم بين
الاثنتين ، كما بدأ الضحك يتمالى من جانب الخدم فيزيد عم خليل
نكايته وغيظاً .

وتخطى يوما الشيخ نجم الدين عتبة الباب الخارجي داخلا
 حديقة المنزل . والتفت الى كشك البواب فوجده خاليا فعجب
 لتغيبه وذهب يبحث عنه في الحديقة فوجده في وكر الديوك يطعم
 ديكه اهرم أبا درش ، فصرخ به صرخة أربعته قائلا :
 — انت بتعمل إيه يا بأف

فالتفت عم خليل الى محدثه مقتطبا جبينه ولم يجيب .
 فصرخ فيه الشيخ نجم الدين صرخة أشد من الصرخة الاولى
 ودخل الوكر رافعا عصاته في وجهه وهو يقول بفاظة واستبداد :
 — انت ما بتدرّش عليّ يا راجل . طيب أنا حمتلي يومك
 النهار ده اسود زي وشك

فأسرع عم خليل وقال بملهثم :
 — بَوَكَل ... أبو... درش.. يا استاذ..
 — أبوه امال اتعدل كده . جك عني في عينك
 وبعد أن قام الشيخ نجم الدين بواجب الشتيمة والسخرية نحو
 الرجل الكهل واستثار عليه ضحك الخدم جميعهم ، كباراً وصغاراً ،
 تركه يكاد يبكي من شدة الالم والفيظ ، قاصداً حجرة زاهد بك
 ليقرأ له الجرائد والروايات .

وفي اليوم التالي دخل الشيخ نجم الدين المدينة وأتجه نحو
كشك عم خليل فوجده نائماً فيه فأيقظه بمصاته كما يوقظ السيد كلبه .
ثم انهره بغضب وقال له :

— يعني شايفك نايم ؟

فأجاب عم خليل بحماسة وهو يدهك عينيه :

— نايم نايم . وانت مالك ؟

— انت بتكلم مين يا ابن الكلب

فأمسك عم خليل عن الكلام وهو يتشاءب وأنجم نجم الدين
كلامه فقال :

— مرة ثانية ترد عليّ وأنا بكلمك حتلاقي الاقلام نزات علي

اصداغك خلطت لك وشاك . انت فاهم ؟

فأجاب عم خليل بغيظة :

— لأ مش فاهم

ولكن لم يتم كلمته الاخيرة حتى رنّت في أذنه صرخة

أصمته ، كانت صرخة الشيخ نجم الدين وهو رافع يده موهماً اياه
بأنه علي وشاك أن يصفحه ، قائلاً :

— اخرس .. يا ديّوز . يا دقن تعيتم

ثم صمت فترة وجيزة . وسأله مغيراً لهجته قليلاً :

— ماو كاتش سيدك ليه النهار ده ؟

— سيدى مين ؟

— سيدك مين !! يا مانتش عارف مين سيدك وتاج راسك

الى بتخدمه كل يوم وبتاخده ماهيتك علشانه ؟

— لا . مانيش عارفه .

— مانتش عارف ياراجل سيدك « أبو درش » ؟!

— أبو درش سيدى ؟ !

— مش حاجبات يبقى سيدك . طيب بلاش . ابنك أمال .

ايه رأيك .

وكان قد اجتمع حولهما في هذا الوقت البستاني ومساعداه

والطاهى وصبيه والفراش وعدة أفراد اخرى من الخدم وبدأوا

بضحكون . وقال الشيخ نجم وهو يوجه كلامه للجميع :

يا جماعة عم خليل ولد وآد . مش تباركو له

فتقدم الجميع ضاحكين هازين الى عم خليل وأخذوا يباركون

له بهزه وسخرية . وتكلم الشيخ نجم الدين فقال :

— والولد دا ، أهو ، فى تقفيسة الفراخ هناك ... شايفينه ...

حكمتك شريفة يارب . انت كنت إتوحت على ايه لما ولدت أبو

درش ده ياعم خليل ! ؟

فقهه الجميع . وصرخ عم خليل بحماقة وهو يفسدهم من حوله .
ولكن الشيخ نجم الدين نظر اليه نظرة قاسية وقال له بالهجة السيد
المطاع :

- اخرص ياراجل . احترم أسيادك الى قدامك دول .
ثم وجه خطابه لجماعة الخدم المحيطة بهما قائلاً :
- الغرابة يا جماعة ما صا دفينيش في عجري أبداً أشوف اثنين
يشابههم لبعض ، يعني الخلاق الناطق واحد ، أدهم خليل وأبو
درش ... مش كده والا ايه ؟

فصاح الجميع وهم يضحكون ويضجون موافقين على كلامه .
وأتم الشيخ نجم الدين قوله ملتفتاً الى عم خليل الذي كان يرتجف
غيظاً وحنقاً فقال :

- تعرف ياو خليل منقارك ايلدَل ده ، تمام منقار أبو درش .
وعينيك دول الى قد الترتره ، تمام عينين أبو درش . ودقنك أم
شعر منتوف دي ، تمام دقن أبو درش ...

فقال أحد المجتمةين هازناً :

- طيب مانسميه أمال أبو درش ؟

obeykandi.com

obeykandi.com

obeykandi.com

obeykandi.com

له زهرات ذليلة محزنة .

جنى عم خليل على هذا الطير المسكين جنابة لا تغتفر . لقد كان بالأمس ملك الديكة وقاهرها ، شباب غضى وعود صلب وشهامة وانفة ، مدلل الجانب يُطعم أفر الاطعمة وينام فى أنظف الاوتار وأحسنها ، فأصبح اليوم جئانا من المظالم التى يكسوها جلد مجعد منشور عليه بقايا الريش ، مهان فى كرامته وشممه ، مهمل فى عيشه ، يُطعم أسوأ الاطعمة وأقلها ، وينام فى وكر لم يبق فيه شيء من آثار النعمة الا جدائل من الجريد المتداعى القوائم تكاد تهوى عليه فتخمد أنفاسه فى لحظة .

وجاء عم خليل مهرولا نحو القفص يتنفس بجهد وتقذح عيناه نارا مستعرة من الفيظ وذلك على أثر مجادلة حادة بينه وبين الشيخ نجم الدين ورفاقه ناله منهم أقسى أنواع السخرية وآلمها على النفس . واقترب من الوكر وسحب عصي من عصي القفص وجعل يكر بها جئان الطير المرم بألم وشدة وهو يكيل له الشتائم كيلا جزافا والطير يصرخ مرة بصوت ضعيف ويجاهد أخرى فى دفع المصا عن نفسه . ولكن قواه خذلته فاستسلم لوكر المصا المؤلمة وأصابه دوار شديد يشبه الغيبوبة . فتركه عم خليل وشأنه شاعرا براحة نفسه بعد هذا

التعذيب ، مقسمًا أمام الديك بأغظ الأقسام أنه سيحرره من الطعام يوما بأكله .

ذهب بعد ذلك الى كشكه قرير العين وأخرج الحصير المعد للصلاة وفرشه بجواره وأخذ يصلي صلاة العصر بحرارة وانفعال . وفي الصباح ذهب الى مكان « أبي درش » وهو يحمل في يده طعامه الضئيل المكون من بضع فئات من الخبز مخلوطة بسجين الردة فوجد الطائر في قفصه يرتش من شدة البرد ويهتز جثثه هزات قوية على أثر تنفسه . فلما رأى عم خليل قادمة أصابه رعب مصحوب باستسلام فلم يستطع أن يحرك ساكنا اللهم الا رأسه الذي كان يديره بوهن شديد يريد هبثا أن يخفيه . ولما تبين صحن الطعام في يد الرجل تَجَرَّأ على النظر اليه بعينين ذابلتين فيهما طابع الخوف والجوع كأنه يطلب منه برحة أن يمنحه طعامه الضئيل . ولكن قلب عم خليل كان قد تحول الى قلب صخري تجرد من أية رحمة أو شفقة فأقفل بشدة باب القنص الذي فيه الديك ووضع الصحن قريبا منه بحيث يراه ولا يستطيع أن يأخذ منه شيئا . ثم خاطبه قائلا :

— أهو الأكل قدَّام عينيك وليكن ما انتش واكل منه حاجة .

ثم خرج من القفص وجلس في مكان قريب يستطيع منه أن يراقب الطير فوجدته يمد رأسه من بين عيدان القفص فهو مسحن الطعام وهو يجاهد عبثاً جهاد المستعيتب لينال شيئاً مما فيه . كان عم خليل ينظر الى الطير الهزيل الجائع نظرة التثقي والسرور وهو يتسم ابتسامة الظافر . ثم ترك المكان بعد أن شاهد الطير يضع رأسه على عود أفقي من عيدان الوكر تعباً وبأساً وأخذ ينظر الى طعامه بشهوه وضغف .

وفي صباح اليوم التالي ذهب عم خليل الى الوكر وقد خدعت جندوة الانتقام في قلبه وعزم أن يقدم للطير طعامه لياً كله . واقترب من القفص الداخلي وفتح بابه فلم يتحرك الطير ، لاخوفاً منه ولا رغبة في طعامه . فخرّكه عم خليل بعود من عيدان القفص فظل على حاله ساكناً كأنه كومة من العظام ملقاة فوق القش فعجب عم خليل وناجى نفسه قائلاً :

.. ياترى مايكوانشى جرى له حاجة .. دا بقاله يومين ما كلشى .
ثم دنا منه وحمله في يده فألفاه جثة باردة مفككة الأوصال .
فنظر اليه ملياً وهو مأخوذ متحير لانه لم يكن يخطر في ذهنه أن يموت الديك هذه الميته من يده . وناله في أول الأمر بعض الحزن

والأسف وتوبيخ الضمير ، ثم أخذت تزايد رويدا كما نظر الى
 فريسته في يده ، منذ كرا الماضى برخائه وطمأنينته والحاضر بتعبه
 وهوله . وشعر بالدموع تتكاثف في عينيه ثم تنحدر على خديه .
 فأخذ يبكي ويهول وضم ذلك الجنان المفن الى صدره فسمع طقطقة
 عظامه تتكسر من أثر ضمته فرمى به سريعا الى الارض وخرج
 هاربا مرغوبا من تلك الجيفة التي سمع عظامها تتكلم بالشكاية منه .
 وقابله عدد كبير من الخدم جاءوا على أثر صياحه وعويله وسألوه
 ما انظر فصاح بهم وهو يبكي ويهول كالأطفال قائلا :
 - أبو درش مات يا جماعة ... أبو درش مات ... وأنا الى
 قتلاته بايدي ... ؟

ملاحظة : كتبت هذه الاقصوصة متأثرا ببعض التأثير من قطعة
 للكاتب الفرنسي المعروف «جى دوموبسان» . وللحقيقة لزم التنويه .

(المؤلف)



صلاتی
تلاپیدنا و موظفنا

صديق يقي

تلميذاً وموظفاً

١٢ يناير سنة ١٩٢٥

بمدينة لندن

عزيزي فؤاد

لا أريد أن أبدأ خطابي بسلامي وتحياتي فأنت أعلم بمودتي
واخلاصي . وإنما أريد وأنت اليوم بعيد عن جو مصر أن اكتب
شيئاً عما أراه وأشعر به لنشاركني شعوري وأنت في غربتك كما
كنت تشاركني إياه حينما كنت بيننا . أجد أيها الصديق لذة زائدة
حينما أجلس امام مكتبي وأمسك القلم وأخط لك ما استجمعت في
رأسي من أفكار ومشاهد أعلم انك في شوق لسماعها . ذلك لاني
أتصور نفسي في ذلك الوقت بجوارك أحدثك حديث قلبي . وما
أشهى وقت قضيته أحدنا وتسمعي وتحدثني وأسمعك .

لقد كتبت لك أيها الصديق اني انتظمت في سلك الموظفين
منذ أيام . وقد كنت أود ان أفيض عليك بشعوري الخاص عن
هذه المملكة وما حوته من رؤوس وأذنان . وأصف لك مناخها
ولون سماءها وطبيعة أرضها ولكن الوقت القصير الذي أمضيته الآن

في تلك المملكة أو بالأحرى في ذلك المكان لم ينبغي إلا صورة
ضئيلة من ذلك العالم العظيم . لذلك سأقصر حديثي على شخص من
أصدقائي الذين امتلأت رؤوسهم بأجرة ذلك المكان وتشربوا
نفوسهم بجو تلك البيئة . فهو ربيب الوظيفة دخل في كنفها منذ خمسة
عشر عاماً . هذا الصديق الذي أحدثك عنه يدعى عبد الفنى ، أعرفه
منذ كان تلميذاً في المدرسة الابتدائية . كان في السنة الرابعة بينما
كنت في الثانية . والآن وقد ضمنا مكان واحد للمرة الثانية
أريد أن أحدثك عنه أولاً تليماً ثم موظفاً لأنى وجدت « نفس »
صديقي التلميذ لم تتغير في الجوهر عن « نفس » صديقي الموظف وإن
كانت قد اتخذت لها اليوم شكلاً جديداً يناسب البيئة التى
يعيش فيها .

كان عبد الفنى في فرقة لاعبي الكرة لمدرستنا وكان مشهوراً
ومعروفاً عند الجميع بشجاعته ومهارته في اللعب . ولم أكن في ذلك
الحين أعرفه معرفة الصديق بل معرفة سطحية لم يكن يعرفها أية
أهمية . لأنه كان يعتبرنا في نظره أطفالاً صغار العقول والأجسام ،
إذ كان في السنة الرابعة ونحن في الثانية وكان من فرقة لاعبي
الكرة التى تدافع عن مجد المدرسة وفخرها في حيازة الكأس الفضي .

حقاً يافؤاد لقد كنا نعتقد أنفسنا ونحن في هذا السن أطفالاً .
لا ننظر الى هؤلاء الأبطال الا نظرة الاجلال والاحترام ممزوجة
بمحبة داخلية لهم . وطالما سمعنا عنهم روايات لذيذة كنا نتناقلها
ونتحدث بها كأنها روايات أبطال القصص القديمة . لذلك كنتُ
احترم عبد الفنى بالرغم من عدم اهتمامه لى وكنت أضمر له محبة
داخلية لم أكن اظهرها له الا في ملعب الكرة حينما تلاعب فرقة
مدرستنا فرقة مدرسة أخرى ، فأعترف له ومن معه تشجيعاً لهم
واستحساناً للعبهم .

ما أشهى ذلك الوقت الذي كنتُ أصرفه في ملعب الكرة
عصر يوم الخميس مع جماعة من أصدقائي الأطفال . كنا ننتظر يوم
الخميس بفارغ صبر فاذا ما تركنا المدرسة ظهراً وتوجهنا لمنازلنا
شعرنا كأن حملاً ثقيلاً قد خف من على عاتقنا فنتناول طعام الغداء
بسرعة غير مباليين بحركة الهضم ثم نخرج ميممين الملعب لنشاهد
فرقة مدرستنا تلعب مع الفرقة الأخرى . أمام باب الملعب المقفل كنا
ننتظر ونحن نقفز مرحاً ونضحك طرباً . كنا نشرب الغازوزة الحمراء
ونشترى الفول السوداني واللبن ونتقاذف بقشر البرتقال
واليوسف اقندى . واذا رأينا ضابط المدرسة اهتزت قلوبنا فرحاً

ناسين شدته وخطارسته ونجمل ندور حوله باسمى الوجوه مهلاين
وهو يتلقى ابتساماتنا بوجه هادىء غير مقطب تلوخ عليه بعض
امارات الجزل . وكثيراً ما كان يجادتنا بحادثة الصديق للصديق
فيسقط من بيننا حجاب الكلفة الموقوتة . كنا نحب ضابطنا في
ذلك اليوم فقط . وبقدر ما كنا نحبه عصر الخيس كنا نكرهه
صباح يوم السبت وهو واقف في فناء المدرسة يصرخ بصوته الخشن
قاصداً على ورقة العقاب يقيد فيها اسم من تأخر أو اسم من وجد
حذاءه غير نظيف .

وعند ما يقترب الضابط من باب ملعب الكرة يهرع أحد
الفراشين ويفتحه له فيدخل متناقل المشية تملوه الهيبة والوقار .
وعند ما يبحن الميعاد - ميعاد فتح الباب - يجتمع التلاميذ وهم
يصرخون ويهتفون ، شاتين مهددين الفراش الحارس . وعند
ما يفتح الباب يتدفق ذلك الجيش الصغير داخل الملعب فيحيط
كل تلميذ فرقة بصوت حاد رفيع حماسي . في ذلك الوقت الهائل
كنا نأمرع الى مكان موافق وأقبض بيدي الصغيرة على حبل
باب مدافماً عن محلي من يريدون اغتصابه . واذا ما ظهر في
فناء الملعب جماعة اللاعبين ويسوى التصفيق الشديد لهم يبدأ

قلبي يدق دقاته السريعة ، دقات الخوف والرغبة - الخوف من
فشل فرقتنا والرغبة في انتصارها . وحينها يبدأ القلب كنتُ أسمع
بين فترة وأخرى صوت أحد أصدقائي يصبح قائلاً :

— الله يا عبد الغنى

فأنظر الى عبد الغنى فأراه مشعر اليدين ، محتقن الوجه ، يغلي
دمه كما يغلي ماء المرجل فاشعر بسرور عظيم ويقرب أُملي في الانتصار .
ثم تحتبس بخته الانفاس وتتمدد الأعناق وتضطرب القلوب اذ يهجم
الفريق الآخر على فريق مدرستنا واذا بصديقي يصرخ صرخته
المعروفة قائلاً بصوت حماسي رفيع :

— الله يا عبد الغنى

فاذا بعبد الغنى قد امتلاك زمام الكرة وقذف بها بعيداً عن
الرمي فيدوى المكان بالتصفيق والهلثاف . وأصوب نظمري الى
عبد الغنى فأراه كأنما عظم جسمه وتطاوات قامته وعلمته هيبته جليلة
وأخذ يخطر بأعجاب وزهو ولسان حاله يقول « يحق لكم يا بني
مدرستي أن تفخروا بي فانا حاميك ورمز آمالكم » .

في ذلك المكان أيها الصديق حيث تختنق فيه النفوس
وتندوب فيه القلوب وتدمى فيه الأيدي وتبجح فيه الأصوات

وتمتليء منه العيون غباراً والرأس دواراً كنتُ أشعر بالسعادة التي
ليست بعدها سعادة . وحينما أعود من الملعب منهوك القوى مصدع
الرأس قدر الشيايب مظهر الوجه تقابلني جدتي ببعض الأمتصاص
وهي تنظر الى هيئتي الرثة ثم تأخذني من يدي وتبدأ تنزع ملابسني
وتغسل رأسي ويدي وقدمي بينما لسانى الثرثار لا يهدأ لحظة
وأويا لها كل صغيرة وكبيرة شاهدتها في الملعب . ولم كنتُ أطلب
لها في وصف عبد الغنى وشجاعته ومهارته .

وفي المساء بعد أن أتناول طعام العشاء كنتُ أجلس بجوار
تلك الجلدة الملوثة على وسادة واسعة وأنا أتناول من يدها ما تعطيه
لى من ألفا كبة الفريدة . تلك جلسة لا أنساها يا فؤاد مدى العمر .
جلسة كلها أحلام وآمال . كانت أشباح اللاعبين وبينهم عبد الغنى
تمر برأسي مزدهجة فالتذ بصورها ثم اسلم نفسي للسرى فتطبق
عيناي وتثقل رأسي وأتدد بجوار جدتي متوسداً قدميها وملتحفاً
عباءتها السوداء الواسعة .

لم يكن عبد الغنى من الطلبة الأذكياء العاملين أو المجتهدين في
الدرس والمذاكرة بل كان كسولاً مشهوراً بالغباوة والجهل ولكن

قوته البدنية وشهرته ومهارته في لعب الكرة قد أفسحت له محلا
ممتازا بين تلاميذ فصله وجعلت أساتذته ينظرون إليه بعين
الأحترام . وكان من بين أساتذة المدرسة أستاذ يدرس لتلاميذه
السنة الرابعة والثانية علم الحساب وهو معلم مشهور بالغباوة والبلاهة ،
أبيض البشرة ذو شعر أحمر وجسم نحيف ضئيل . وكان الشائع
في المدرسة والدائر على الألسنة ان معلم الحساب هذا يخاف بطش
عبد الغني ويهاب جانبه . ولم من حوادث وقعت بين الاثنين كان
صفار التلاميذ يحفظونها عن ظهر قلب ويروونها في أوقات الفراغ
للتسلية والضحك . وهل أنسى يوم رأيت معلم الحساب ميمما حجرة
الطعام والقرب منه فئة من أطفال المدرسة تصفق وتهلل قائلة :
— عبد الغني هنا أه . عبد الغني هنا أه .

والرجل جاحظ العينين محمر الوجه يصرخ مستعجدا بالفراش
البدن ليقمع تلك المظاهرة الصببانية .

لقد كانت هيئة عبد الغني ومشيته تنم عن اعجابه بنفسه واطهاره
لوقته . فقد أ كسب وجهه شيئا من التقطيب الاصطناعي والاشمئزاز
المتكلف . فاذا مارأيتك يتكلم ظننت أنه غاضب مكشر الانياب

يريد أن ينقض على محمده . ولكن سرعان ما ترى ابتسامة ضئيلة
أشرقت على وجهه وضحكة خفيفة وقعت على أوتار حنجرتة فتعلم حينئذ
أن عبد الفنى القبط لم يكن غاضبا ولا ساخطا بل كان ماجنا وهازلا .
وإذا مشى فرّد يديه مجنحاه ، وخطا خطوات متساوية لها صوت
غليظ . وكنا نحن الاطفال - نمجّب بهند المشية ونجهد في تقليدها
ولكن عبثا كنا نجيدها إلا واحد منا كان اعجابه بعبد الفنى كبيرا
فاستطاع أن يحاكي مشيته ويقلد صوته ويكسب وجهه النضر الصغير
نقاطيب التكلف . فدعونا به عبد الفنى الصغير !

وانتهت السنة الدراسية ثم تأتيا اجازة الثلاثة أشهر . ثم عادت
السنة الدراسية الجديدة فرجعنا الى المدرسة وعدنا الى أنظمتها
ودروسها . عدنا الى مقابلة الاصحاب والجري والقفز ، الى حضور
حفلات لعب الكرة والازدحام حول باب الملعب لشرب الفاروزة
الحراء ونرمى بعضنا بقشر البرتقال واليوسف أفندى . أجل عدنا
الى حياة العمل السعيد وجددنا نشاطنا الذى كادت تنهد به ريح
البطالة الحار .

عدنا فوجدنا المدرسة لم تتغير ولم تتبدل ، فالعبد الاسود باثم

الطوى لم يزل على بابها يستقبلنا بوجهه الباش وأسنانه البيضاء
الناصعة ، وعم مبروك ماسح الأحنية يخط بيده على صندوقه
العتيق . وجدنا الفراش البدين بداخل المدرسة مازال على عهد
ممسكا خرطوم المياه يرش الأرض والزرع ، والضابط يصرخ صرخاته
المسائلة ويده ورقة العقاب يكتب فيها اسم من تأخر أو من وجد
جذاه غير نظيف .

لم تتغير المدرسة الا في شيء واحد هو نوال عبد الفنى الشهادة
الابتدائية . لذلك لم نر وجهه المقطب ولم نخط بمشيته المجنحة ذات
الخطوات المتساوية ولم نسمع صوته الفليظ الدال على القوة والبطش .
لم يبق أمامنا الا عبد الفنى الصغير يذكرنا ببطل المدرسة وحامى
كأسها الفضى .

لقد نال عبد الفنى الشهادة بمجزة لانعلمها والظاهر انه كان
يستعمل الفش في الامتحان . لقد تضاربت الاقاويل في ذلك حتى
ان معلم الحساب كان شديد التعجب من نجاحه ولكن أمارات
السرور كانت مرتسمة على وجهه لزوال كابوسه الاعظم من المدرسة .
ولم يحر منا عبد الفنى طلعه طويلا . فلم يمض شهران على
دخولنا المدرسة بعد الاجازة حتى رأيناه في ملعب الكرة مع رفاقه

القدماء يخطر جيئة وذهابا كما يخطر الأسد في عرينه ، فدخلنا
السرور والاعجاب وصحنا جميعاً بالإن به مرحبين بقوده ، واخترق
الفضاء ذلك الصوت الرفيم ، صوت صديق الصغير يصبح كعادته :
- الله يا عبد الغني .

فنظر الينا عبد الغني نظرة الشكر والامتنان . ونطقت هي وانه
بذلك الشعور الذي كان يحيش في قلبه .

سألنا عن مصير عبد الغني وما هو عمله اليوم فخبّرنا الفراش
البدين - وهو قابض على خرطوم المياه مصوباً مائه على شجرة من
أشجار الحديقة الزروعة بانتظام بجوار السور - ان عبد الغني
سيسافر الى بلاد الانجليز ليتعلم ويلعب الكرة . أما الآن فهو بلا
عمل يتردد بين فترة وأخرى على مكاتب البواخر يسأل عن مواعيد
السفر .

ومن ذلك الوقت وعبد الغني يتردد على المدرسة بين حين
 وآخر ، نراه مرة في ملعب الكرة وأخرى بجوار حجرة المدرسين
يحادث الضابط أو يحتاج معلم الحساب

وفي السنين التالية التي قضيتها في المدرسة لم أر عبد الغني ولم

أسمع عنه الأ قليلا. وبدأنا رويدا نتناساه .

ثم مضت على أثر ذلك خمسة عشر سنة ، مضت أيها الصديق كما تمضي الخمسة عشر ساعة . مضت بحوادثها وتكفنت بالماضي فاصبحت ذكرى يرمقها الإنسان بعينين دامعتين . اليوم احداثك هذا الحديث عن حوادث مضى عليها خمسة عشر عاما أراها مائة أممي كما هي فأنظر اليها نظرة الحب لوجه معشوقته . وكيف لا أكون عاشقا لأيام حداثتي وطفولتي ، الأيام التي تنوقت فيها بلا ملل ولا عناء أفويق السمادة ولمست فيها بيدي نعيم الحياة . هل أنسى أيام السداجة الاولى - أيام القفز والجري في فناء منزلنا الواسع القديم ، هل أنسى أيام العيد حينما كنت تحضر عندنا وتمضي الثلاثة الأيام جميعها في منزلنا . إذا كر أنت يافؤاد بائع البخت الذي كان يملأ جيوبه بدراهمنا . إذا كر يوم ان ذهبنا لأول مرة في حياتنا لمسرح عبد العزيز لحضور رواية « صلاح الدين الايوبي » من فرقة اسكندر فرح ذلك وقت مضى ، تلاشت أحلامه وجفت مسرته وخبا وميضه .

مضت أيها الصديق هذه الاعوام فلم أر أثناءها عبد الغني الا

ثلاث أو أربع مرات ، إما سائرا في الطريق أو جالسا في قهوة « اوبرا بار » . ولكن اهتمت لشخصه قلَّ بعد أن فارقت المدرسة الابتدائية ونضبت على أثرها ميلى لكرة القدم وحضور حفلاتها . ولكنني حينما كنت أنظر اليه فكأنما أنظر الى صفحة من تاريخ حياتي الماضية .

واليوم وقد دخلت ميدان الوظائف الحكومية رأيتُ عبد الغنى بجانبى وعلمت انه صار له الآن في مقره أربعة عشر عاما قضاه بين الاربعة حيطان المالية أمام مكتبه الواسع الفخم ومخبرته السوداء الجميلة . لقد تعرّفتُ به عبد الغنى فأصبح من رفاقي وزملائي . ولكن تحولت محبتي الاولى واحترامى لشخصه الى اهتمام غريب للملاحظة ومعرفة خبايا نفسه .

سافر عبد الغنى بعد نواله الشهادة الابتدائية الى بلاد الانجليز وأمضى في ربوعها اثني عشر شهراً قضاه في ميادين الالعاب الرياضية ثم رجع الى مصر حاملا لنفسه أوسمة الفخار والبطولة . ثم تزوج والتحق منذ ذلك الحين بهذه الوزارة ويتقاضى عشرين جنياً . ويدعى أن وظيفته فنية وان مركزه من مراكز الوزارة الكبيرة .

لم يتغير عبد الفنى عما كان عليه يوم ان كان بطل المدرسة .
 ولكن اعتراه فحول وهزال من جراء انفاسه فى الشهوات واندفاعه
 فى تعاطي المسكرات والا كشار من التدخين . فتقوّست قامته الطويلة
 وانطبق صدره المريض وانطفأت لمسة عينيه البراقتين فأصبحتا
 ذابلتين تحيطهما هالة سوداء . ولكنه بالرغم من مظاهر الشيخوخة
 المبكرة المرتسمة على وجهه والنامية على جسده فهو ما زال محافظاً
 على مشيته « المجنّحة » ذات الخطوات الفليضة التي ورثها عن حياة
 الفتوة الاولى .

يأتي عبد الفنى كل يوم الى الوزارة بعبئة أجرة نظيفة الاثاث .
 تنفّ به أمام الباب الداخلى . وينزل منها بعد أن يعطى السائق أجرته .
 ثم يسير بشيته المروقة وبين شفّتيه مبدسه الكهرمان الجميل
 ذو اللون الأصفر الزاهي . فيصطف له بضعة من فرائي وضباط
 الديوان يحيونه تحية رسمية تتجلى فيها مظاهر الاحترام
 والتبجيل . فيرفع يده بكل قوّة ويرد السلام باهمال ويزداد تقطيب
 وجهه ويهتز المبدس بين شفّتيه . ثم يخرج منديله المعطر ويدنيه من
 فيه ويسعل معالاً كاذباً ، سائراً الهوينا بزهو وكبر . وكثيراً
 ما يتوقف عن السير ويشير باصبعه الى الضابط الواقف وقفة الاحترام

العسكرية ويناديه بصوت خشن منخفض قائلا :

— أسمع يا ولد .

فيسرع الضابط ويحيي عبد الغني تحية عسكرية فائقة ويقول
بصوت المأمور المطاع :

— أفندم ؟

فيسأله عبد الغني بلهجة اذا سمعها غريب عن هذا المكان
ما شك في أنها لهجة عنف وقسوة ستدخلها الشتائم وكلمات التوبيخ
القاسية .

ويتكلم عبد الغني وعلى وجهه علامات التقطيب والعبوسة
غير ملتفت إلا الى دخان لفاقته :

— ما فيش بوسطه النهار ده ؟

— لا ياسعادة البيه

— طيب روح في داهيه

فيعيد الضابط التحية الرسمية ويتقهقر خطوتين الى خلف على
الطريقة العسكرية التي علمها لنا معلم الرياضة البدنية في المدارس .
وينخطو عبد الغني « بك » الى الامام متجهين نحو غرفته الكريمة
فيسرع أحد الفراشين ويفتح له الباب . فيدخل ويحيي رفاقه بشيء

من اللطافة مع محافظته على تقطيع وجهه ومشيتته .

إذا علمت يا صديق مقدار « البقاشيش » الشهرية التي يوزعها عبد الغنى على ضباط الديوان وفرّاشيه زال عجبك عند ما تراهم يبدلون أقصى مجهودهم ليظهروا أمامه احترامهم لشخصه ، وتبجيلهم لحياه المقطب ، وتحملهم لاهاناته وعنفه ، ومنحهم إياه رتبة البيكوية من الدرجة الاولى المصنوبة دائماً « بصاحب السعادة » . . .

يتجه عبد الغنى الى مكتبه بعد أن يضافح رفاقه الثلاثة الذين صرت اليوم أحدهم ويجلس على المقعد وهو ينفذ غبار لفاقته في المنفضة ويبدأ أحاديثه معهم فيحاط الجد بالهزل والهزل بالجد . ويجمل يعرف بمختلف الاقوال والمواضيع التي تدور معظمها على شخصه وأعماله . يبدأ الحديث قائلاً :

— يا سلام على سهرة ليلة امبارح ياناس . . . ؟

فيرفع أحد رفاقه المدعو زاهى أفندى عينيه من على الجريدة ويسأله قائلاً :

— شيء جديد يا بيه ؟

— اسكت شربت امبارح خمسة وسكي وأربعة كونياك

واتنين كوكتيل وبعدين رحت « الدانس » . . . الجديد . . .

كانت ليلة صحيح .

ثم يأخذ يضحك ضحكا عالياً ، فيعود زاهى افندى الى جريدته بعد أن يقول بلهجة متكلفة تتخللها ضحكات قصيرة عليها مسحة التملق :

— اسمح لى أقول لك يا عبد الغنى بك أنك دلوقت

بقيت . . . مصيبة من مصائب الزمن . . . حتى الرقص . . .
يا سلام يا أخى دا انت مخلتشي حاجة في الدنيا مملتهاش .

ويطفيء نائل افندى الرفيق الثانى لفافته ويخلع نظارته فينظفها ثم يقول للجماعة محدثاً إليهم عن نفسه :

— أما أنا فرحت امبارح الضهر بعد ما خرجت من الديوان

لحل النيفة وأكلت أكلة ماتجلمش بها طول عمرك ياسى زاهى .

فيضحك زاهى ضحكة طويلة . ويتكلم عبد الغنى وقد ارتسمت على وجهه علامات الرغبة الشديدة فى اخبار الرفاق عن شىء هام . فيقول :

— ايه يعنى النيفة . . . حاجه وسخة . . . لكن الملوخية .

ايه رأيكم فيها ؟

وحدث ببصره فينا فصاح زاهى وهو يتلمع ريقه قائلاً :

— الله . الله

وَيَم عبد الغني قوله :

— من مدة كام يوم طبختُ لنا الست بتاعتي صحنين ملو خية
بفراخ . . . لكن أحلف لك بالله العظيم يازاهي انك لو كنت دقتها
لكنت أكلت صوابك وراها من غير ما تحس .
ويجمل يقيمته كثيرا على ما قاله . أما زاهي فيأتي بحركة متكلفة
ويقول :

— طيب اعمل معروف يا بيه بس بآ . لحسن لسة ما فطرتش .
فيقيمته عبد الغني أيضا ويشمل لفافة . ثم يتمطى ويتشاءب بصوت
عال . ويسكت الجميع فترة قصيرة من الوقت يقضيها عبد الغني
في اتمام تمطيه وتثاؤبه ويمضيها زاهي أفندي في قراءة الجرائد .
أما نائل أفندي النصف أعى فيشتغل أثناءها بمسح نظارته وعينه
كالاعتاد .

وفي هذه اللحظة يُفتح الباب ويدخل رجل طويل القامة
عريض الاكتاف يتمنطق بفوطة بيضاء نظيفة على ملابسه الافرنجية
و يرتعّم على طربوشه . له شوارب غليظة وحواجب مهدّله على
عينيه . يظهر من مجمل هيئته انه من أصل مغولي أو شركسي .

يدخل الرجل بكل أدب واحتشام ويبدأ يُخَيِّم الجميع تحياته الجميلة . فيلتفت إليه عبد الغني ويعتدل على كرسيه ثم يبدأ الحديث مع الرجل باللغة التركية التي تعلمها منذ الصغر بصوت غليظ خشن . وترتفع في ذلك الحين رأس زاهي أفندي من بين الجرائد ويحدق بوجه عبد الغني تحديق المدهول يسمم رنات تلك اللغة التي لا يعرف منها حرفاً واحداً . ويكون في ذلك الوقت قد أرجع نائل أفندي النظارة الى عينيه فيوجه بصره الى من حضر فيجد « محمد أغا » واقفاً يحدث عبد الغني . فيقطع الحديث عليهما ويطلب من محمد أغا أن يأتي له بفنجان كبير من السحلب . ويوصيه أن يكثر له من وضع البندق والقرفة . ويطلب زاهي أفندي كوبة من اللبن الساخن مع قطعة من البناشة المحشوة بالجن . ويظل محمد أغا ينتظر أمر عبد الغني فتمر خمس دقائق ثم عشرة وعبد الغني يقتل شاربهُ ويمعن النظر في عمله كأنه يفكر في حل معضلة هويصة . ثم يسعل سعالاً مصطنعاً ويخرج لفافة جديدة من علبة النفضية ويشير الى محمد أغا أن يدنو منه . فيهرع الرجل اليه . فيرمي اليه بالسيجارة فيتلقفها الرجل بكل احترام وهو يبتسم ابتسامة اللطف والذعة . ويشكر عبد الغني بمجمل طويلة كلها دعوات مهالحات . ويُخرج عبد الغني لفافة

أخرى ويشعلها ثم يبدأ طلبه قائلاً :

— ابعت لي على البيت علبتين لكوم ووقتين بسطرمة وسجق .
 اوع تتأخر لحسن أرميلك البضاعة في وشك . . . يا لله علي برح
 بأ . . ديوز . . كرتة .

فيخرج الرجل وهو يبتسم حاملاً في أذنه تلك الشنائم
 الدعائية ، راضياً بها كل الرضى مادامت طلبات البك بهذا المقدار .
 ولا يكاد محمد اغا بائم السحلب والبغاشة والآكوم والبسطرمة
 يتوارى خلف الباب حتى يدخل الفراش « أبو الكرم » حاملاً
 دوسيهات العمل فيضعها على مكتب عبد الفنى ثم يخرج . فيتأمل
 عبد الفنى ويقول :

— ما فيش راحه أبداً في الوزارة دى . شغل زى الزفت . . .
 هو الواحد مش من دم ولحم .

ويفتح الدوسيهات ويوزع بعض الاوراق على زاهى افندى
 ونائل افندى . ويمضي من الوقت ربع ساعة لا يُسمع فيها الا
 صوت صرير القلم على الورق ونفخات هبب الفنى الحادة كأنه
 يقوم بعمل عظيم خطير . ثم ينتشر في جو تلك الغرفة الواسعة
 صوت غنائى ضعيف لا يزال يزداد حتى يصير واضحاً ثم عالياً .

فإذا بنائل افندى النصف اعني يُفني مترنماً : (وانا مالي هيّ اللي
 قالتلي . . .) ثم يترك القناء بفتة واحدة ويتكلم كأنه يحدث نفسه
 وهو منكب على ورقة طويلة ممتلئة الأرقام :

٤٠٠ جنيه كساوى لفراشي الوزارة . . . سبعة جنيهات
 و ٣٣ ملها أدوات نظافة . . .

ثم يرفع رأسه من على الورق ويصرخ موجهًا كلامه لعبد الغني :
 - شوف ياسيدي . الكساوى بتكاف الوزارة ٤٠ جنيه
 بتدفعها من غير كلام ولا حديث علشان ما تكسي الجماعة الاجلاف
 دول اللّى ماينفعم الا ورا الجاموسة والا حمير السباح . . . وتكسيهم
 بابه ياسيدي . . . يستر وبنطاونات وجزم . . . وأنا اللي عميت
 في خدمة الحكومة وحقيقتي رجلى لا بواب السكرتارية والادارات
 ترفض طلبي اللي فيه عاوز زياده اثنين جنيهه في الشهر . . . اثنين
 جنيه بس .

فينظر اليه عبد الغني نظرة كلها غضب وامتهان ويقول له :
 - وعاوز حضرتك ان الفراشين يفضلم بالجلاليب الزرق

والبلغ ؟ !

فيضحك زاهى افندى ويميل لجهة عبد الغني ويسرّ اليه

ما يأتي بكلام يسمعه نائل افندى :

— سي نائل افندى عاوز باغته من 'بلغ الجماعة الاجلاف دول

على دماغه علشان ما يفهم أوامر الوزارة تمام . . .

فيجيب نائل افندى وعلى وجهه سياء التقطيب :

— اعمل معروف حاسب في كلامك ياسي زاهي .

ثم يعود الى عمله فيقول كانه يحدث نفسه :

— ٦٥ ملها ثمن فنيك وسوائل مطهرة .

ويصمت برهة من الزمن . ثم يعود الى غنائه متمما أغنيته

السابقة مترنماً :

— (روح اسكر وتمال على البهلي .)

ويدخل الفراش (أبو الكرم) ويصيح في الغرفة قائلاً :

— سمادة زاهي بك

فيلتفت اليه زاهي ويقول :

— ايه ؟

— سمادة المدير عاوز سمادتك

فيصفر وجه زاهي افندى ويقوم متظاهراً بالجلد وعدم

الاكثراث ويقول للفراش :

— طيب روح انت . جى دلوقتي .

فيخرج أبو الكرم ويظل زاهى افندى واقفا ينظف طار بوشه
وحناءه ويقتل شاربته .

فينظر اليه نائل افندى ويقول ضاحكا :

— انت ياخويا رايح للعروسه والآن رايح للمدير ؟

— اعمل مهروف يامى نائل متهزرش ... أنا فى حالة مايعلمش
بيها الا ربنا .

فينظر اليه عبد الغنى ويسأله :

— ليه ؟

— افكر ان المسألة اللي حيكلمنى عليها المدير لازم تكون
مسألة ...

فيقاطعه نائل افندى قائلا :

— آه . مسألة المنشور الوزارى اللي حضرتك خطبت فيه
خطبته سوده .

— دى مش خطبته . داسهو ...

ويخرج ونائل افندى يقول له :

— والله مانى عارف مين فينا اللي عاوز 'بلغ الوزارة تشتغل على

دماغه .

ولا يكاد يتواري خلف الباب حتى يقوم نائل افندي ويتجه
نحو مكتب عبد الغنى ويسأله قائلاً :

— ايه رأيك يا بيه في مبي زاهى افندى ده . ما انتش شايف
ان دمه خفيف قوى ... أشف مخلوق على سطح الارض ؟ !
فيقهمه عبد الغنى ويقول :

— أنا مش عارف الدنيا ازاي متحملة طور زى ده
فيجمل نائل افندى يضحك ضحكا متواصلا ارضاءً لنكتة
عبد الغنى وتشفيًا من زاهى افندى .
وبرجم زاهى افندى بعد ربع ساعة ويدخل الغرفة كاسف
الوجه . فيبادره نائل بقوله :

— نقل على زفتى والّا على اسوان ؟

— لاده ولاده

— امال . . ؟

— شوية توبىخ وشتيمة . . . حاجة اتعودنا عليها ياسيدى .

فيصيح نائل افندى قائلاً :

— بالهنا والشفا يا أخى . . . ده شىء مرطب على الريق خصوصاً

اسه حضرتك ما فطرتش .

ثم يعود الثلاثة ثانيا الى العمل ، عبد الغنى ينفخ من كثرة العمل ، وزاهي أفندي ينسخ بعض الأوراق ونائل أفندي النصف أعشى يكلم نفسه تارة ويغنى أخرى . وهكذا يمضى الزملاء وقتهم .

هذا هو عبد الغنى صديق الموظف ، هذا هو الشخص الذى ينظر الى نفسه بعين الاعجاب والزهو ويعتقد أن الله قد أودعه عقلا ناضجا ونفسا كبيرة وقوة بدنية هائلة ، فأراد أن يظهر تلك المواهب للناس ليعلموا ذكاءه وعقله وصفاء نفسه و يشعروا بصلافة جسمه ، فأتخذ له تلك المشية المجنحة وأكسب وجهه ذلك التقطيب المستمر ورمق الناس بعين الاحتقار والمهانة .

كان عبد الغنى منذ الصغر يتطلع لان يكون عظيما بالرغم من مظاهر الكسل والغباء المرتسمتين على وجهه . فلما وجد نفسه في ذلك المركز الوزارى البسيط تيقن أنه نال بغيته وان مركزه هذا مركز الحياة والعمل والبطولة . وما سواه من الناس فعاطل خامل لا قيمة له فى الحياة .

يعيش عبد الغنى فى الحياة عيشة خيالية لا يرى السعادة إلا فى الظهور والابهة . يبذل كل ما يستطيع أن يبذله ويضحى

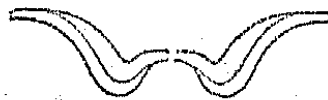
ما يقدر أن يضحيه من مال ومن صحة في سبيل الحصول على كسب
هذه الابهة الموهومة .

وكثير من الناس ايها الصديق من يعتقد بذهب الزميل
عبد الفنى ويسعى في سبيل تحقيقه بمجهود ومشارة ويشتره حتى يناد
وجهه اذا اقتضى الحال

والآن . أرانى مضطراً أن أختتم خطابى الطويل الذى شرحت
لك فيه بعض مناظر طفولتى وبعض مناظر بيئة الموظفين ، آملاً
أن تكون الفترة التى صرفتها فى مطالعة هذا الحديث لم تكسبك مللاً
ولا ضجراً ؟

وسلامى اليك أيها الصديق
المخلص
فريد كمال

(صورة طبق الاصل)



خالتی سلام یاشنا

خالة سلام باشا

صدرت جرائد المساء في العاصمة حاوية في عمود الوفيات نبذة كبيرة مجللة بالسواد عن وفاة خالة سلام باشا جاء فيها ما يأتي : « مصاب بجلال ورزء عظيم . توفيت الى رحمة ربها البارة التقية صاحبة الصون والعفاف خالة صاحب السعادة السرى الأمثل محمد سلام باشا من موظفي الحكومة المصرية سابقاً ، ومن أكثر السراة شهرة في الأعمال النافعة الجليلة . توفاه الله في قصرها بعزبتها بمدينة جرجا حيث قضت نحبها بعد داء أعيا نطس الأطباء . وسيحتفلون بتشييع جنازتها غداً من محطة العاصمة في الساعة العاشرة صباحاً حيث تصل الجثة بقطار مخصوص في منتصف الساعة التاسعة . وينتظر أن يكون المشهد حافلاً بعلمية القوم لكان الفقيدة وخالها في قلوب الناس »

واشترى الجريدة كمال بك وكان مع رفقة من صحابه جالسين حول منضدة في قهوة « الجندى » يشربون القهوة ويدخنون الشيعة كعادتهم . ففتر على هذا الخبر الملفت للنظر وقرأه بكل ايمان . ثم صاح في الجميع ضاحكاً ملء شذقيه :

... خير في غاية الأهمية أيها الاخوان .

ثم أخذ يقهقه والكل ينظرون اليه بدهشة . ولما أوشاك أن
ينتهي قال بلهجة الساخر :

— لقد توفيت خالة سلام باشا . . . ! !
فبادر أحد الجالسين وسأله مندهشاً :

— وهل في ذلك ما يستوجب الضحك والسخرية ؟
— لم أسمع في حياتي بوجود هذه الخالة مطلقاً . والظاهر أنها
لم تكن تظهر في عالم الوجود حتى بادرها الموت فأخفاها الى الأبد .
ثم عاد الى الضحك ثانياً . وتكلم أحد الجالسين وكان يستنى
رفعت بك وقال موجهاً كلامه لسكال بك :

— ولكني سمعتُ بهذه الخالة
— هذا عجيب جداً

— يحق لك أن تعجب لأن خبر هذه الخالة كان مخافياً عن
الجميع . كان سلام باشا يحاذر أن يعرف الناس من أمر هذه الخالة
شيئاً .

— ولم ذلك ؟

— لأنه يخشى الفضيحة والمار الذين يلحقونه إذا علم الناس أن
خالة مُهدمة تكاد تستجدي لقررها ، تسكن عشة مهتمة في

ضواحي جرجا .

فانتبه الجميع وانصتوا بدهشة لحديث رفعت بك . وتكلم
كالم بك قائلا :

... اذا فاقصر الذي توفيت فيه الفقيدة والتي نوتت بذكره

الجرائد حديث خرافة ؟

... بالطبع حديث خرافة . لقد كان يعلم سلام باشا أمر هذه
الخالدة المسكينة وما وصلت اليه حالتها من الفقر والبؤس ولكن قلبه
لم تطرقه الرحمة من أجلها . فقد سمعت من مصدر موثوق به انه
قد تبرّع لها في الأعوام الاخيرة فقط بمبلغ خمسين قرشاً لتقاضيها
من ناظر الزراعة لما أكملها وملبسها . كان ينكر صلاته بها وكانت
المسكينة تود التقرب اليه بكل وسيلة لاستجديه شيئاً بحق القرابة
التي تربطهما . ولكن الباشا كان يكره تلك القرابة بل ويقتتها . لانه
يعتبرها الصلة الوحيدة الباقية التي تصله بماضيه العابس المتعجبهم ،
ايام كان يرتدي الجلباب الازرق المفتوح الصدر واللبدة الخشنة ،
أيام كان يقود وراءه الدابة لينذهب بها الى المرعى أو يحمل على
رأسه قصعة الطعام لوالده في الغيط .

... ما أعجب ذلك يارفعت بك . ومن أين علمت كل هذا ؟

... علمته من أحد أفراد العائلة التي تربى سلام باشا في رعايتها .

لقد كان رب هذه العائلة التي شملت سلام باشا بعنايتها رجلاً شهيداً كريماً تكفل بتربيته وتعليمه . فإرساله مع نجليه إلى إحدى مدارس القاهرة وصرف عليه حتى نال الشهادة الابتدائية . ولما لم يفلح في الثانوى توسط له سيده في الالتحاق بوظيفة من وظائف الحكومة . وما كاد يستقر به المقام ويرى في افقه بشائر الرقي حتى تحول من شاب وديع مطيع إلى شخص عنيد متكبر . وساعده الحظ فارتقى في المناصب العالية بخطى سريعة زادت كبراً على كبر . وظهرت شخصيته ونياته جليلة واضحة . فتسنى كل ما يربطه بالماضي حتى بالشخص الذي ربه وعلمه وكان سبب نعمته . أجل أيها الإخوان لقد كفر سلام بالنعمة وكثيراً ما يكفر بها حتى الساعة . كلنا نعلم أخلاق الرجل ونفسيته فلا عجب بعد ذلك إذا كنتُ اسمعكم عنه اليوم أمثال هذه القصص .

— ألم يكن له أقارب غير هذه الخالة البائسة ؟
 — كانت هي البقية الباقية من أقاربه . فقد انقرضت أسرته منذ زمن بعيد . وهذا سر كرهه لهذه الخالة وعدم اعترافه بها .
 — ولكنه اعترف بها أخيراً .

— يعترف بها في الممات . هذا شيء آخر

— وما معنى ذلك . انه الجنون بعينه

— انه يفعل ذلك في سبيل الأبهة والمظمة . ان القرش الذي كان
يبتل به عليها في حياتها سيصرف أضعاف أضعافه مئات وآلافاً
من المرات عليها في موتها . وغايته من ذلك السعى وراء المظمة
الكاذبة التي اعتاد ان يجري خلفها طول حياته والتي لا يعرف
سواها لاسماد نفسه في هذه الحياة . أليس ذلك المأثم الكبير وتلك
الجنازة المهيبة وسيلة من وسائل النشر والاعلان عن النفس ؟ الا
يكفي ان يكون لدى الباشا في المأثم عظماء القطر ووجهاءه والطائفة
العالية لموظفي الحكومة يقدمون اليه تهازيرهم الحارة ويشاركونه في
مصائبه ؟

فقمة كمال بك وقال :

— الا قاتل الله هذا الجنون اللعين . كان بودي ان احضر
ذلك المأثم لاشاهد ما فيه من البدع .

— ولم لا تذهب . الا تعرف الرجل ؟

— كما تعرفه انت

— اذا ما الذي يمنع ذهابك ؟

— سأسافر غداً الى العزبة في امر هام .

فتكلم احد الجالسين وقال :

— اذا ترسل له برقية

— هذا ما سأفعله

وتكلم رفعت بك قائلا :

— اما انا فساذهب واملأ مخبركم بشيء مما اراه .

وصفق كمال بك مناديا خادما القهوة . وطلب منه ورقا ومحفرة

وقلاما . فلما احضر له الخادما طلب شرح يكتب البرقية . وقال وهو

يفكر :

— لا أدري ما الذى اكتبه تمزية لهذا المأفون

فقال رفعت بك :

— اختصر يا اخي . اكتب مثلا « انا لله وانا اليه راجعون »

فقط

— لا يكفى هذا مطلقا يارفعت بك . ان الرجل يعرف معنى معرفة

تامة . اريد ان يحتقرنى ويهزأ بى على مرأى ومسمع من الناس ،

واصفاءاى بالبخل . يجب ان اكتب برقية لا يقل ثمنها عن ثلاثين

قرشا مثلا . . .

ثم التفت الى حسنى بك وقال :

.. أليس لديك جمال حزينة مؤثرة تملئها على لا عزى بها

هذا الرجل ؟

وكان حسنى بك مشهوراً فى الجماعة بأنه شاعر . فنظر الى كمال

بك نظرة طويلة وهو يفكر . ثم قال :

.. أتريد نثراً أم نظماً ؟

.. أفضل النثر ، النثر السهل البسيط لأن الرجل كما تعلمون

جاهل وغبى .

.. اذن اكتب

وبدا حسن بك على على كمال بك :

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوما على آلة حذاء محمول

.. ما هذا يا أخى . أريد نثراً كما تعلم

.. ولكن هذا مقدمة فقط . اننا نريد أن نؤثر على الرجل بمثل

هذه المقدمات الفصيحة . . . اكتب اكتب . . .

« قرأت اليوم بمزيد الحزن والالام خبر ما حلّ بكم من الرزء

العظيم الفادح ب وفاة البارة الكريمة المغفور لها خالتكم العزيزة

وعميذة منزلكم . فتنازلوا يا صاحب السعادة بقبول تعازى الحارة

القلبية . منحكم الله من لدنه جميل الصبر وابقا كم الله مدى طويلا .

وتفهد فقيدتكم المزيذة المحبوبة برجة واسمة .

الحزين المتألم

كـال «

— براؤو حسنى بك . ولكن هذه برقية تساوى أربعين أو

خمسين قرشاً على ما أظن

— لا بأس

وكان فى الجماعة شخص يدعى ناصر بك لم يكن رأى سلام

باشا أو سمع عنه قبل هذه المرة فشاقه كثيراً ان يعلم عنه شيئاً

أكثر مما سمع . فسأل كـال بك مستغفهما :

— وما شكل هذا المأفون القبى . وكم يبلغ من العمر ؟ ألا

بربك زدنا ايضاحا عنه .

فتكلم كـال بك بعد ان أخرج علبة اللفائف من جيبه وقدم

لكل من رفاقه واحدة :

— سلام باشا يا صديقى رجل ضخم الجسم طويل القامة ، بشرة

وجبهه سمراء تقرب من السواد مشربة باحمرار دائم من فرط ادمانه

على الخمر . له شينان واسعتان محرتان تحيط بهما هالة زرقاء بنفسجية

تدل على ما يها نيه جسمه من تأثير السهر والانهاس فى الملذات البهيمية .

دميم الخلقة ، على وجهه آثار الجدرى تزيده قبباً على قبح . يبلغ
من العمر الخامسة والخمسين ولكنه مازال صلب العود لا يعرف
للشيخوخة على نفسه سلطاناً . يسلك في الحياة طريق ابن المشرين
الأهوج الطائش . يبخل اذا ما بسط العقلاء أيديهم ، ويبذر اذا
ما استنكروا الأسراف . جاهل غبي لا يعرف في العالم الا الابهة
الكاذبة والمظمة الخاوية ، يسعى اليهما بكل ماله من وسائل
النفاق والتملق والخيانة والكذب والأسراف . دخل سلك الموظفين
- بعد ان فشل في التعليم الثانوى - بتوصيات عديدة من ولى نعمته .
وارتقى في المناصب بكل ما أتاه من دناءة ومداهنة فنال الرتب
الرفيعة والمرتبات الضخمة ، بينما كان يتناول من الطرق الأخرى
غير الشريفة ما يفوق مرتبه أضعافاً مضاعفة . فاشترى الاطيان وبنى
القصور وصار من أهل النعمة الموفورة والثراء المتدفق . وأخيراً
كشّف عن أمره فطرد من الحكومة طرداً شنيعاً ولم ينفعه تزلفه
وتعريض شخصه لا كبر الأهانات في سبيل الدفاع عن نفسه
والمحافظة على مركزه ، حيث كان المال الوفير يتدفق عليه من كل
جانب . خرج من الحكومة بالرغم منه بعد ان شبع منها مالا وفيراً
واسماً عظيماً . وسرعان ما نسى الناس أمر فضيلته فلم يعض على حادثته
وقت قصير حتى ظهر اسمه في مصر ثانياً مقروناً بالتبجيل والتعظيم .

وهاهو اليوم يعيش في قصره شملئ الجيب، عظيم الجاه، كبير اللقب .

وكان المشهد فما حافلا بملية القوم وبمشرات الفقهاء والسيان
والملوية أصحاب اللبد الطويلة ، والرجال حاملي المباخر ومشايخ
الطرق بهائمهم البيضاء وملابسهم الخضراء ، والخدم المختلفي
الدرجات . يتقدم الجميع جملان عليهما أربعة صناديق مملوءة
بالفاكهة والفظائر وهو ما يسمونه (بالكفارة) . وكان سلام باشا يلبس
الردنجوت الأسود والطناء اللامع الجديد الذي اشتراه خصيصاً
لهذا المأتم، متظاهراً بالحزن والألم . يتكلم بصوت ظاهرة فيه نبرات
التكليف المقوت ، يمدد لمن ينصت له مآثر الفقيدة العزيزة ووقع
مصائبها في قلبه ، وكيف كان يحترمها ويودّها وكيف كانت تعطف
عليه عطف الأم الحنونة على ولدها . هكذا كان يروي سلام باشا
هذا الحديث لمن يسير معه في الجنائزة بينما كان معاون الدائرة
يسيرُ لاحد رفاقه قائلاً :

— لو كان الباشا وهب للفقيدة العزيزة عشر ما يصرفه الآن
على مآتمها لكفأها غائلة البؤس طول حياتها ... لقد أمرني الباشا
بملء الأربعة صناديق التي يحملها الجملان بالفاكهة والفظائر الغالية الثمن
والممتازة بنسبورتها والتي لم تكن تحلم بها في نومها تلك الخالة الكريمة ،

لتوزع على الناس ، فقراء كانوا أو خير فقراء رحمة عليها وتخليدا
لذكرها . . .



وكان المساء . فاضاءت المصابيح الشارع الذي كان منزل الباشا
كائنا فيه . وقد أكثروا منها وأطالوها حتى بلغت مدى بعيداً .
وأصبح المسار في الشارع يظن نفسه أنه في ليلة من ليالي
الأفراح لكبار الموسرين المسمرفين . أما السراشق فكان فيما مشيد
الجوانب بأحسن الأقمشة ، مؤثثاً بالطنافس الضالية وبالمقاعد الثمينة
المریحة ، ومنارا بالكهرباء بشكل جميل ، یرن في ارجائه صوت أشهر
الفقهاء المجودين ، مزدحماً بالناس ازدحاماً هائلاً سر له سلام باشا
سروراً كبيراً . وكان الهرج والمرج يسودان جهة المطبخ والجهة المعدة
لتناول الطعام ، لأن الباشا أمر بأعداد الموائد وتقديم أشهى الأطعمة
وأحسنها للأخصاء من رفاقه وللعظماء من أصدقائه . وكان يذهب
بنفسه - حينما يفرغ من الترحيب بالمعزّين - الى حيث
الموائد مصطفة ومعدة للطعام فيصرخ في الخدم صرخاته العالية
أمراً هذا وناهياً ذاك ، طالبا هذا الشيء ورافضاً ذلك . ثم يعود
الى مكانه الاول في السراشق يطوف على الناس ، متكلفاً

الحزن والتنهيدات الحارة ، راوياً لهم مناقب الفقيهة وحادثة موتها وكيف استقبل ذلك النبأ المؤمن بصبر كبير يُفبط عليه .

ولما ختم الجود سورته وخرج الجميع واحداً واحداً وهم يسامون علي الباشا ويواسونه خلا السراشق بعد ذلك من الجميع الا من سلام باشا نفسه وبعض توابعه وخدمه .

انتحى الباشا ركنا من الاركان ووضع رجلاً على أخرى ، وجهل يهوئي بمنذله على وجهه ليحفظ عرقه . ثم أخذ ينفخ وهو يردد : — أعود بالله من هذا التيب . لم أكن أعلم أنني سأتكبد كل هذه المشقات .

وكان يجوار الباشا احد محاسبيه ، شيخ متملق قدر الهيئة ، له شارب صغير وذقن مبهثرة الشعر . فقال وهو يدعك يديه ببعضهما : — حقا ان سعادة الباشا قد تيب كثيراً . ولكن لولا هذا التيب لما صار المأثم بهذه الفخامة والابهة . ان جميع الناس بين صغير وكبير تتحدث عما شاهدته ولاقته اليوم .

وتكلم الباشا مجيباً وقد زادت نفخاته وآهاته :

— اقسم لك يا شيخ عبد النبي ان النوم لم يطرق جفني الليلة الماضية . ولم اجد لدى متسماً من الوقت لا يجلس برهة علي مقعد طول

هذا اليوم لاستريح قليلا . قد شاهدت بنفسك الباشوات والملاية
الذين جاؤا الليلة . اكان يجدر بي ان اتركهم وشأنهم ؟
— كلا . العفو . هذا لا يصدر من سعادتك .

— لقد كنت اطوف عدة مرات لأبنيهم شكري على حضورهم .
وكنت اذهب بنفسى الى المطاعم لأتفقد الطعام ونظام المواعيد .
أكان يجدر بي أن اعتمد على شخص آخر ؟
— مستحيل يا باشا . سعادتك تهتم بهذه الأمور دائما
بنفسك .

ثم تشاءب الشيخ عبد النبي وأتم كلامه قائلا :
— اقسم بالله العظيم وبالنبي الكريم وبالرسل جميعا أننى لم أذق في
حياتى اشهى من طعام الليلة . ولم ار مطلقا مأثما جاءنا لكل ما يجب
ان يكون سوى هذا المأثم . ان روح خالتك المرحومة ترفرف على
رأسك الساعة شاكرة لك حسن صديقك وقيامك بالواجب المقدس
نحوها .

— لم افضل الا الواجب يا استاذ
وتشاءب الشيخ مرة أخرى ثم قام واستأذن في الذهاب . فمضاه
الباشا يده واعطاه سراً مبلغاً من المال نظير ما فاه به الساعة من
آيات الشفاء والمديح .

وتعطى الباشا قليلاً ثم صرخ منادياً عزيز أفندي ، وهو شخص
يبلغ الثامنة والثلاثين ، نظيف الملبس ، يقوم بوظيفة مسكر تير خاص
للباشا . فلما دنا منه عبس الباشا في وجهه وقال :

— لم ترقى في معنى الجنازة مطلقاً . اني مستاء منك للغاية
لاهمالك

— اهمالى ؟ ولكن الجنازة كانت في غاية الأبهة والمظمة .
— كذاب .

— انها كانت تبلغ ثلاثمائة متر طويلاً . انما عرضها فيعرض
أكبر شوارع العاصمة آنساعاً . لقد أوقفنا الترام على كل الخطوط
الرئيسية تقريباً حتى تعطلت المواصلات مدة طويلة . ولم نسمح لاي
عربة او سيارة بمزاحمة الجنازة او اختراقها . ألم تشاهد سعادتك
المولوية ؟ اننا كنا نجمهم من التكايا بالمشرات وقد بلغوا مائة
وخمسين . والفقهاء الذين في المقدمة ، لقد كانوا أنظف عريان
القاهرة جميعها ويبلغ عددهم خمسين . ألم تشاهد سعادتك هيئة
الرجال أصحاب القائم والمباخر ؟ كانوا مائة وخمسين . وقد كانوا
مبلغان لا يستهان به . اشتريت لكل واحد منهم فوطه جديدة من
خان الخليلي . وأوصيت الأسطى عبده سواق الاتو موبيل ان ينظف

بدلهم بالبترين . وامرت الشيخ خليل أن يأخذ طرايشهم للمكوى . انهم كانوا يماثلون البهوات بإسعاد الباشا نظافة وهدا . اما خدمكم وتوابكم فسمعتك تعلم اننا اشترينا لهم جميعا الملابس والاحذية والمراكيب الجديدة . كانت هيئتهم ملفقة للنظر . اقسم لك يا سعادة الباشا اني كنت أرى الناس على جانبي الطريق صامتين خاشعين من هيبة الجنازة ، مذهولين مما يرونه من عظمة الأحتفال وحسن نظامه وابنه . وكانوا يتساءلون دائما عن صاحبة الجنازة فكنت أجيبهم بصوت مسموع « هذه جنازة المرحومة خالة سلام باشا » فكانوا يترحمون عليها رحمت صادقة . لم تسمع سماعتك بأذنك دعاء الفقراء لك وهم يتناولون الفاكهة والفطائر التي كانت توزع عليهم بسخاء وكرم من صناديق (الكفارة) في مقدمة المآتم ؟ لقد كان الدعاء يصم الآذان ويتطلب على ترتيبات الفقهاء .

وكان الباشا يسمع ذلك باعجاب شديد وزهو عظيم . ولكنه عيس وصرخ مفاديا سكرتيره عزيز افندى قائلا :

— والبوليس . اين كانوا يا أبله ؟ اليس من العار ان لأتحوي

جنازة المرحومة خالتي سوى اثنين من الفرسان واربعة من المشاة !

— اقسم لكم يا سعادة الباشا انهم لم يصرحوا لي باكثر من ذلك

— لم يصرحوا لك . . . ولكنهم صرحوا جنازة والدته
عبد الكريم باشا بعشرة من الفرسان وعشرين من المشاة
— سعادتك تعلم ان عبد الكريم باشا كان . . .
فقاطعه سلام باشا قائلاً :

— اعلم انك مهمل قبل كل شيء . . . يا للعار . جنازة خالتي
لا يكون فيها عدد موافق من رجال البوليس يليق بمركزي الآن
ومركزي الحكومي في الماضي . . خالتي انا . . . أنا الذي تعرفني
الوجهاء وعظماء القطر . . ما الذي سيقوله الناس عني ؟ سوف
اسمع العجب . وكل هذا منك .

— سوف تسمع كل أطناب ومدح
— واسكني أعلم ان هذا الخطأ ستلافاه في القدر
— مرنى بما تشاء

— ستنشر الجرائد غدا نبذة عن جنازة المرحومة فيها وصف
مفصل عنها وعن اسماء الوجهاء والعظماء الذين ساروا فيها وعن عدد
رجال البوليس الذين كانوا يحفون بالنعش .

— وما عدد رجال البوليس الذي تريد سعادتك ان يكون

في الجنازة . ؟

— أريد أربعين من المشاة وثلاثين من الفرسان

— سيكون ذلك

— ولك ان تحشو النينة بكل مايمهم عن فخامة الجنازة والمآثم

وقاخر المآ كولات ومشاهير الفقهاء وغير ذلك . اعط الجرائد عن
صحة ولا تبخل

— سيتم كل شيء على ما تريد

وتشاءب الباشا وقد صمت برهة قليلة ثم تكلم بصوت اعتيادي

منخفض :

— هل أعطيت العربون للمغنية ؟

— أجل يا سمادة الباشا . ولكن هل في عزم سعادتك إقامة

الحفلة ؟

— بالطبع وما المانع . لا أريد ان أغير شيئاً من عاداتي . لا أريد

ان الغي ليالى الحظ التي أقيمها دائماً . . . أما ما هو لازم للمآثم فأنت

تعلم كل شيء . أتريد ان أعيد عليك الامر ؟

— انى عالم بكل شيء

— ولكن لا بأس من اعادة الكلام للناس الاغبياء أمثالك .

بعد انقضاء ثلاثة أيام المآثم لابد من ترتيب الفقهاء كل ليلة هنا في

المنزل وهناك في القرافة . . . كل ليلة حتى يوم الأربعاء . وفي
ليلة الأربعاء سيُقام السرا دق كما هو مُقام الليلة وسيُمد الأكل كما
هو مُمد الليلة . . . كل هذا اكراما للمرحومة وقياماً بالواجب أمام
الناس . . . أفأفهم ؟

فأفهم ياسيدي

وفي مساء اليوم التالي كان الشيخ عبد النبي جالسا بجوار الباشا
يقرأ له النُبذة الخاصة بالجنائزة والمآثم التي دُبحها السكرتير الخاص
عزيز أفندي . وكان الباشا منقسما كل الانصات يومئذ برأيه
مصدقاً لما جاء في النُبذة . وكان فيها وصف شائق للجنازة واسماء
من ساروا فيها من عظماء البلد . وكيف كانت الصدقات توزع على
الفقراء وكيف كان الناس يبتكون على الفقيدة الراحلة ويطلبون لها
من الله الرحمة والرضوان ، مثنين على همة الباشا الذي قام بواجبه حق
قيام . فلم تفتحه صغيرة ولا كبيرة حتى أداها . . . وقد صدرت النُبذة
بما يأتي :

المشهر الشريف

« جاءنا والجريدة ماثلة للطبع من مندوبنا الخاص هذه
النُبذة فأثرنا نشرها في الحال لأهميتها ولما لصاحب السعادة المفضل

محمد سلام باشا من الشهرة والقامة والفضل الكبير .

ثم جاء الوصف الطويل حارياً لمشرين اسما مضافا اليها لقب
صاحب المال فصاحب السعادة . ثم وصف رجال الشرطة وعددهم .
فقرأه الشيخ موجهها قوله للباشا :

« وكان يحف بنعش القعيدة الجليل الاثون من الفرسان
وأربعون من المشاة »

فصاح الباشا مسرورا :

— هذا حقيقي . انهم لم يعارضوا في منحي هذا العدد . ولو
طلبت أكثر لما عارضني أحد .

فاجاب الشيخ عبد النبي وهو يدعك يديه :

— سعادتك أشهر من نار على علم . وهل كانوا يبخلون عليك
بما طلبت وقد خدمت الحكومة خدمات صادقة يشهد بها كل
انسان .

— ان جنازة والدك عبد الكريم باشا لم يسر فيها الاثمانية
علي ما أظن .

ثم عاد الشيخ يقرأ . فجاء في النهاية ما يأتي :

« وكان الباشا حفظه الله باد عليه التأثر والأسى مما جعل

الكل يواسونه بقارب مضمونة . . .

— هذا حق . هذا حق . سعادتك كنت في غاية التأثر .

— وماذا نضل يا أستاذ . هذا أمر الله .

بينما كان الباشا ورفيقه يتحدثان وهما يقرآن نبذة الجريدة كان شيخ هرم لا يكاد يحمل نفسه جالسا القرفصاء بجوار عتبة باب القصر وهو يدخن لفافة منجدة أياها معاون الدائرة الذي كان علي مقربة منه . كان هذا الشيخ الهرم ممن خدم الباشا في عزبة زمنا طويلا ، رجلا قد ذبلت عيناه وأبيض شعر ذقنه ، يلبس الطاقية البيضاء ذات الهامة ويرتدى الملابس الريفية .

وتكلم بعد صمت طويل بصوت ضعيف واهنة قائلا للمعاون :

— والله يا سيدي لقد شاهدتُ المرحومة وهي تببع « زعازيع القصب » للأطفال في ضاحية جرجا فلا أدري لماذا يقيمون كل هذا من أجلها . . . أأكون قد خرفت لا أعلم ما أقول أو عميت أرى مالا يراه الناس ؟

فدنا منه المعاون وأسرَّ إليه قائلا :

— كلا . فانت علي حق يا عم بيومي . ولكن الباشا يريد ذلك واردة الباشا فوق العين والرأس

❖ انتهى ❖

(١٩٦)

آراء

الكتاب الافاضل في كتابي

الشيخ محمد

و

عم متولي

وهما أول وثاني مجموعات المؤلف القصصية وكل منهما

يحتوي على عدة قصص معاصرة على نمط مؤلفه الثالث

الشيخ سيد البسيط واقاصيص اخرى

ملاحظة : الكتابان السابقان المذكورين مع هذا الكتاب في المكاتب

الآتية : « السلفية » بشارع الخلق بشارع الاستئناف ، و « الهلال » و « العرب »
و « سر كيس » بشارع الفجالة ، و « الوفاء » بشارع الفلكي ، و « التجارية »
بشارع محمد علي ، و « مصر » بشارع الدواوين بمارة مطبعة بنك مصر ،
و « هندية » بالموسكي وشارع المناخ ، و C. M. S. بشارع قصر النيل .

وتم الكتاب فصحته فمروثي صاغ

ننشر فيما يلي نبذا مما كتبه بعض أفاضل الكتاب
من علماء مشرقين ومحررين صحفيين وأصدقاء شعروا بصين
عن مجموعتي « الشيخ جمعه » و « عم متولي » لفتنا لنظر
القارئ الكريم الى هذين الكتابين . وقد اقتصرنا على
نشر ما لم ننشره في ذيل كتاب « عم متولي » .

كتب الاستاذ المستشرق « انطاطيرس كراتشوفسكي »

العلامة الروسي عضو مجمع العلوم والآداب في لينين غراد واستاذ

الآداب العربية في اكبر جامعاتها عن كتاب « الشيخ جمعه » :

لينين غراد - روسيا في ١٨ أيار سنة ١٩٣٥

... قد قرأت مجادلات به قريحتكم الوقادة هذه المرة بكل ايمان
وتدقيق ورأيت فيه صفحة جديدة من الآداب العربية الحاضرة ما كنت أنصو
امكان ايجادها وقت زرت مصر المحبوبة من مدة خمسة عشر سنة . ولكم
الحق كل الحق فيما كتبتم في المقدمة من سيركم في الطريقة الجديدة غير
المطروقة من قبل ...

... وقد شمت رائحة نشوء الاقصوصة العربية الوطنية وقت
قراءتي « لما تراه اليون » من أول وهلة وتكدرت كثيرا من انقطاع هذه
السلسلة واختطاف صاحبها بيد المية القاسية ...

... ومن الاقاصيص التي أعجبتني أكثر من الكل في هذه
المجموعة هما « الاسطى شحات » و « مشروع كفافي افندي » وقد رأيت
فيهما حياة منعكسة أمام عيني تخيلي كما أراها بعيني جسمي . وما أريد بذلك

ان أهمهم فضل الاقاصيص غيرها فكما جميل في بابها وان كان في بعضها مسحة زائدة مما يسمونه Sentimental كما في الاقصوصة « الثقات ولواظ . . . »

اعطاء طبرسي كسر انشؤ فلكي

*
* *

وكتب حضرة الاستاذ السابق المذكور عن كتاب « هم متولى » :

. أتعمت اليوم قراءة الكتاب « هم متولى وقصص أخرى »
وكان هذا الولي أنعش للنفس الظمآنة من الوسمى الذى سببه في « الشيخ جمعه » .
وبما أعجبني في هذا الكتاب الثانى هو وحدة الأسلوب والسياق واتفاق
الاجزاء في القصص كلها . وليست هي في الحقيقة الا الاشخاص من الصورة
الواسعة الكبيرة التى تستحق التسمية برجال القاهرة الحاضرة . ومن ذلك
نتيج مزية خاصة لكتابكم . ليست القصص كلها الا درسا بـ « سيكولوجيا »
تجاربها لآحوال النفس وتطوراتها في الشخص الواحد الذى هو بطل القصة
مع بعض الدرس الاشخاص المجاورين له في البيئة . وهذه المزية سبب قلة
الحركة في القصص وانى كانت فيها الاجزاء تؤثر في النفس تأثيرا كليا كاجزاء
الرواية الممزجة الشخصية ، كمثل موت بطل القصة في « مهزلة الموت » أو
الحكاية البيتية في « الحاج فيروز » أو الجزء الاخير من « الوظيفة أخيراً »
وهى على ظنى من أحسن القصص في هذه المجموعة على الإطلاق
. وقد رأيت في كتابكم هذا تقدما ظاهراً في قلة التأثير بـ « مذهب
الرقعة المصطنعة Sentimental بنسبة الى المجموعة الاولى وليس لها مسحة
الا في القصة الاخيرة « مفقود » .

وبما تأسفت قليلا عند قرائتى لمجموعةكم النفيس هو قلة استعمال لغة
المحاورة وهذا شيء يضر أحيانا بالمذهب الواقعى ويضعف قوة التأثير

وكتب الأستاذ « المحرر كركمر » العلامة المستشرق الانجليزى

عن كتابي « جمعة ومتولى » :

قرأت ضد حادثاتي في الكتابين في يوم واحد من أجل اللذة التي وجدت في القراءة . فأعجبكم باختراع فن الاقصوصة . كل قصة كالتصوير الشعبي تصور بالحقيقة الحياة في مصر اليوم . وان كان رأيي صحيحا أظن قصة هم متولى أسس قصة في المجلدين . فسكأنى أحب بنفسى هذا المم متولى مع ذكره لأيام هزته في حسكر المهدي ورجائه في رفعة الاسلام بواسطته وان لم يكن الاحلام لذبدا . وكذلك تلذذت بقصة الشيخ جمعة الذي هو كالبقية من الازمنة الماضية في هذا العهد الحديث . ونرى في سائر الاقصيص كيف الناس في كل قطر في العالم سواه في قوة وضعف خواطرهم . لاشك ان تصانيفكم تستحق ترجمة الى لسان أوربي ولو كان لدى الفرصة لفسلته . . .

يناير سنة ١٩٢٦

وكتب الأستاذ الدكتور Dr. Kämpfmeier

العلامة المستشرق الألماني ورئيس الجمعية الألمانية المعارف الاسلامية

برلين عن كتاب « الشيخ جمعة » :

برلين في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥

..... فلتيت فيها (في القمص) مراقني للغاية من الاوصاف الدقيقة للبيئة المصرية ولاخلاق الاشخاص الذين اترضونهم للقارىء . ولما كنت أحب وطنكم العزيز وأتمنى رقيه وتقدمه ومستقبلا سعيدا باستقلاله ، رحبت ترحيبا قلبيا بمجالسكم ذلك الاسلوب من البلاغة المصرية وهو المذهب الواقعي

الذي من شأنه أن يهذب النفس ويرقى الخلق . وكان لسلك من تلك الاقاصيص
تأثير خاص في نفسي ، لا أستطيع أن أصف لكم كل ما تلذذت به من الفكاهة
والاستمتاع الفكري بل ومن تحليل النفس والحكمة الشيقة . ولما انجزت
مطالعة قصصكم استمرت في مخيلتي صورة الفتاة « التفات » وهنأت هبداي
باختياره لتلك البنت السمراء الساذجة المخلصة على منافستها لواحظ ،
البيضاء الفاتنة الصارية من مزايا القلب والخلق

. . . . واني ان شاء الله سأدرج في مجلة مدرستنا للألسن الشرقية في
برلين كلمة عن كتابكم وسأوصي تلامذتي ومواطني بدارسه ومطالعه



وكتب الاستاذ المصطفى Gibb العلامة المستشرق الانجليزي

عن كتابي « جنته ومتولي » :

. قرأت بعض قصص منهنما مستعجلا مستطعما متلذذا مستعجلا .
وقوى ذلك عزمي على اعادة قراءتها واعملها على طريقة يمكن بها التمتع
بدقائق عباراتها . وارجو أن تسمحوا لي ، ولو كان في ذلك صبغة من
الجرأة ، أن أعرض لكتابكم تهنئاتي الخالصة على نجاحكم فاني أضيف نفسي
الى حلة قرائكم الواسعة التي تشتاق الى صدور المجموعات الثالثة

٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥



وكتب الاديب الفاضل الاستاذ مصطفى راشر بك رستم

رئيس الجمعية المصرية ببافيس عن الكتابين :

ان « هم متولي » زميل بمعنى الكلمة . واني هلي الاخص أجد فيه زمالة
لدينة جدا لاني أشعر تمام الشعور عند مصاصيته بكل مايقول وما يحكي . وان
هذه الصفحات من الحياة تدكرني كثيرا بطفوليتي وكذلك بشبابي الاول وعن
كنا نراهم ونسمعهم ونجلس اليهم ومن يزور ومن يزار ومن يحكي لنا عنهم .
وكذلك هي الحياة الحاضرة من نواحي كثيرة . واني لاجد في الوصف دقة
وأرى من قوة الملاحظة شيئا عظيما . فيخرج القارئ من ذلك وهو متصور
فلك الشخص أو الشيء الحقيقي والخيالي مما تصويراً تاماً . . .
(باريس في ١٠ يناير سنة ١٩٢٦)

*
* *

وكتب صديقنا الأديب الفاضل الأستاذ محمد أنصاري

شاعر الفيوم قصيدة عصماء تقتطف منها الآيات الآتية :

قصص تيمون

ترفه من كل قلب حزين م اذا لم يرفه المدمع
وتطرب كل قواد طروب كأن السلاف له تسترع
ويلتذ منها حكيم النهى كما التذ بالحسن مستظلم
ومنها :

عرضت بها « مصر » في صورة كأحسن ماصور المبدع
وفضلت في قصص حلوة كما فصل الدر مستجمع
حياة لنا قد جونا بها ونحن هلي طبعها نطبع
ويدهم بالشعب تيارها ولا يشمرن بما يرفع
حياة لنا نالهنا من فتور غدت لا تحس ولا تفرع
تمر حوائثها انما كما خالس السبرق اذ يلهم

ومنها :

كسوت حوادثها جردة فراحت تخبئش وأستدقم
دخلت بنا في خلال النفوس فلاحات سرائرها أجم
وحزت بنا رجبات النصور وكانت مظاهرها تنخدع
وأطلقتنا في الزوايا على خبايا يقص لها المنعجم

ومنها :

وتلمسنا الجرح في خفة وتأسرو برفق فسا نجزع
ويبدو لنا الضحك بين السطور رفقا يمسك لنا كل الموجع



وكتب المقتطف الاغري في ديسمبر سنة ١٩٢٥ عن « هم »

متولى وقصص اخرى :

..... ذكرنا غير مرة في المقتطف ان كتابة القصص القصيرة فن من فنون الادب الشرقي اقل عاية كبار الكتاب عند الافرنج مثل « كبلنر » و « بورجه » و « أباز » وغيرهم . وقد هي مجموعة تيسر نجل العلامة أحمد تيسر باشا بهذا النوع من الادب فنشر في أوائل هذه السنة كتاب (الشيخ جمعة وقصص اخرى) وهو يحوى قصصا قصيرة رسم فيها صورا مستمدة من الحياة المصرية المدنية والقروية . وأمامنا الآن مجموعة أخرى من قصصه عنوانها (هم متولى وقصص اخرى) هي مثله سابقتها في صدق الوصف وبساطة الاسلوب . مثالي ذلك قصة « الوظيفة أخيرا » فانها قصة شائقة تصف داء من الادواء الاجتماعية الفاشية بين الشبان وهو البحث عن وظيفه من غير استعداد الاضطلاع وأثر القهوات ودور الخلاءة في أخلاقهم وكيف تهوى بهم الى ادنى الدركات



ونشر المهول الآخر في عدد يناير سنة ١٩٢٦ عن «عم متولى»

... في مصر الآن بنور «القصة» المصرية فيها وهناك على صفحات الجرائد والمجلات نجد بحارلات عديدة بعضها موثق وأكثرها خلق لايجاد قصة مصرية عصرية تصف الحياة الراهنة وتحاول أن تتخلص من ربة النقل والتقليد.

وفي مقدمة المؤلفين للقصص : محمود تيمور . فقد أرصد نفسه لدروس الحياة المصرية وتصورها وأبرز في العام الماضي كتاب « الشيخ جمعة » فقال التفاتنا لم ينله كتاب من نوعه من قبل في اللغة العربية وها هو ذا اليوم يصدر كتابا آخر على نسق الكتاب السابق باسم « عم متولى » وهو أيضا جدير بالانجاح ، قد توثق فيه المؤلف الى انقال عدة هور مصرية



وكتب العالم الناضل الأستاذ عبد القادر المغربي بمجلة الجمع

العلمي العربي بدمشق (الجزء ٣ المجلد الخامس - آذار سنة ١٩٢٥).

عن « الشيخ جمعة وقصص أخرى » :

... رأى المؤلف فن القصص والروايات في أوروبا وانجا ذا تأثير حسن في نشر الآداب وتربية الاخلاق فسد الى الكتابة فيه . . . ولا يخفى ان المترجمين من كتاب بلادنا انما يسدون الى الروايات المكتوبة بالغات الافرنجية غيتاونها الى العربية وينشرونها بين أبناءنا وحي في موضوعات ومهان ليست مما ينطبق على أذواقنا ولا مما يلتحم بهاداتنا وأخلاقنا . وهذا ما جعل (مؤلف الشيخ جمعة وقصص أخرى) يعدل من الترجمة والنقل الى الاختراع والوضع فكتب أقاصيصه المذكورة وأودعها أدبا وتقبيلها إرشادا فكانت في نقض أحوالنا الاجتماعية خير مثال ينسج على منواله المنشئون القصصيون . . .

وكتبت مجلة الزهراء الفراء في عدد ربيع الثاني ١٣٤٤ عن

« هم متولي وقصص أخرى » :

... والذي يطالع هذه الاقصيص يتنقل منها بين صفحات الحياة المصرية ويطالع فيها على خبايا النفوس واسرار الأسر من طبقات مختلفة اختارها الكاتب موضوعا لقصصه التي ان تكون في ظاهرها أداة من أدوات التسلية للذين اعتادوا قتل الوقت بمطالعة الروايات فهي في الحقيقة تحليل علمي لآخلاق جماعات يرضها المؤلف على قرائه في أشخاص هذه الاقصيص . . .

*
* *

ونشرت صحيفة الجامعة المصرية الفراء بقلم صاحبها الاديب

الفاضل عبد الكريم افندي أحمد السكري في عدد مايو سنة ١٩٢٥

عن « الشيخ رحمه وقصص أخرى » ما يأتي :

... ربما كان أبرز ما نراه في أسلوب « هذه المجموعة » سهولة عبارتها ومصوغتها بصيغة فنية تدل على قدرة كاتبها . وقد ينمو بالممارسة الى درجة أكبر من ذلك فيكون له اذ ذاك اسم خالق به في عالم الادب المصري الحديث . فانك تدرك من خلال ما كتبه صورة من النفوس والادراكات العامة والملاحظات المروفة والحوادث الاجتماعية من غشاها وسمينها كما نرى بين سطورها نموذجاً للغة العامة ونموذجاً لبلاغة الأدباء . وطالما تراه يكسو عباراته جمالا يجذبك لدفة تصويره ويوجه نظرك الى شيء في فيها وتارة يتهتك في تعبيره فتري الحياة في بعض أثوابها الجميلة وأشكالها الخلابه . . .

... واذا علمنا ان اللغة التي كتب بها المؤلف مجموعته لغة بليغة مع سهولة عبارتها دقيقة مع حسن أسلوبها صحيحة التركيب بعيدة عن التفتيد خالية

من الحشو والتشويق الممل حتى أنك إذا أردت أن تحكم عليها حكما صادقا قلت
إنها نموذج طيب للغة القصص أو لبلاغة الاجتماعية

*
* *

ونشرت جريدة **الاجبية** غاريت الغراء بتاريخ ٢٩ - ١٠

سنة ١٩٢٥ النبعة الآتية بقلم الأستاذ أسبيري بك سقراط عن

« الشيخ جمعه وقصص أخرى » وهي باللغة الانجليزية :

SHORT STORIES.

Mahmud Timur Bey is a scion of a talented family, his father Ahmed Timur Pasha being one of the greatest Arabic scholars of this age. Timur Bey has just published a collection of short stories which he has called by the name of the first of them, " Sheikh Gomha ", but I am not sure that this title of Short Stories is the correct one, for they are more like studies in character than mere storyettes. The art of writing short stories has only lately been introduced in the Arabic language, the first to publish them being the late Mohamed Timur, a brother of the author and from time to time the Arabic papers now publish a storyette. This collection of short stories is therefore the first of their kind in the Arabic language. Some of these stories reflect great credit on the author, not only as a story - teller, but also as a descriptive writer. The first story, that of Sheikh Gomha, is a good example of the author's literary

abilities, and the last in the book entitled "Competition", between two young girls for the hand of a young man, illustrates the manner in which marriages are sometimes arranged in native families.

Replying in his preface to critics, Timur Bey says that the reason why some of his stories are realistic, is because he wished to exhibit facts as they are not as they are imagined. He was also taken to task for using in conversation the modern, that is to say the spoken language, but says Timur bey, that is the language in which conversations are held. "Although I am anxious to improve the modern language and to bring it nearer to the written language," says the author "the written language will necessarily continue to embody a number of colloquial words."

Timur Bey has brought out a book which will be read by all with great pleasure. It is printed at the Salafia press, Cairo.



وكتب الالهرازم الاغر بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٥ عن

«عم متولى وقصص أخرى» :

..... وقد آتت هذه القصص في الجمهور ميلا لتكونها عبرت
عن الحياة المصرية المادية بصورة صحيحة ولأنها رمت الى تجسيم الميوس فيها
بتصديق محاربتها . ولعل هذا القرب الجديد من التحرير الاجتماعى الاصلاحى
يصادف الفرض منه



وكتبت القصة الغراء بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٥ عن « عم

متولى وقصص أخرى » :

... هو المجموعة الثانية من القصص المصرية التي مكف على كتابتها المؤلف وجعلها غاية حياته الادبية .
... وهذا الضرب من القصص يمد بحتى ظاهرة جديدة مباركة في الأدب المصرى الحديث . وهى عبارة عن صور من الحياة المصرية شائعة تجميع الى « الريلزم » تفننا الى صميم البواطن والحركات النفسانية .
وقد تضمنت القصص هذا الشخصيات الجديدة مناظر بديمة . ثم ان حبكها الروائى قد جاء آية نى البراعة والاتقان الفنى . وانا نحن الذين دعونا وندهو الى خلق أدب طابع المصرية لا جدر من سوانا بالاغتباط لهذا التوفيق الفنى

وكتبت القصة الاغر بتاريخ ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥ عن « عم

متولى وقصص أخرى » :

والذى لا ريب فيه هو ان فن المؤلف قد تطور الى الامام . والحق ان له طريقة خاصة يمتاز بها . قرأنا هذه القصص فأيقنا ان هناك سميا حثينا نحو السكمال وان كفاءة هذا الفنان تطوى مراحل التقدم طيا

وكتبت قصة رونا البوسف الغراء بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٥

عن « عم متولى وقصص أخرى » :

• • • أراد محمود تيمور أن يخرج للناس مثالا جديدا للأدب الحديث فكانت مجموعة الشيخ جمعة خير مثال توخى فيه هذا الدرب من الأدب وانبغ فيه المذهب الواقعي الذي يرمي فيه المؤلف إلى وصف الحياة كما هي من غير تزويق ولا تجميل .

مضى على كتاب (الشيخ جمعة وقصص أخرى) طام واحد وجاء بعده كتاب (هم متولي وقصص أخرى) وان قارئ الكتابين ليهكم لدى قراءة كتاب تيمور الجديد مقدار الفرق بين الكتابين والشروط البعيد المدى الذي سار به المؤلف في سبيل التقدم والفلاح . . .

وكتبت محمد روزا الموصف الغراء بتاريخ ٧ ديسمبر سنة

١٩٢٥ نبذة أخرى عن الكتابين :

• • • مجموعة أقاصيص عربية ثانية يصدرها كاتب واحد في بحر علم لا ألا يحق لنا ان نظرب نحن من نبغى الأدب القوي لونا جديدا يتفق وحالتنا الفكرية الجديدة تلك التي غدت ولا طمأينة لها في الرجوع الى القديم بعد أن غمرتها نزهة التجديد . أجل ويحق لنا أيضا أن نجيب مجهود الشاب المفامر . . .

• • • قد نخطيء التقدير اذا جزمنا بأن الأدب العربي قد جهل القصة . . . أجل . لقد عرفها ، قصص النزيلين في العصر الأموي والعصر العباسي ، قصص ألف ليلة وليلة ، الزير سالم ، أبو زيد ، حنتر . . . ألهم كل هذه تشهد بذلك . ولكن بين تلك وبين ماقرأناه في كتابي (تيمور) بونا شامعا وفروقا عديدة أهمها ان تلك القصص الاولى تلهمها المبالغة في التخيل الى حد تفقدتها منصرفاً جوهرياً وهو الصدق ، أما حكايات (تيمور) فاقاصيص اتى من ذلك النوع الذي يصح أن يطلق عليه اسم (أقصوصة) لصغر حجمها . ثلاث ورقات أو خمس تضم أسطورا يسهل مدها ترسم مشهدا مما تقدم عليه

النظرة الفاحصة في هذه الحياة ، ترسمه يدور في كلغة أو مبالغة بل أنها لتدقق في هذا الرسم حتى ترى أشغاضه تشع وتنبها وفق ما يتصوره الخيال الصحيح والمقل الراجح

وتوجد ضمن هاتين المجموعتين قطع وصفية اخلاقية أرى ان (تيمور) قد وفق في رسمها أكثر من سواها . ولا شك انه قد مهر بذلك الموهبة الجوهرية لكاتب القصة والاقصوصة وهي دقة الملاحظة . ورشته الصغيرة لا تخفى عليها ظلال الالوان . وقد يلوم لاثم على تأنيبنا النابه اتيانه باقصوصه سماها البعض (بالقصة الداعرة) وهي اقصوصة (الاسطى شعباته) وتقع في المجموعة الاولى . وانى مع احترامى لوم لاثم لا أرى في هذه الاقصوصة غير مشهد واقعى احسن مؤلفه رسمه . واذا جارينا من يذهب في هذا اللوم فليس لنا اذ ذاك سوى ان نرجم المذهب الواقعى بالحجارة . وهو المذهب الذى تناسب اليه تلك الاقصوصة .



وكتبت مجلة المرأة المصرية الغراء للسيدة بلسم عبد الملك

بتاريخ نوفمبر سنة ١٩٢٥ عن « عم متولى وقصص أخرى » :

... وهى القصة الثانية التى اخرجها « المؤلف » الذى لا يدخر وسما في سميل تهليل شبابنا الناهض بما يخرجهم من هذه القصص التى تحوى خبر الدرس والتى تترك في أذهانهم اكبر المعطات بعد الخبرة والمعايشة اللتين استفاد منهما المؤلف حتى انه لم يترك أى ملاحظة من غير تعليق ، واستخرج أكبر عظه منها ...



وكتبت مجلة الطائفة المصورة الغراء بتاريخ ٧ ديسمبر

سنة ١٩٢٥ عن « عم متولى وقصص أخرى » :

هي لا تختلف كثيراً من كتابه الأول « الشيخ جده » عما يدل على خبر المؤلف وآرائه الناضجة في احوال المجتمع المصري . فهو يصورها بهذه القصص المفيدة التي لا تبالغ اذا قلنا انه نسج على منوال الكتاب الشهيرة (مارك توين) في كثير من قصصه هذه بأسلوب عربي شيق ، فثنى على المؤلف . . .

وكتبت المجلد المصري الفراء بتاريخ ديسمبر سنة ١٩٢٥

عن « عم متولى وقصص أخرى » :

... هي المجموعة الثانية من الاقاصيص الطويلة التي يصدرها حفرة الكتاب محمود تيمور نجل سعادة العالم المحقق احمد باشا تيمور .

ولم تمكننا الفرصة من قراءة قصص المجموعة كلها ولكن ما قرأناه منها يدل على ابتكار واضح في فن القصة . اخذنا مثلاً قصة عم متولى ونحن في شغل شاغل لنقرأ اسطراً منها ثم تعود إليها بعد الفراغ من غفلتنا الشاغل ولكن ابت القصة ان تركنا « وصارت لنا شغلا اشغل » حتى اتينا عليها فعدنا الى ما كنا فيه ، وخفنا ان نتورط في « مهزلة الموت » التي بعدها فالتقينا الكتاب ناحية ونحن نعد أنفسنا بالعود الى هذه القصة لنعلم كيف استطاع الكتاب تسمية الموت مهزلة وهي المأساة المظلمة والفاجرة الكبرى . وان كان قد اخترع لنا شيئاً يرينا الموت مهزلة فحسبنا المخترع واهم المخترع ...

وكتبت عاصم المصري الفراء لصاحبها الاديب الفاضل

عبد العزيز أفندي حمدي بتاريخ ١ ديسمبر سنة ١٩٢٥ عن « عم متولى

وقصص أخرى » :

... أهدانا حضرة المؤلف محمود تيمور كتابه الجديد (هم متولى وقصص أخرى) فنشكره ونقدم له التبرير والتهنئة. هذه كتابة تقسم بها كثير من المؤلفات ولكن هل هذا كل ما يرجوه محمود تيمور لكتابته ؟ لا اظن ذلك لأن الرجل الذى يعبر ذهنه ويجهده قريحته لا للأرب فيد تقويم احوالنا الاخلاق لا يريد إلا اهتمام الكتاب عامة والصحفيين خاصة بكتابته ، وهذا ما حدا بنا الى فحص الكتاب فوجدنا دقيقا وهزنا ان نصارحه بكل ملاحظتنا لان مبدأنا الصراحة فى القول مهما كانت مؤلمة ولا نكفئ بشكره ونتمنى النجاح له ...

... ماذا ينبغي محمود تيمور من وضع هذه القصص وهو الذى لا يرجو من وراء عنائه فى كتابتها جزاء ولا شكورا ؟ بالطبع يمكننا ان استخلص من هذا انه لا يريد الا خدمة مبدأ قويم وهو اصلاح حيواننا الاجتماعية والاخلاقية : ولذلك سبب غور المال والامراض التى تنخر عظامنا واخذ يمالجها كل منها بأقصى قوة تعجز العيب وتصف الدواء الشافى وهذا فى شرعنا واجب على كل كاتب وامانة فى حق كل مستفيد ...

وكتب اليكسكول الأخير بتاريخ ١٢ يناير سنة ١٩٢٦ عن

« هم متولى وقصص أخرى » :

قصر كثير من المؤلفين والمترجمين همهم على وضع الروايات الترامية او تعريبها من غير نظر الى اجتذاب ميل الجمهور الى قراءتها بما ينشرون من الحوادث المشوقة ولا اصب فيها للأخلاق وطبع النفوس على الفضائل ، وقد تكون تلك الروايات نكبة على قرائها بما تبثه فى النفوس من الشر وما ترعب فيه من التهلكة والفجور ، ونحن فى أيام نهضة تحتاج مداواة الامراض الاجتماعية بروايات وقصص يراد بها الادب ومعالجة الامراض الاجتماعية كقصص « هم متولى » تأليف محمود تيمور ...

(٢١٢)

﴿ تم الكتاب ﴾

ويليه المجموعة الرابعة من الأقاويص

المصرية المؤلف وعنوانها :

رجب أفندى

جميع الحقوق محفوظة المؤلف

١٩٢٦ - ١٣٤٤

الطبعة السليمة - مصر

فهرس المقدمة

صفحة

١	صورة الشيخ سيد العبيط
٢	نشوء الاقصوصة
٣	كامة عامة عن الاقاصيص والقصص
٥	الشعر القصصي
٧	الايازة
٨	الاوذيسة
٨	الانباد
١٥	الأقاصيص والقصص النثرية
١٢	القصص في الآداب العربية
١٣	أنواع القصص العربية
١٤	ماذا لم يهتم العرب بتأليف القصص ؟
١٨	الاسباب التي دعت لتأليف القصة العربية
٢٩	أشهر الاقاصيص والقصص في البلاغة العربية
٢٩	كتاب كرامة ودمعة
٢٢	المصادح والباغم

٢٢	الإنسان والحيوان
٢٣	فاكمة الخلفاء
٢٣	القصص الخرامية في عصر بني أمية
٢٥	قصة مجنون ليلى
٢٥	قصة جميل بثينة
٢٦	قصة قيس لبني
٢٨	قصة ألف ليلة وليلة
٢٨	مصادر الكتاب
٢٩	تعدد الأساليب والأخيلة في الكتاب
٣٠	أهمية الكتاب
٣١	المقامات
٣٣	رسالة الغفران
٣٤	قصص الحرب والبطولة أو قصص العوام
٣٥	كلمة عامة على قصص العوام
٣٧	قصة عنصرة
٣٨	سيرة بني هلال . أو - أبو زيد الهلالي
٣٨	قصة سيف بن ذي يزن
٣٩	سيرة الظاهر بيبرس

٣٩

الحواديث أو قصص العامة المصرية

٤١

التمهضة القصصية الحالية

٤٢

حديث عيسى بن هشام . لمحمد المويلحي

٤٢

ليالى سطيح . لحافظ ابراهيم

٤٢

قصة زينب . لمصري فلاح . الدكتور حسين هيكل

٤٣

قصص جورجى زيدان التاريخية

٤٣

نتائج الاحوال فى الاقوال والافعال : لمائشة تيمور

٤٤

أقاصيص المنفلوطي . فى النظرات والمبرات

٤٥

مآثر الميرون . للمرحوم : محمد تيمور

٤٦

مؤلفون قصصيون آخرون

٤٧

كلمة ختامية

٤٨

مصادر المقدمة

(٢١٦)

فهرس الاقاصيص

صفحة

- | | |
|-----|-----------------------------|
| ٤٩ | ١ الشيخ سيد البيط |
| ١٠٩ | ٢ الملل |
| ١٢٥ | ٣ أبو درش |
| ١٤٩ | ٤ صديقي ، تلميذاً وموظفاً . |
| ١٧٥ | ٥ خالة سلام باشا |

١٩٦ أراء الكتاب في مجموعتي الشيخ جمعة وعم متولى